

التحفة
الجليلة

في معرفة
الاصناف والاسماء

الشيخ
الفاضل





مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

التَّجَاهُ إِلَيْكَ
فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ لِمَجِيدِ



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



۳۰

التجويد

في تفسير القرآن لمجيد

مركز تحقيقات کامپویر علوم اسلامی

الجزء الثالث

تأليف

الشيخ علي عبد الرزاق مجيد مرز

المؤسسة الإسلامية للبحوث والعلوم

سر شناسه	: مرزه، علي
عنوان و پديد آور	: التجدید في تفسير القرآن المجید / تألیف علي عبدالرزاق مجید مرزه
مشخصات نشر	: قم؛ رادنگار، ۱۳۸۵.
مشخصات ظاهري	: ۶ ج.
فروست	: المؤسسة الإسلامية للبحوث والمعلومات؛ ۲۸
شابک	: 978 - 964 - 2818 - 11 - 2
شابک دوره	: 978 - 964 - 2818 - 15 - 0
وضعيت فهرستخويسی:	: فيبا.
موضوع	: تفاسیر شيعه - قرن ۱۴.
رده بلدی کنگره	: ۳ت ۹۸/م ۹۲۵ BP
رده بلدی ديوبی	: ۲۹۷/۱۷۹
شماره کتابخانه ملی	: ۴۹۱۱۶ - ۸۵



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی
هوية الكتاب

اسم الكتاب..... التجدید في تفسير القرآن المجید / ج ۳

المؤلف..... الشيخ علي عبدالرزاق مجید مرزه

التمقيق والإفراج الفلي..... المؤسسة الإسلامية للبحوث والمعلومات

الناشر:..... (رادنگار)

الطبعة..... الأولى / ۱۴۲۸ هـ ق - ۱۳۸۶ هـ ش

المطبعة..... عمران

الكمية..... ۱۰۰۰+ دوهة

شابک: ۲-۱۱-۲۸۱۸-۹۶۴-۹۷۸ شابک الدورة: ۰-۱۵-۲۸۱۸-۹۶۴-۹۷۸

جميع الحقوق محفوظة للمؤسسة الإسلامية للبحوث والمعلومات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ
سَاءَ مَا يَحْكُمُ اللَّهُ لَهُ



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (البقرة: ١١٦-١١٧)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيتين؟

ج:



مركز تحقيقات كميونر علوم اسلامي

- ١- اتخذ: من الأخذ والجعل.
- ٢- الولد: ابن الأب.
- ٣- القانت: الخاضع.
- ٤- البديع: من الإبداع في الشيء، وهو إحداث الشيء من غير سبق لوجوده.
- ٥- قضى: الفعل الشامل للحتم والحكم.
- ٦- الأمر: الشيء أو الحدث المهم.
- ٧- كن: الإيجاد.

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في من هم الذين جعلوا لله ولداً؟

ج:

- ١- المشركون في زمن الرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿وَحَرَّفُوا لَهُ بَيْنَ وَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الأنعام: ١٠٠).
- ٢- اليهود، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ (التوبة: ٣٠).

٣- النصارى، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْنَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ (التوبة: ٣٠).

٤- كثير من أصحاب الديانات الذين جعلوا زعماء دياناتهم هم الآلهة أو أبناء الله لكسب الكمال لمن يعظمونه، ثم كَسَبَ هذا الادعاء الحقيقة في النفس شيئاً فشيئاً.

س: اذكر المحتملات التي ترد في تفسير الأجوبة التي وردت على هذا الاتهام في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلِداً سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... كُنْ فَيَكُونُ﴾.

ج:

الجواب على رد هذه الشبهة هو واحد، وهو: (سبحانه) أي أنه نفى لأن يكون لله ولد، فهو جواب إجمالي، وتفصيل الجواب أنه يجب عقلاً وشرعاً تنزيه الله عن كل ما لا يليق به عز وجل، ومن جملة ما لا يليق أن ينسب إليه اتخاذه للولد؛ وذلك يرجع للأسباب التالية:

أولاً: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

١- إذا كانت الحاجة هي التي تدعو الله أن يتخذ ولداً فإنه غير محتاج للولد؛ لأنه يملك السماوات والأرض وما فيها من الخلق جميعاً، والمملوك هو المحتاج إلى مالكة دون العكس.

٢- أن كل مخلوق في السماوات والأرض مملوك له، فاتخاذه الولد دون غيره من المخلوقات ترجيح بلا مرجح.

٣- أن كل ما في السماوات والأرض مُلْكٌ له، فهو إخبار عن العلاقة القائمة بين الله ومخلوقاته وهي الملكية والعبودية لا بنوة ولا غيرها.

٤- أن الله هو المالك، فهو الذي يختار لا أن يختار له الآخرون وينسبون إليه الأبناء

والبنات وما لم يختره هو لنفسه.

ثانياً: ﴿كُلُّ لَهٗ قَانِتُونَ﴾

- ١- كلُّ الخلق عابد ذليل له، وعلاقة الولد بأبيه ليست كذلك.
- ٢- كلُّ الخلق عابد ذليل خاشع له لاحتياجه الدائم في وجوده وتدبير أموره المستمرين له، فلا يمكن أن ينفصل وجوده لحظة عنه سبحانه، بينما نجد الولد ينفصل عن أبيه ويستقل بوجوده كجزء منفصل عنه.
- ٣- أن هذه الكلمة عبارة عن إخبار منه تعالى للحالة الواقعية للعبد أنه ذليل مملوك خاشع لله دائماً وأبداً، وإذا أراد أحد أن يتخذ ولدًا لا يجعله على هذا النحو من الحالة الدليلة الخاشعة إلا أن يكون محتاجاً إلى وجود هذه الحالة بولده لأي سبب، والله هو الغني المطلق.
- ٤- المجرد عن المادة أعلى دائماً من غير المجرد عنها، فالمادّي أو ما هو قابل لها مغلوب دائماً خاضع بطبيعته لمن هو أعلى منه ولا يمكن أن يرتقي إليه أو يلتقي به، والابن الذي في الأذهان إن لم يكن مادياً فهو قابل لها، فهو مغلوب ومقهور وخاضع بطبيعته لله المطلق، فلا يصح أن يكون ابناً لله بنحو غير القهر والمغلوبية والخضوع، وهذا ينافي كونه ابناً.
- ٥- أن وجود الولد معه معناه مشاركته في العزة وهذه العزة لا تجتمع مع كون غيره سبحانه ذليلاً قانتاً له، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «لم يولد سبحانه فيكون في العزّ مشاركاً، ولم يلد فيكون موروثاً هالكاً»^(١).

ثالثاً: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

- ١- أبداع الله في الأشياء هو إيجادها من العدم إلى الوجود، والولد لا يوجد من العدم، بل ينفصل من موجود وهو الأب، وهو مستحيل على الله، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «لم يلد فيكون مولوداً، ولم يولد فيصير محدوداً» (١).
- ٢- أبداع الله في الأشياء معناه عدم وجود السنخية والمماثلة بينه وبين الأشياء ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى: ١١)، والولد يستدعي وجود السنخية بينه وبين الأب، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أنه قال: «إن الله عز وجل ابتدع الأشياء كلها بعلمه على غير مثال كان قبله، فابتدع السماوات والأرض ولم يكن قبلهنَّ سماوات ولا أرض، أما تسمع لقوله: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾» (٢).

وابعاً: ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾

- ١- أن قضاء الله للأشياء وإرادتها لا تحتاج منه إلى تفكير وبذل جهد وغيرها ممَّا يحتاجها الإنسان في إيجاد الشيء؛ لأنَّ الله مستغنٍ عن كلِّ شيء، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام عندما سأله صفوان بن يحيى: أخبرني عن الإرادة من الله ومن الخلق؟ أنه قال عليه السلام: «الإرادة من المخلوق الضمير وما يبدو له بعد ذلك من الفعل، وأما من الله تعالى فإرادته للفعل إحداثه لا غير ذلك، لأنَّه لا يروي، ولا يهتم، ولا يتفكر، وهذه الصفات منفية عنه وهي من صفات المخلوق، فإرادة الله تعالى هي الفعل لا غير ذلك، يقول له كن فيكون، بلا لفظ، ولا نطق

(١) نهج البلاغة ٢: ١٢١/١٨٦.

(٢) الكافي ١: ٢٥٦/٢.

بلسان، ولا هممة، ولا تفكر، ولا كيف لذلك، كما لا كيف له»^(١)، بينما نحن نجد أن من لوازم اتخاذ الولد أنه يحتاج في إيجاده ونشأته وتربيته وتدريب أموره إلى كل هذه الأمور المستغني الله عنها، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «الخالق من غير روية»^(٢).

٢- أن قضاء الله للأشياء وإرادة وجودها توجد بسرعة (كن فيكون) من شيء خارج عن الذات كلياً، ويتم بمجرد قوله وإرادته سبحانه، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «بائن عن خلقه بينونة صفة لا بينونة عزلة»^(٣)، بينما نحن نجد الولد لا يتم بمجرد القول والإرادة، ولا ينفصل عن الشيء من دون المثلية بوجه من الذات التي انفصل عنها.

٣- أن قضاء الله للأشياء وإرادة وجودها لا تخضع لعملية التدرج والمرحلية لأصل إرادة إنشائها - إذا أراد عدم التدرج في تكوين الشيء - «إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» (يس: ٨٢)، بينما نحن نجد أن الولد كعيسى وعزير وغيرهم يحتاج في أصل إنشائه إلى عملية التدرج في كل شيء منه، وإن كل موجود تدريجي له وجه غير تدريجي فلا ينسب شيء إلى الله «أَنِّي يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً» (الأنعام: ١٠١).

٤- أن قدرة الله لا تقتصر على الخلق الطبيعي المادي حتى يتخذ ولداً منهم، بل هناك ما هو أكثر شرفاً وإبداعاً وتطوراً من كل الخلق وهو إيجاد عين الشيء مجرداً

(١) الكافي ١: ٣/١٠٩.

(٢) نهج البلاغة ١: ٩٠/١٥٨.

(٣) الاحتجاج ١: ٢٩٩.

من الزمان والمكان ومجرداً عن الخضوع لقوانين الطبيعة من التغيير والتبدل (كن فيكون)، فلو فرضنا المحال بأن الله أراد اتخاذ الولد لآخذه من النوع الأشرف والأعلى.

س: هل تكوين الأشياء من قبل الله (كن فيكون) متوقف إيجاباً على القول: (فإنما يقول) بحيث إذا لم ينطق بكلمة (كن) لا يكون ذلك الشيء؟

ج:

هنا لا يعني القول هو ما كان من جنس الألفاظ في كلمة (كن) أو غيرها، بل لابد من التأويل بما ينسجم مع ذات الله التي ليس كمثله شيء، وأنه إذا قلنا: إن القول: بـ (كن) هو سبب الإيجاد والخلق سوف نواجه الأمور التالية:

١- أن القول والنطق بـ (كن) ليس قديماً ولا محدثاً للشيء فلا أثر للقول: (كن) في إيجاد الأشياء، لأن ألفاظ بـ (كن) كلها حادثة والحادث بنفسه يحتاج إلى محدث، فلا يجوز توقف الحادث على حادث مثله.

٢- أنه تعالى عندما يخاطب المخلوق بـ (كن)، فأمّا أن يكون خطابه متوجّهاً إليه قبل الإيجاد أو بعده، فعلى الأول يكون قولاً وخطاباً للمعدوم وهو سفه، وأمّا أن يكون بعد إيجاده فهو تحصيل حاصل.

٣- أن الله قادر بذاته، فإذا قلنا: إنه متمكن على الخلق والإيجاد بذاته فلا حاجة إلى القول: (كن)، وإن قلنا: إن تمكّنه على الخلق والإيجاد متوقف على قوله: (كن) المنفصل عن الذات، فهذا خلف كونه سبحانه وتعالى قادراً بذاته.

٤- أن الكاف والنون ليس لها أثر مستقل في إيجاد الأشياء، فالنطق بها من قبل الله لا دخل له في إيجاد الأشياء، وعليه يكون قوله هو عين إرادته.

٥- أن حصر قول الله بنطق الألفاظ هو تحديد لقدرة الله، فلما كنا لا نعلم من القول فيما بيننا إلا النطق بالألفاظ، هذا لا يعني أن الله كذلك، بل لا يجوز ذلك؛ لأنه سبحانه ليس جسماً، وأنه تحديد لقدرة الله، لأنه حينئذ يكون لا طريق ولا نوع آخر لقوله إلا النطق بالألفاظ، وهذا هو الآخر لا يجوز عليه سبحانه بل قدرته مطلقة. فلقوله سبحانه معانٍ لا يدركها العقل ولا يمكنه أن يحصره في زاوية معينة، فقد كلم الله موسى تكليماً لكنه من خلال شجرة، فهو طريق للتفهم والتفاهم غير نطقنا، وقد كلم الله الرسول ﷺ في الإسراء والمعراج ولا يعرف أحد ما هو الطريق الذي سلكه الله مع الرسول ﷺ لتفهمه وأنه حتماً غير النطق بالألفاظ، فله طرق للقول لا يحصرها شيء.

هذا بالإضافة إلى أن موضوع الآية هو القول المختص بالإيجاد (الإرادة) الذي يختلف حتماً عن القول بنطق الألفاظ من أجل التفهم والتفاهم.

س: هل استعمل القرآن كلمة القضاء لله في غير معنى الإيجاد؟

ج:

كثير ما استعمل القرآن كلمة القضاء في غير معنى الإيجاد منها:

- ١- الخلق، قال تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سِنْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ (نصلى: ١٢).
- ٢- الأمر والحكم، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ (الأحزاب: ٣٦).
- ٣- الإخبار عن الشيء، قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هُوْلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾ (الحجر: ٦٦).
- ٤- الانتهاء من الشيء، قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ

وَحْيَهُ ﴿طه: ١١٤﴾.

٥- بمعنى الأداء، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ مَمْتَرُونَ﴾ (الأنعام: ٢).

٦- الإرادة، كما هي الآية التي بين أيدينا من هذه السورة.

س: قول الله وقضاؤه هو عين إرادته وحكمته، وكل ذلك لا يعرف حق معرفته؛ لأنه متعلق بالله وصفاته وذاته التي حيرت العقول، ولكن هل بإمكانك أن تعرف لنا الإرادة الإلهية بشكلها السطحي؟

ج:

الإرادة الإلهية: هي الإيجاد عن علم وحكمة، فهي من صفات الفعل، وهي عين فعل الله.

س: ما هي الأدلة التي تثبت الإرادة لله؟

ج:

أولاً: العقل

فبعدما أدرك العقل ضرورة وجود الخالق، وأن الخلق وما يحمل من صفات لابد أن يمتلكها الخالق على أساس أن فاقد الشيء لا يعطيه، فالإرادة منها، ولأن من ملازمات بعض صفاته كالعلم والحكمة الفاعلية على وجه الاختيار، معناها الإرادة.

ثانياً: الكتاب

١- قال تعالى: ﴿...إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (الحج: ١٤).

٢- قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (النحل: ٤٠).

٣- قال تعالى: ﴿... إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (الأحزاب: ٣٣).

الثالث: المشيئة

١- ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «خلق الله المشيئة بنفسها، ثم خلق الأشياء بالمشيئة»^(١).

٢- ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «... واعلم أن الإبداع والشيئة والإرادة معناها واحد وأسماؤها ثلاثة»^(٢).

٣- ورد عن سليمان بن جعفر الجعفري أنه قال: قال الرضا عليه السلام: «الشيئة والإرادة من صفات الأفعال، فمن زعم أن الله لم يزل مريداً شائياً، فليس بموحداً»^(٣).

س: إلى كم قسم تقسم إرادة الله، وما هي أهم الفوارق بينها؟

ج:

الإرادة الإلهية تقسم إلى قسمين هما:

الأولى: الإرادة التشريعية

وهي الإرادة المختصة بتشريع الأحكام وتأسيس وحدات النظام وسنّ القوانين، كتشريع الله للإنسان الأحكام الشرعية والكتب السماوية والنبوة والرسالة والإمامة والوحي ومهام الملائكة، ومن مميزات هذه الإرادة:

أ) أنها من الله وحده؛ لأنه هو المشرع وحده لجميع خلقه بما يحتاجه من

(١) الكافي ١: ٤/١١٠.

(٢) تحف العقول: ٤٢٤.

(٣) التوحيد: ٥/٣٣٧.

تشريع ونظام.

(ب) أن هذه الوحدات التشريعية هي حق في ذاتها وهادية في ذاتها فلا تتخلف في جعلها التشريعي في أنها هادية للإنسان ومن العناصر التشريعية الحق، فالنبوة والإمامة والكتب عناصر تشريعية لا ريب فيها على ما اختارها الله من أن تكون من عناصر الهداية والتشريع، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ٢)، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا...﴾ (البقرة: ١١٩)، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ (البقرة: ١٧٦)، ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ كُفْرًا مِّن رَّبِّكُمْ فَآمَنُوا خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ١٧٠)، ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّة يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (الاعراف: ١٥٩)، ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّة يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (الاعراف: ١٨١). *تحقيقاً كما في ترميز علوم إسلامي*

(ج) يمكن أن تتخلف من حيث النتيجة والواقع لا لنقص في ذات الوحدات التشريعية وأنها من عناصر الهداية والتشريع، بل لسبب خارجي عنها فلا تتحقق، فإن الله أراد بتشريع الحق ووحداته الحق أن يهدي الإنسان وأن يلتزم الحق ولا يعصي الله في الأرض ولا يفسد فيها، ولكن قد حصل العصيان وأصبح الناس أكثرهم للحق كارهون، باعتبار أنه في الإرادة التشريعية لله أراد الله أن تكون إرادة الإنسان محفوظة وله حق أن يختار أو لا يختار ليرتب الثواب والعقاب، وهنا يحصل التخلف، فلا تخلف بين الإرادة الإلهية ومراده.

الثانية: الإرادة التكوينية:

وهي على قسمين:

١- **الإرادة التكوينية الصرفة**: وهي الإرادة المباشرة منه، والتي ليس لغيره دخل في تحققها، ولا لأي شيء دخل فيها، وهي التي يحكي عنها قوله تعالى: ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس: ٨٢)، ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (البقرة: ١١٧)، ومثالها خلق الله وتكوينه لكل شيء ومنها أصل خلق وتكوين عناصر الهداية التكوينية العامة والخاصة التي تحدثنا عنها في سورة الفاتحة آية ٦، فمرجع الكل إلى هذه الإرادة. ومن مميزات هذه الإرادة هي:

أ- أنها منه سبحانه ولم يشرك أحداً بها ولم تتوقف على شيء أبداً.
 ب- لا تتخلف عن التحقق أبداً وبأي وجه من الوجوه (كن فيكون) فتأتي الأشياء كما أرادها الله أن تكون وتبقى على ما هي، فعندما خلق كل شيء فكل شيء قد جاء على ما أراد الله، وعندما حدّد الله الوحدات التشريعية أو التكوينية للشيء أو خلق وحدات الهداية وتكوينها فيستحيل التخلف في أن تكون بذاتها ليست من عناصر التشريع مثلاً أو أنها ليست من عناصر الهداية مثلاً، كلا فلا يحصل هذا التخلف.

ج- إذا أراد الله من الشيء أن يحصل بصورة دفعية واحدة بجميع وحداته التي أرادها الله فهي تحصل بهذه الإرادة، وإن أراد الله الحصول التدريجي من الشيء فهو يحصل بصورته التدريجية من دون تخلف بهذه الإرادة كذلك ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ...﴾ (هود: ٧)، فإنه في جميع الأحوال أراد الله ألا تتوقف إرادته على شيء، فهي بذاتها إرادة (لا بشرط) ومن دون توسط أي شيء أبداً، ولم يدخل ما يزاحم المراد الإلهي ولو بالإمكان، فلحاظ الدفعي والتدريجي في نفس (كن فيكون).

٢- **الإرادة التكوينية غير الصرفة**: وهي الإرادة الإلهية الصادرة منه وبالمباشرة إلا أنه

لإرادة الإنسان نحو دخل فيها، مثالها إرادة جعل العصمة التي هي الجامع المشترك بين النبي و الإمام وغيرهما - فإنَّ العصمة غير النبوة والإمامة - ومثال هذه الإرادة قال تعالى: ﴿...إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (الأحزاب: ٣٣)، فهذه الإرادة في هذه الآية لم تكن تشريعية؛ لأنَّ موضوع الآية خارج عنها، ولم تكن تكوينية بالمعنى الأول؛ لأنها تسبب الجبر، وإنَّ المعصوم لم يكن يستحيل صدور المعصية منه ذاتاً؛ لأنَّ إرادته في ذلك محفوظة واختياره لذلك محفوظ وقدرته على فعل المعصية محفوظة وبشريته محفوظة، ولكن الذي يستحيل هو وقوع المعصية منه خارجاً، لما أعطاه الله وزوده من المقومات التكوينية التي تحقق العصمة في نفسه فيستحيل منه وقوع المعصية خارجاً بأيِّ وجه وفي أي فترة زمنية من فترات حياته. ومن مميزات هذه الإرادة:

أ- أنَّ المقومات التكوينية من الله وإرادته التكوينية مع الحفاظ على اختيار وإرادة المعصوم، وهو مسؤول عن المحافظة عليها.

ب- لا تتخلف عن التحقق بأيِّ وجه من الوجوه، فكلُّ مَنْ اختارهم الله واصطفاهم لأن يكونوا أنبياء أو أئمة أو معصومين فقد كانوا كذلك.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «المعصوم هو الممتنع بالله من جميع محارم الله»^(١)، فالممتنع بالله لا بالإرادة التكوينية الأولى، بل بواسطة المقومات التكوينية التي سيأتي توضيحها في مبحث الإمامة والعصمة في هذا المجلد إن شاء الله.

(١) معاني الأخبار: ٢/١٣٢.

س: نحن نشعر بالوجدان والحس بوجود الإرادة عند الإنسان، فهل يمكنكم
تعريف إرادة الإنسان؟

ج:

إرادة الإنسان: هي فعل الإنسان وعامله الرئيسي الصادر من مقدماته التي
تسمى بمقدمات الفعل أو الإرادة، من الإدراك، وتوجّه النفس، والعزم، والجزم.



مركز تحقيقات کامپویر علوم اسلامی

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ (البقرة: ١١٨-١١٩)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيتين؟

ج:

- ١- لولا: أداة تستعمل أ- لامتناع الشيء لأجل وجود غيره. ب - للعرض والطلب.
- ٢- الجحيم: النار المضطربة وشبَّ وقودها.

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: في الآيتين المذكورتين أعلاه؟

مركز تحقيقات كميونر علوم إسلامي

ج:

أنَّ سؤال أيِّ نبي من قبل الناس حالة طبيعية سواء كان السؤال معقولاً أو لم يكن معقولاً، ولكن في كل الأحوال يجب أن يكون السؤال نابعاً عن طلب فهم من قبل السائل وعن نيّة خالصة ومقصد شريف، أمّا الأسئلة التي لم تكن في نفسها معقولة ولا أن يكون سائلها من الذين يريدون فهم الجواب، بل هو ناتج عن أغراض لثيمة ونابع عن حالة أخلاقية سيّئة، فمثل هذه الأسئلة ونوعية السائل لم تكن جديدة في صدر الإسلام ولا على الرسول ﷺ، بل هو أسلوب قديم في المكر والخداع يستعمله أعداء الله ورسوله، وقد أُجيب مسبقاً على كلِّ سؤال ومن أيِّ سائل كان، فكانت النتيجة واحدة بعدم الفائدة المتوخّاة من الإجابة عليها وعدم الفائدة من صرف الجهد وبذل الوقت فيها؛ ولهذا عندما تعود نفس الدوافع ونفس الأسئلة فلا داع للإجابة عليها لعدم وجود الجدوى في ذلك ولعدم حصول التغيير

في نفوسهم وأفكارهم، فهم باقون على ما هم عليه من عدم العلم قبل السؤال وبعد الجواب. فطلب كبار المشركين من أن يكلمهم الله كما يكلم الرسول ﷺ أو ينزل عليهم الآيات والمعجز فهي مجرد اقتراح لا أنهم يبتغون الهداية من وراء هذا الطلب، وقد مرّت التجربة مع أمثال هؤلاء من بني إسرائيل التي لم تزدهم الإجابة على أسئلتهم إلا تمرداً وبعداً عن الله، فلا داع لتكرارها، بل تكرارها يعدّ لغواً وحاشا لله من ذلك.

نعم، إذا حصل من يعلم بأن ما يطرح عليه بأنه معجز ومن عالم الغيب ويربط بين الحوادث ويستخلص النتيجة ويلتزم بها فالأنبياء مستعدون أن يجيبوا عن كل سؤال تطرحه مثل هذه الجماعة التي تريد البحث عن الحق، وقد طرح بما فيه الكفاية لهؤلاء ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾، ولم تكن أنت أيها الرسول مسؤولاً يوم القيامة عن هؤلاء الذين اختاروا طريق الجحيم كمنثوي لهم من المشركين والكفار ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾، ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ (البقرة: ٢٧٢)، فانت الحقّ وكتابك الحقّ وما تدعو إليه هو الحقّ، وما دورك فيهم إلا أن توصل كلمتك للناس من البشارة لهم بالجنة بتوضيح طريقها الموصل إليها وتنذرهم جهنم بتوضيح طريقها الموصل إليها ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾.

س: كيف تثبت أنّ هذه الشبهات كان المقصود منها ضرب النبوة والتعمد في تكذيبها وأنها طريقة حرب مستمرة ضد الإسلام والرسول ﷺ؟

ج:

لو عرضنا بعض ما طرح من الشبهات كنموذج سواء كانت قد صدرت من أهل الكتاب أو من مشركي العرب بهذا الخصوص لرأينا أنهم قالوا: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَنْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ (الإسراء: ٩٠)، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا

لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةَ أَوْ نَزَى رَبَّنَا ﴿الفرقان: ٢١﴾، ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزَلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾ (النساء: ١٥٣).

والجواب على كل هذه الشبهات وأمثالها ينحصر في النقاط التالية:

أولاً: أن وجود النبي لم يكن شيئاً مستحدثاً لا عند أهل الكتاب ولا عند مشركي العرب، وإذا لم يكن شيئاً مستحدثاً فهم يعرفون الأمور التالية:

١- لم تكن مهمة النبي إلا تبليغ الرسالة وهداية الناس إلى الله، فهو لم يكن من

اختصاصه تفجير الينابيع أو يصنع من الطين كهيئة الطير أو يبرئ الأكمه أو ما

يخصّ المدينة إجمالاً ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ

مُبِينٌ﴾ (العنكبوت: ٥٠)، فلا بد من أن يُسأل النبي عمّا باختصاصه من الأمور

المتعلّقة بالعقيدة وما يدعو إليه.

٢- النبي لم يكن بيده اختيار التنزيل ولا نوعية التنزيل سواء كان ما يختصّ بالرسول

أن يكونوا من الملائكة أو غيرهم وسواء كان مختصاً بالرسالة بأن يجعلها الله

مثلاً كلّها دفعة واحدة مجموعة بألواح كما كانت لموسى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا

لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ (الفرقان: ٣٢)، فلا بد أن يُسأل عمّا هو واقع

تحت اختياره وإرادته.

ثانياً: قد يجيبون على ما ورد بأننا نعرف ذلك ولكن نريد معجزة منه لنصدّق به

كئيب كما هو دور المعجزة مع كلّ نبي، من هنا نعرف أن مسألة إثارة هذه الشبهات

متعلّقة بالإيمان بنبوة الرسول ﷺ لا الإيمان بالله، فسوف نجيبكم على ما أثارتموه

بالنقاط التالية:

١- لماذا تثيرون نفس ما أثاره الذين من قبلكم من رؤية الله لكم وكلامه إليكم

وإرسال ملائكته وغيرها من الأمور التي أصبحت واضحة الجواب عليها، فإذا كنتم لا تعلمون حقاً فاسألوا أهل العلم ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾، ﴿فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ (يونس: ٩٤)، فإثارة نفس الشبهات مع عدم الرجوع بها إلى من يعلم بجوابها يقيناً يدل على أن لكم غرضاً هو غير طلب الفهم والتصديق بالنبي، وهذا الغرض والدافع السيئ هو نفسه كان موجوداً في قلوب الذين من قبلكم ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾.

٢- إذا كان طلبكم المعجزة فالقرآن هو المعجزة، بل هو من أوضح المعاجز وأوسعها؛ لأن تلك المعاجز إذا كان يقتصر وجودها ورؤيتها على بعض دون بعض فإن هذه المعجزة - أي القرآن - بين يدي كل واحد منكم فلو أردتم حصول اليقين اطلعوا عليه فستجدون أنه معجز من الله من دون شك ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ (العنكبوت: ٥١)، فطلبكم لمعجزة أخرى أو بما هو أدنى منها أو زيادة عليها يكشف عن أن طلبكم للمعجزة لا لأن تصدقوا بنبوّة الرسول وإنما بدافع من اللجاجة كما هي التجربة السابقة مع بني إسرائيل.

٣- لو أجابكم الله على ما طلبتم لم ينفع ذلك في إيمانكم، لعلمه سبحانه بخبث سرائركم التي لا تدعن للحق مهما جاء تكتم من الواضحات الدالات على نبوة محمد ﷺ؛ وذلك للأسباب التالية:

١- خبث السريرة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (الأنفال: ٢٣).

٢- الكذب، قال تعالى: ﴿فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ (الملك: ٩).

٣- العناد، قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (الأنعام: ٧).

٤- الحسد، قال تعالى: ﴿يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنزَلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ (البقرة: ٩٠).

٥- الاتهام من دون دليل هي الحالة المستمرة والدائمة مع الأنبياء، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ (الحجر: ٦)، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (النحل: ٢٤).

٦- اختلال الموازين والمقاييس التي يقيسون الناس بها ويحكمون عليها ويتخذون الموقف على أساسها، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (الزخرف: ٣١)، ﴿لَوْلَا أَنزَلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ﴾ (هود: ١٢).

٧- التقليد من دون رجوع إلى عقل، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ (المائدة: ١٠٤).

٨- كراهيتهم لأصل الدين والتدين، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ (محمد: ٩).

٩- الشك في كل ما يتعلق بالغييب، قال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي﴾ (ص: ٨).

١٠- يعيشون حالة النفاق دائماً، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ (النمل: ١٤).

﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ
 اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ
 اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ
 يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾ (البقرة: ١٢٠-١٢١)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيتين؟

ج:

١- الملة: الشريعة.

٢- ما لك: ليس لك.

س: ما هو المحتمل من التفسير لقوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا
 النَّصَارَىٰ... فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾؟

ج:

العامل التربوي العام الخاطئ الذي يملأ نفوس وذهنية اليهود والنصارى، بل
 وغيرهم من أهل الكتاب - وإنما ذكر اليهود والنصارى باعتبارهم يمثلون النموذج
 البارز من أهل الكتاب - هو التمحور حول اسم الدين الذي أسموه باسم الملة من
 دون الالتفات إلى ما يطرحه الدين من فكرة ومن دون فحص والتدقيق حول أصل
 الفكرة والبحث عن منشئها، فليس قيامهم على الدين نابعاً من قناعة فكرية وارتكاز
 علمي وامتلاك حجة بالغة، فإن لم يكن قيامهم على الشيء بهذا المنحى لا يبقى إلا
 أن يكون الالتفاف حول دينهم نابعاً من أهواء ورغبات نفسية ونتاجاً عن الجهل
 والتعنت والاستكبار والحسد وحب السلطة والدنيا والتعصب الأعمى بحيث وصلوا

إلى مرحلة لن يُرجى منهم الانفتاح على الحق بما هو حق ﴿لَنْ تَرْضَى عَنْكَ﴾. ورد في الحديث: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ مَجْتَهِدًا فِي طَلَبِ مَا يَرْضِيهِمْ لِيَقْبَلُوا إِلَى الْإِسْلَامِ وَيَتْرَكُوا الْقِتَالَ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: دَعِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِمُجَاهَدَتِهِمْ»^(١)، بينما نجد القرآن لا يربّي المتمسّكين به على اسمه من دون تفكّر ومن دون حركة في العقل في جميع الأمور المتعلقة بالدين.

ومن هنا نجد القرآن مخاطباً أصحاب العقول والألباب لعلمهم يعقلون ويتفكّرون ويعلمون، هذه هي تربية الإسلام للمسلمين، ولهذا تجد أنّ المسلمين في كلّ عصر يدعون إلى حوار الحضارات منذ الصدر الأوّل للإسلام وإلى يومك هذا؛ لأنّ الإسلام يدعو الفرد للتمحور حول حقانية الفكرة وما تعطيه من العمق ولم يجعله مختاراً إلا في اتخاذ الصحيح من الفكرة والموقف الحق؛ لأنّ في الحق كمال الإنسان وترقيته واستعمالاً للعقل في موضعه الطبيعي، ولهذا تجد من تبعات خذلان الحق وتركه هو خسارته لنفسه ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ وخسرانه لولاية ربّه عليه ونصرته له ﴿وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَّلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

فالمسلم ينطلق بقوة نحو العالم على الأساس التربوي والفكري العلمي الذي رسمه الإسلام للمسلمين ﴿بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾، فلا يعيش المسلم حالة الانفلاقية التي يعيشها اليهود والنصارى في عملية الاتّباع للفكرة ولم يلهث المسلمون وراء الاسم والكسب العددي ﴿حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ دون الحصول على المحتوى الجيد والقوي فيما يصدع من الحق والحقيقة وأنّه من الله ﴿قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ

هُوَ الْهُدَى ﴿١٢٠﴾ .

فهذا هو هدى الإسلام الذي هو هدى الله، وهذا هو هدى أهل الكتاب الذي ليس بهدى وإنما هو عملية دعوى إلى الجهل وما أملت عليهم رغباتهم وأهواؤهم وتعصباتهم وتحريف كتبهم التي ضلّوا عليها عاكفين من دون تدبّر ومن دون التزام بنصوص كتبهم الأصلية التي لم تنلها يد التحريف ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ .

س: على ما مرّ، هل يمكن التقييم والحكم على كل اليهود والنصارى في نهجهم العقائدي أنهم هكذا إلى يومنا هذا؟

ج:

أولاً: لو نظرنا إلى الضمير اللفظي (عنك) التي قد تشعر بأنها حالة خاصة مرّ بها اليهود والنصارى في صدر الإسلام وزمن الرسول ﷺ، فلا يجوز التعدي في التقييم والحكم على كل اليهود والنصارى وفي جميع الأعصار

ثانياً: لو تتبّعنا بقية الآية سوف نرى أن هذه الحالة من التمحور والانغلاقية بهذا الشكل السليبي لم يكن أمراً يتبعه كل اليهود والنصارى، بل بعضهم يتلون الكتاب سواء كان التوراة أو الإنجيل أو القرآن ويطلعون عليه على أساس عقلي مجرد عن كل دافع سلمي ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾، ومن خلال مطالعتهم يحاولون أن يقتنصوا الحقيقة ويلتزمون بها ثمّ ينتقلون إلى الإسلام فيتبعونه وإن كلّفهم ذلك الشيء الكثير ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ وإن كانوا قليلين دائماً.

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾؟

ج:

المراد من حق التلاوة عرض معانيها ما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى:

﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ أنه قال: «يرتلون آياته، ويتفقهون به، ويعملون بأحكامه، ويرجون وعده، ويخافون وعيده، ويعتبرون بقصصه، ويأتمرون بأوامره، وينتهون بنواهيها. ما هو والله حفظ آياته ودرس حروفه، وتلاوة سورة، ودرس أعشاره وأخماسه، حفظوا حروفه وأضاعوا حدوده. وإنما هو تدبر آياته والعمل بأحكامه، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾»^(١).

س: أن الله يعلم من أن رسوله لم يتبع أهواءهم لعصمته فلماذا يحذره من هذا الشيء، بل ويهدده ﴿وَلَنْ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾؟

ج:

١- العصمة ليس معناها أن المعصوم لا يقدر على فعل الذنب وأنه خارج عن اختياره، بل فعل الذنب تحت اختيار المعصوم ولكن لم يفعله لإيمانه وبقينه وقوة إرادته وملكاته العالية وبسبب مجموع ما قدمه الله من مقومات العصمة إليه بحيث لا يفعل الذنب وإن كان ما هو أقل من الصغير ولا يفكر به أصلاً، فقد تكون هذه الآية لكشف هذه الحقيقة مع علمه أنه لا يقع منه هذا الشيء ولا أصغر منه؛ ولهذا جاءت الآية بصيغة الجملة الشرطية التي لا تعني وقوع شرطها وتحققه خارجاً، وبالتالي يمكننا القول: إنه نوع تربية الله لنبيه ومتابعته له، بل يمكن القول بأن أمثال هذا الخطاب هو بنفسه أحد المقومات الإلهية التي تحافظ على عصمة النبي أو الإمام، وستأتي تنمّة الكلام في بحث الإمامة في هذا المجلد إن شاء الله.

٢- قد تكون الآية من باب (إياك أعني واسمعي يا جارة)، صحيح أن المخاطب هو الرسول ﷺ ولكن يريد أن يبين الحقيقة للمسلمين بأن أتباع هؤلاء أو الطمع في كسبهم إلى الإسلام لا فائدة مرجوة فيه، بل قد توقعكم في أن تميلوا إلى أهوائهم وتتنازلوا عن بعض مبادئكم وتغيروا من ثوابتكم، وعند ذلك سوف لا تحصلون إلا على الهزيمة والخسران التي كسبتها أيديكم بحسن ظنكم باليهود أو النصارى وبالتالي لم تجدوا الله ناصرًا لكم؛ لأنه خلق القانون الاجتماعي وهو أن القوي يأخذ الضعيف، ولم يتدخل الله في تغييره إلا في الحالات التي تهدد دينه.



مرکز تحقیقات کاپویر علوم اسلامی

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ • وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ (البقرة: ١٢٢-١٢٣).

س: هل مرّ تفسير هاتين الآيتين سابقاً؟

ج:

نعم قد مرّ ذلك في تفسير الآيتين في سورة البقرة آية (٣٧ - ٤٨)، وتكرارهما هنا لعله أنّ الله سوف يترك الحديث عن بني إسرائيل لينتقل إلى حديث آخر بعيداً عنهم فهو كالختم في الحديث، ومن الجميل في الختام أن يذكر الله الإنسان الذي يريد أن يطلع على حياة بني إسرائيل ويشاهد صور حركتهم وردود فعلهم بالنعمة التي أنعمها عليهم في الدنيا مع شيء من التخويف عند عرض صورة من صور الآخرة ووقفه من وقفاتها، فقد مرّوا بأعلى رتب النعيم حيث فضلهم على العالمين ترغيباً وبأعلى الترهيب حيث منع عنهم الشفاعة والنصرة يوم الآخرة، فلم ينفع الأسلوبان بهم بدايةً ووسطاً ونهايةً، ليأخذ الإنسان الدروس والعبر من هذه الحركة حتّى يتقي الإنسان ربّه عندما لا يقع بما وقع به الآخرون.

﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا
قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ١٢٤)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:

١- الابتلاء: من بليَ وهي الخلق، الذي هو ظهور لجمته وسداه، وبروز واقعه وحقيقته للناس ولصاحب الثوب، واستعملنا في الامتحان والاختبار لأنهما يظهران حقيقة الشيء وواقعه.

٢- أبراهيم: قيل: إنها كلمة سريانية تفيد معنى الأب الرحيم.

٣- الإتمام: هو انتهاء الشيء بحيث لا يحتاج إلى شيء آخر.

٤- الإمام: من يقتدى به سواء كان شخصاً أو شيئاً آخر ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ (هود: ١٧).
مركز تحقيقات كامپيوتر علوم اسلامی

٥- الذرية: النسل.

● الإمامة والعصمة

س: كيف ستوزعون بحثكم حول الإمامة؟

ج:

بحثنا في الإمامة سيكون على قسمين:

الأول: حقيقة الإمامة الخاصة والإمام الخاص، وهذا ما سيشمله هذا البحث من

أسئلة وأجوبة بهذا الخصوص فقط.

الثاني: حق الولاية والحكم السياسي للإمام وخصوصاً أئمة أهل البيت سلام

الله عليهم بعد رسول الله ﷺ، وهذا ما سترجئه إلى آياته إن شاء الله.

س: متى حصل إبراهيم عليه السلام على الإمامة؟

ج:

في أواخر عهد إبراهيم عليه السلام وبعد أن بلغ من الكبر، وبعد أن رزقه الله بالذرية إسماعيل وإسحاق، وبعد أن اجتاز مرحلة التكليف بالنبوة والرسالة بكلّ نجاح وإخلاص، وبعد أن تحمّل ما تحمّل من المعاناة في طريق تبليغ رسالته، وبعد أن أتمّ كلّ الكلمات.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ عَبْدًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ نَبِيًّا، وَإِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَهُ نَبِيًّا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ رَسُولًا، وَإِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَهُ رَسُولًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ خَلِيلًا، وَإِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَهُ خَلِيلًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ إِمَامًا، فَلَمَّا جَمَعَ لَهُ الْأَشْيَاءَ قَالَ: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾» قال عليه السلام: «فَمِنْ عَظَمَتِهَا فِي عَيْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾» قال عليه السلام: «لَا يَكُونُ السَّفِيهَ إِمَامَ التَّقِيِّ»^(١).

س: لماذا بدأ الله بذكر إبراهيم عليه السلام من أواخر عمره؟

ج:

لإبراز الإمامة وإظهارها كأصل من أصول الدين وأعمدته، وذلك للأمر التالية:
١- سياق الآيات السابقة التي تحدّثت عن الله وعن الميعاد من الجنة والنار وعن النبوة، وتمّ توضيح معانيها والشبهات التي طرحها حولها من خلال ما طرحه أهل الكتاب والمشركون من العرب ولم يبقَ إلا الإمامة وقد طرحها الله في هذا الموقع لمناسبتها.

٢- بيان أهميّة الإمامة العالية عند الله وأفضل بيان لعلو شأنها البارز من خلال

شخصية إبراهيم عليه السلام الذي لم يحصل عليها إلا بعد أن تجاوز من العمر الذي قضا في تركيز عقيدة التوحيد والمجاهدة العالية للنفس وفي ميدان العمل، والتي حصل من خلالها على المراكز الإلهية من العبودية والنبوة والرسالية والخليلية، وبعد أن أتمَّ كلَّ الكلمات حصل على الإمامة، فالإمامة ليست أمراً يتناوله ويلقَّب به كلٌّ مَنْ تمنَّاهَا ورغب فيها واجتهد بالحصول عليها.

٣- أن إبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء الذي تتفق على نبوته جميع أهل الديانات، وعليه فما من بحث يتعلَّق بإبراهيم إلا وأن تكون الإمامة كجزء مهم في البحث، فموقعها هنا من أجل أن يتعرَّف كلُّ إنسان على هذا الأصل العقائدي الذي به تتم كلمات العقيدة ويكمل النظام العقائدي للحياة.

٤- قد عرَّف الله الإمامة في هذه الآية تعريفاً إجمالياً، وقد سلَّط الضوء على أهم أركانها من مغايرتها لكلِّ المفاهيم من العبودية والنبوة والرسالية والخليلية وغيرها، وحصولها لا يكون لكلِّ أحد حتى لو كان نبياً ومن ذرية إبراهيم عليه السلام، وأنها ستكون فعلية وواقعة لبعض الذرية وممتدة إلى يوم القيامة، وإنها بعيدة عن غير المعصوم كما سترى ذلك من خلال التوضيح إن شاء الله.

٥- جعل الإمامة في إبراهيم عليه السلام لا يعني الإشارة إلى بداية نشوتها وأنه أوَّل مَنْ حصل عليها، فإنَّ الأنبياء السابقين لإبراهيم عليهم السلام أجمعين قد حصلوا على الإمامة وخصوصاً أولو العزم من الرسل الذين اصطفاهم الله على العالمين، فإنَّ الجعل الجديد لإبراهيم لا ينفي وجود الإمامة قبلاً، وإنما إبرازه في إبراهيم للسبب الذي ذكرناه.

٦- أن هذا الجعل الجديد جاء مرتباً على إتمام الكلمات، بمعنى ومفهوم أنه لو لم

يتمّ إبراهيم ﷺ الكلمات لما حاز على الإمامة، وهذا مميّز آخر للإمامة لا بد أن يلتفت إليه أصحاب الوجدان من الباحثين.

س: ما هي المحتملات التي ترد في ما هو المراد من الكلمات؟

ج:

الكلمة استعملت في القرآن في معانٍ مختلفة منها:

١- الكلمة بمعنى القول من الألفاظ، قال تعالى: ﴿وَكَلِمَةٌ اللَّهُ هِيَ الْعُلْيَا﴾ (التوبة: ٤٠).

٢- الكلمة بمعنى العمل والفعل، قال تعالى: ﴿بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (آل عمران: ٤٥).

٣- الكلمة بمعنى الذات الخارجية، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ﴾ (الزخرف: ٢٨).



وسوف يمرّ الحديث عنها بصورة أكثر تفصيلاً في المجلد الخامس في مبحث الإصطفاء لذكريا ويحيى.

وفي جميع الأحوال يراد من الكلمة القول إلا إذا حُفَّت بقرائن حالية أو لفظية تصرف عن معناها إلى الفعل أو الذات، كما في موردنا ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾، حيث بقريئة الابتلاء نعرف أنّ المراد من الكلمات هو مجموعة القضايا والأحداث والأعمال التي أبتم بها إبراهيم ﷺ من معيشتته في بيت آزر، نار نمرود، الهجرة، ذبح إسماعيل وغيرها ممّا سيمرّ ذكره في محله وعند سرد قصة إبراهيم ﷺ إن شاء الله.

س: لماذا لم يبيّن الله ماهية الكلمات ولو إجمالاً؟ اذكر المحتملات في ذلك؟

ج:

- ١- ليس هناك غرض متعلق بنفس الكلمات.
- ٢- هناك تعمد لإخفائها حتى يعطي للغرض أهمية كبرى وليتفرد ببروزه حتى يكون مصب الالتفات إليه وعليه، فإذا كانت أغلب الآيات القرآنية تحمل عدّة من الأغراض الصحيحة في وجودها في تلك الآية وعدّة مواضع فإنّ هذه الآية لا تحمل إلاّ غرضاً وموضوعاً واحداً وهو بيان الإمامة ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، لإظهار حقيقتها والتعرّف عليها، وبيان بعض من أهم شروط الحصول عليها، وما ذلك إلاّ لأهميتها في الفكر الإسلامي وفي حياة المسلمين والناس أجمعين.

٣- أن تكون الكلمات معروفة من خلال نظرة بسيطة إلى استعمال الكلمة في القرآن أو بما يفهمه الإنسان من الكلمات التي هي مجموع الآيات التي تحمل الأوامر والنواهي لإبراهيم عليه السلام، فإذا كانت واضحة ولو ببذل جهد بسيط فلا داعٍ لذكر التفصيل والخوض في ماهية الكلمات.

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في مَنْ هو الفاعل للفعل (أتمهنّ)؟

ج:

- ١- أنّ الذي أتمّ الكلمات هو إبراهيم عليه السلام بإخلاصه وتفانيه من أجل الله وبثباته وصبره من أجل رسالة الله وبامتثاله الدقيق لما أراد الله منه ونجاحه العالي في ما مرّ عليه من الابتلاءات والمحن.

٢- أنّ الذي أتمّ الكلمات هو الله بتسديده لإبراهيم عليه السلام وتوفيقه له.

ولكن الأول أرجح وذلك للأسباب التالية:

- ١- لكونه وصفاً لم يصف به الله نبياً إلا إبراهيم ﷺ.
- ٢- لكون هذا الوصف جاء بعد ابتلاء إبراهيم ﷺ فهو المعنى بإتمام الامتحان.
- ٣- أن الإمامة متوقفة على إتمام الكلمات من قبل إبراهيم وإلا يكون تقديم الإمامة له من دون مميز يميزه عن بقية الأنبياء الذين سبقوه.
- ٤- أن المتتبع لحياة إبراهيم ﷺ من خلال القرآن لم يجد في حياته الرسالية خدشة تذكر ولو في مجال ترك الأولى، كما ذكر القرآن حدوث ذلك في مسير آدم ويوسف وداود ويونس عليهم السلام جميعاً، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على أن إبراهيم ﷺ هو الذي أتمّ الكلمات التي ابتلي بها.

س: ما هي الأدلة التي تثبت أن إبراهيم ﷺ قد حصل على الإمامة وهو في أواخر عمره؟



مركز تحقيقات كميّات علوم إسلامي

ج:

- ١- نحن قلنا سابقاً واعتماداً على ماورد من الروايات: أن إبراهيم ﷺ قد حصل على الإمامة بعد النبوة والرسالة والخليلية ثمّ جاءته الإمامة.
- ٢- أن من جملة الابتلاء وأعظمه هو محاولته لذبح إسماعيل ﷺ وقد رزقه الله به وهو على الكبر، قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (إبراهيم: ٣٩).
- ٣- أن سؤال إبراهيم ﷺ ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ دليل على أن الإمامة قد جاءت في أواخر عمره؛ لأنه عندما جعله الله إماماً فهو إما قد كان في حال وجود الذرية أو لا، فعلى الأول يكون قد حصل ذلك في أواخر عمره كما هي النقطة الثانية، وإن كان قبل وجود الذرية فهو إما أنه لا يعلم بأنه ستكون له ذرية أو يعلم بذلك،

وعلى الأول لا معنى لسؤاله ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾، وإن كان يعلم بذلك فقد حصل له العلم في أواخر عمره الشريف، قال تعالى: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَلَبَسَ رَنَاءً مَا شِئْتَ مِنْ وِزْرٍ وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَسْوَئِلَنِي أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ (هود: ٧١-٧٣).

س: لماذا لا يشمل عهد الله (الإمامة) الظالمين؟

ج:

أولاً: لأن الله أبعد ما يكون عن الظلم وأن يعطي عهده إلى ظالم وأن يبرم عهداً مع ظالم.

ثانياً: عدم إمكان الإقتداء بمن هو ظالم ومرفوض عقلاً وشرعاً؛ لأنه ليس أهلاً للإقتداء به من قبل العقلاء والصالحين. *بيروت علوم إسلامية*

ثالثاً: أن العهد يؤخذ من الإنسان لأن يكون إماماً على أن يرفع الظلم عن العباد، فكيف يصح إبرامه مع من يكون بنفسه ظالماً؟!.

رابعاً: أن العهد والإمامة منتهى الكمال الإنساني وأكمله، والظلم نقص، فلا قابلية للعهد أن يتلبس بالظالمين، كعدم تفاعل بعض العناصر الكيميائية مع عنصر كيميائي آخر لو نقصت جزيئة من جزيئاته التركيبية أو ذرة من عدده الذري فلا يعطي التركيب المطلوب.

خامساً: الأمر الفطري الذي يحكم الناس وخصوصاً في مسألة إعطاء ذمهم ومقاليد دنياهم ودينهم بيد من كان ظالماً ولو لحدث واحد، فإنه يبقى في أذهان الناس ويؤثر في نفوسهم سلباً ويبرزون ذلك النقص ويظهرونه عند الحاجة

والاحتجاج ممّا تُفقد اللياقة من هذا الظالم على أن يكون إماماً لهم.

سادساً: الإمام الخاص المعين من قبل الله لم تكن إمامته لمجتمعه ولا لقريته ومدينته فقط، ولا تنتهي بموته، بل يبقى قدوة بقوله وسلوكه للعالمين، وتلبّسه بالظلم ولو لفترة من حياته ولو لمرة واحدة يفقده هذا النوع من الأسوة والقدوة للناس أجمعين.

سابعاً: طبيعة الناس وسيرهم العقلاني يرفض أن يكون الإمام الخاص قد تلبس بظلم ولو لفترة من حياته أو ولو لمرة واحدة، فإنّ الجاهل إذا صدرت منه خطيئة صغيرة أو كبيرة تغتفر له ولكن لا تغتفر لمطلق العالم خصوص الكبار، فإذا كان العالم من مراجع الدين مثلاً فلا تغتفر له الصغائر، وإذا كان وليّ أمر المسلمين مثلاً فلا تغتفر له ربّما الصغيرة الواحدة، وإذا كان العالم هو إمام الأصل وقائداً لجميع الناس وقدوة لهم إلى يوم القيامة فهنا قطعاً لم يغفروا له في أن يرتكب ما هو أصغر من الصغيرة ليغلقوا باب الاحتمال أصلاً حتى لا يجزّهم إلى احتمال صفائر متعدّدة تفقده أصل اللياقة للإمامة؛ ولهذا تجدهم يسيرون معه في البحث عن الفضائل في الدرجات العليا ليزيدوا القناعة في نفوسهم وما تملي عليهم عقولهم في أنهم يسيرون ويتبعون هكذا شخصيّة تامّة كاملة عالية. وهذا له التأثير في تركيز أسس العقيدة في قلوب جميع الناس وأفكارهم وسلوكيّتهم عندما يرون أصحاب عقيدتهم هم هؤلاء، فكيف نريد أن نملي عليهم قدوة بهذا الحجم من المسؤولية والتأثير وهو ظالم!! وحاشا لله أن يملي عليهم هكذا إمام وهو يعلم الصحيح من سيرة الناس واعتباراتهم التي وضعها سبحانه في فطرتهم وعقولهم، وحاشا لله أن يبرم عهده مع ظالم مع وجود من هو غير ظالم.

ثامناً: وجود الظلم في الإمام ينفي الأمور التالية:

- ١- الانقياد إليه، لوجوب إنكار الظلم عليه وهو ينافي وجوب الانقياد إليه.
- ٢- التكليف الإلهي المنقول عنه، حيث باحتمال صدور الظلم منه فسوف نحتمل بوجود الظلم في التكليف المنقول عنه وبالتالي فلا طاعة.
- ٣- ثقة التكليف وتركيزه في النفوس، فاحتمال الظلم في الإمام يجعل ما يطرحه على أنه نوع اجتهاد لا يصيب الواقع في شيء، بل قد يخطئه وبالتالي سيكون ما يطرحه الإمام خارج دائرة الطاعة الملزمة للجميع على حدّ سواء الذي يعطي للأمر قوّة ويقيناً أنه أمر الله، ففرق كبير وواضح بين أمر صادر من إمام يحتمل فيه الظلم وهو بنفسه لو صدر من إمام لا يحتمل فيه ذلك، فإنّ في الثاني بإمكانك أن تقول: هذا أمر الله وبكلّ يقين. وواضح الفرق في الأثر بين الأول

والثاني من جميع الجهات. مركز تحقيقات كاميون علوم إسلامي

س: لماذا لا يراد من الإمامة في هذه الآية النبوة؟

ج:

أولاً: لكون نزول الآية في كِبَره وبعد رزقه للذرية التي كان فيها إبراهيم ﷺ نبياً.

ثانياً: أن إبراهيم ﷺ سأل الله ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ فسؤاله ينم عن عدم معرفته للعنوان الجديد الذي منحه الله له أو لمعرفة عظمة الإمامة فطلبها لذريته، فلو كان المراد من الإمامة هو النبوة لما سأل الله لمعرفة السابقة بالنبوة أصولاً وفروعاً، فسؤاله أو طلبه دليل على أن المراد من الإمامة غير المراد من النبوة.

ثالثاً: أن الإمامة لو كانت هي النبوة وأنه الموقف الأول مع الوحي لظهر من إبراهيم ﷺ بعض التصرفات التي تنم عن استغرابه لما حصل عليه أو بتعجبه من

نزول الوحي عليه أو ما شابه هذه التصرفات أو الأقوال المتعلقة بالوحي وبذلك الموقف كما حصل لكثير من الأنبياء عند أول نزول الوحي عليهم، بينما نحن نجد أن إبراهيم عليه السلام ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ من دون فاصلة تتعلق بالاستغراب والتعجب، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن إبراهيم قد تجاوز مرحلة الوحي وأن له سابقة طويلة بالكلام مع الوحي الذي هو في زمن نبوته.

رابعاً: أن كلمة (جاعل) اسم فاعل، واسم الفاعل لا يعمل عمله إذا كان بمعنى الماضي، وأما إذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال فيعمل عمله كما هو استعماله في الآية، فهنا نقول: إن اسم الفاعل هنا عامل، وعليه يكون قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ وعداً لإبراهيم عليه السلام بأن الله سيمنحه الإمامة، وهذا لا ينسجم مع كون الإمامة هي نفس النبوة، حيث إن النازل عليه والمكلم له وحي النبوة، وهذا يدل على أسبقية النبوة على الإمامة.

إن قلت: ما هو الضير في أن ينزل الوحي الآن ليبشره بالنبوة في المستقبل.
قلت: إن الفرض لوحدته لم يكف ما لم تكن هناك حجة ودليل، هذا بالإضافة إلى أن كل نبي يعلم منذ نعومة أظفاره أنه نبي لكن لا يعلم بزمان الفعلية فلا يحتاج إلى من يخبره بذلك.

خامساً: لا يمكن أن تكون هنا الإمامة نوعاً من التأكيد لنبوته السابقة؛ لأن التأكيد هنا سوف يكون هكذا: أيها النبي إني جاعلك للناس نبياً، فهو تحصيل حاصل واضح في الضعف.

سادساً: أن الإمامة لو كانت نفس النبوة لمنع ذلك سؤال إبراهيم ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ لعلم إبراهيم عليه السلام أن النبوة ستكون من ذريته لعلمه المسبق بأسماء الأنبياء

وَنَسَبَهُمْ كَمَا هُوَ عِلْمٌ كُلِّ نَبِيٍّ بِذَلِكَ بِإِلْهَامِ اللَّهِ لَهُمْ وَضُرُورَةَ التَّبَشِيرِ مِنْ قَبْلِهِ إِلَى مَنْ بَعْدَهُ مِنَ الَّذِينَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ لِلنَّاسِ.

سابعاً: الروايات الكثيرة التي وردت في ذلك منها: ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «قد كان إبراهيم نبياً وليس بإمام، حتى قال الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ» مَنْ عبد صنماً، أو وثناً لا يكون إماماً»^(١).

وورد عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ لِإِبْرَاهِيمَ: لَا أُعْطِيكَ عَهْدًا لِلظَّالِمِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ، قَالَ: يَا رَبِّ وَمَنْ الظَّالِمِ مِنْ وَلَدِي الَّذِي لَا يَنَالُ عَهْدَكَ؟ قَالَ: مَنْ سَجَدَ لَصْنَمٍ مِنْ دُونِي لَا أُجْعَلُهُ إِمَامًا، وَلَا يَصْلِحُ أَنْ يَكُونَ إِمَامًا»^(٢).

س: لماذا لم نتمكن أن نقول: بأن المراد من الإمامة في هذه الآية هو إنسي جاعلك للناس مطاعاً من قبليهم، أو رئيساً عليهم، أو خليفة تحكم بينهم، أو وصياً من قبلي، أو رسولاً أو غيرها من العناوين المأخوذة من المعنى اللغوي للإمامة؟

ج:

أولاً: أن تعريف كل واحدة من هذه العناوين يختلف عن الآخر من حيث المفهوم، فالنبوة هي تحمّل النبأ، والرسالة هي تحمّل تبليغ الرسالة، والرئاسة هي التصدي للحكم في المجتمع... وهكذا.

ثانياً: أن بعض ما ذكر هو من لوازم النبوة أو فرع منها أو ما يؤول إلى معناها.

(١) الكافي ١: ١٧٤/١.

(٢) الأمالي للطوسي: ٣٧٩.

أي بمجرد كونه نبياً فهو تجب طاعته فيما يبلغه عن الله، وهو وصي الله، وخليفة الله... وهكذا، ولكن هذه اللوازم تختلف سعة وضيقة في موردها، فمثلاً من لوازم النبوة الطاعة في دائرة الأحكام والفروع الاعتقادية، ومن لوازم الخليفة أن يطاع في دائرة الحكم بين الناس وحل مشاكل المجتمع، ومن لوازم الإمامة أن يطاع في الدائرة الأوسع التي تشمل الولاية على أوسع أبوابها، وأن كل لازم من هذه اللوازم يحتاج إلى خطاب مستقل وعنوان مستقل حاكٍ عنه، وعلى ذلك لا يصح أن يقال لنبي: إني جعلتك للناس مطاعاً في دائرة وصلاحيه أوسع بنفس الخطاب الذي جعلت لك فيه الصلاحيه في الدائرة الضيقة، إلا بخطاب مستقل كاشف عن تلك الدائرة الأوسع ﴿وَنَجَعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجَعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (القصص: ٥)، ﴿وَجَعَلْنَا هُمْ أَئِمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ (الأنبياء: ٧٣)، ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ (السجدة: ٢٤)، ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ (ص: ٢٦)، ولا يراد من النبوة والإمامة شيء واحد من حيث شمولهما لنفس سعة دائرة الطاعة؛ لأن الخطاب سوف يكون هكذا: يا أيها النبي إني جعلتك مطاعاً في دائرة من الطاعة بعدما جعلتك كذلك، وهو واضح الضعف.

ثالثاً: لا يمكن أن نتعامل مع العناوين الإلهية التي يمنحها الله للخاصين من عباده على أنها واحدة وليس بينها أي اختلاف إلا في المعاني والمفاهيم اللفظية، وليس من وراء ذلك أي حقيقة خارجية يشير إليها العنوان حتى نقول: ما يراد من الخلافة هو نفس النبوة، وما يراد من النبوة هو نفس الرسالة، وما يراد من الرسالة هو نفس الإمامة، وكأن الله أراد أن يمنح ألقاباً للأنبياء وعناوين مجردة !! فالمسألة ليست كذلك، وليس التعامل معها بهذه السهولة، بل إنها عناوين كاشفة عن مهمات

يختلف كل عنوان عن الآخر بحد من الحدود وجهة من الجهات وحقيقة من الحقائق يجب الوقوف على كل عنوان منها بدراسة دقيقة وبنظرة أعمق، فكما أن حقيقة النبي تختلف عن الرسول فحقيقة الإمامة كذلك، وما على العاقل إلا البحث في الإمامة والتعمق فيها كما هو المطلوب من التدبر في آيات القرآن الكريم.

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾؟

ج:

١- من ذرية كل أحد من الناس منهم ما هو ظالم ومنهم غير ظالم، والعهد لا ينال الظالمين منهم، أمّا غير الظالمين فسوف ينالهم العهد، فكما أن الخطاب جواب بالنفي فهو جواب بالإثبات، أي أن الإمامة ستكون في بعض ذريتك يا إبراهيم كما سألت ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ أي بعض ذريتي، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الزخرف: ٢٨).

٢- أن الله قد عبّر عن الإمامة بالعهد وأضافه إلى نفسه (عهدي)، وأنه عهد بينه سبحانه وتعالى وبين من اصطفاهم له، وهذا النوع من الاهتمام من قبل الله يبرز أهمية الإمامة.

٣- أن العهد لا ينال الظالمين وأن الإمامة لا تنال الظالمين، فلو أخذنا بإطلاق لفظ (الظالمين) فسوف يكون المعنى أن العهد والإمامة لا تشمل الإنسان الظالم ولو قليلاً من زمن عمره ولحظة منه، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم ﴿(الأنعام: ٨٢-٨٣).

٤- ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ إنه سؤال نابع من معرفة إبراهيم عليه السلام بحجم الإمامة وعظمتها وما هو تأثيرها في الكون والحياة وعلى الناس كافة، ولهذا طلب من الله ألا تزول لتبقى محفوظة الوجود من قبل الله وهي تنتقل من صلب إلى صلب من ذريته، وتحقق واقع الإمامة كما أراده من لطفه ورحمته منسجماً مع طلب إبراهيم عليه السلام لأن تكون من ذريته.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «فمن عظمها - أي الإمامة - في عين إبراهيم، قال: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ أي طلبها لذريته»^(١).

س: إذا كانت الإمامة قد حصلت في آخر المراحل الحياتية أو المناصب الشرعية لإبراهيم عليه السلام فهل هذا يعني أن منصب الإمامة هو أعلى وأفضل من النبوة والرسالة التي يمتلكها الرسل؟

مركز تحقيقات كميتر علوم إسلامي

ج:

عندما قلنا: إن النبوة والرسالة لا تستبطنان الإمامة، وإن الإمامة لها مفهومها وصلاحيتها، ومن هنا يمكن أن نقول:

أولاً: إن الإمامة أوسع صلاحية من النبوة والرسالة، ولازمه أن تكون الإمامة أثقل على النبي أو الرسول؛ لأنها تحمله مسؤولية إضافية، فهي بذلك تحتاج إلى منح إضافية من الله تجعله أهلاً لتحمل العنوان الجديد (الإمامة) الذي منحه الله إليه، وبهذا يمكن أن نقول: إذا اجتمعت في شخص واحد النبوة والرسالة والإمامة فتكون الإمامة أعلى وأوسع صلاحية، وآية جعل الإمامة لإبراهيم عليه السلام توضح هذه الحقيقة. وأما إذا انفصلت فالأمر كذلك أيضاً، فإذا منح الله الإمامة لأحد فقط دون النبوة

والرسالة فهنا وحسب مفهوم الإمامة الخاص - الذي سيأتي طرحه - يحمل الإمام صلاحية النبي والرسول وزيادة دون عنوانهما، فحديث المنزلة المتواتر واضح المعنى، وهو قول رسول الله ﷺ: «يا علي، إنما أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»^(١)، فموسى وهارون كنبئين ورسولين يمتلكان نفس الصلاحية في التبليغ وإراءة الطريق وموسى ﷺ متميز عن هارون بالإمامة، وبهذا نعرف أن الإمام أمير المؤمنين ﷺ هو نفس الرسول ﷺ بآية المباهلة ويمتلك نفس الصلاحيات بالإمامة إلا أنه ليس بنبي ولا رسول، وهذا يعني أن نفس صلاحية الرسول ﷺ أي الولاية المطلقة قد انتقلت إلى أمير المؤمنين ﷺ، هذا من جهة سعة الصلاحية.

ثانياً: وأما الأفضلية فنقول: إذا اجتمعت الإمامة في نبي أو رسول فالإمامة تكون هي الأفضل لحصول إبراهيم ﷺ عليها في أواخر عهده كما يتنا ذلك ولطلبه للإمامة لبعض ذريته لعظمتها، هذا بالإضافة إلى نص الآيات التي تخبر بأن الإمامة جعل إلهي متأخر للأنبياء عن نبوتهم، وأنها محط فخر ومسؤولية إلهية لهم، قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَنْتَارُ كُونِي بَزْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ • وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ • وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ • وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ • وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ (الأنبياء: ٦٩-٧٣)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ • وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا

صَبَرُوا وَكَانُوا بِبَايَعَتِنَا يُوقِنُونَ ﴿ (السجدة: ٢٣-٢٤).

أمّا إذا تفرّقت، فبأنه لا شك ولا شبهة في أنّ رسول الله ﷺ أفضل من أمير المؤمنين ﷺ بنص القرآن والإقرارات والأقوال الكثيرة لأمير المؤمنين ﷺ في حقّ الرسول ﷺ ويكفي منها قوله: «إنّما أنا عبد من عبيد محمّد ﷺ»^(١)، وعنه أيضاً: «كنّا إذا اشتدّ البأس وحمي الوطيس اتقينا برسول الله ﷺ ولذنا به»^(٢)، أمّا هل هي أفضل من الأنبياء غير الأئمة؟ هذا ما سنعرفه من خلال البحث إن شاء الله.

س: هل توجد آيات تثبت الإمامة بالمعنى المخالف للنبوّة من حيث سعة صلاحيتها وأفضليتها كما تفضّلتم في جوابكم للسؤال السابق؟ اذكر نموذجاً لذلك.



ج:

١- قال تعالى: ﴿يَا دَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ﴾ (ص: ٢٦)، فداود مع أنّه كان نبياً فلو لم يجعله الله خليفة له لم يحق له الحكم بين الناس ولم يجب التسليم لحكمه من قبل الناس، ولكن بعدما جعله خليفة لنفسه صار ولياً وحقّ له الحكم بين الناس، ولذا فرّعه بالفاء. نعم، نبوته تقتضي وجوب إطاعته فيما يأتي به من الله، وإطاعته في هذا المجال لم تكن إلا إطاعة الله.

٢- قال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ (الأحزاب: ٦)، فنبوته ﷺ غير أولويته بالتصرّف، وأولويته متقدّمة على النفس، وعلى ما

(١) الكافي ١: ٥/٩٠.

(٢) شرح نهج البلاغة ١٣: ٢٧٩.

يشخصه من المصلحة للمؤمنين، وعلى ما يشخصه من الأمور العامة الاجتماعية، وعلى سائر الولايات الموجودة في المجتمع، فهو الإمام وهو الولي وهو الأولي، ولا يكون شيء من هذه المعاني من سعة دائرة الولاية من لوازم النبوة ولا تستبطنه النبوة ولا ما يؤول إليها معنى النبوة، بل هي الإمامة والولاية الخاصة للنبي، وكما هو واضح في قوله تعالى: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ ليس من لوازم النبوة ولا يستبطنها معنى النبوة.

٣- قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (المائدة: ٥٥)، فالولاية غير النبوة وغير الرسالة لمشاركة المؤمنين بها وهم ليسوا بأنبياء، ولا يمكن أن يكون كل مؤمن ولياً بالمعنى الشمولي والخاص للولاية كما قلنا سابقاً، فاختار الله الولاية والإمامة بأشخاص معينين من المؤمنين ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾، المنحصر بعدد معين من المؤمنين ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، المتفق أنها نزلت في أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي أشار بإصبعه للفقير بأن يأخذ خاتمه، وإلا لا يشترط إتيان الزكاة في أن يكون الإنسان المؤمن وهو يقدم زكاته وصدقته في حالة الركوع أو غيره، ولم تكن حالة إعطاء الصدقة وهو في حالة ركوع حالة عجيبة ومن الأهمية بحيث يستحق صاحبها نزول آية فيه وأن ينبه للالتفات إلى هذه الحالة حتى يقوم المؤمنون بمثل هذا العمل، ولم تشرع هذه الحالة وهي إعطاء الزكاة في حالة الركوع لا وجوباً ولا استحباباً، بل قد يكون فيها محذور في صدق الفعل الكثير المنافي للصلاة، وكل ذلك إن دل على شيء فإنما يدل على إرادة الله في تشخيص أمير المؤمنين عليه السلام للولاية، وكل الحضور قد عرفوا

ذلك بالبدهة واليقين حين نزول الآية أنه لم يكن غير أمير المؤمنين ﷺ هو المقصود.

٤- قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُوهُنَّ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (المائدة: ٤٤)، فهنا الذي له حق الحكم بالتوراة هم ثلاث شرائح، الأنبياء والرَّبَّانِيُّونَ والأحبار، أي نبيون وأئمة وعلماء، لأنَّ الربَّاني حالة وسطية بين الأنبياء والعلماء، فلا تكون إلا الإمامة، والعالم الذي يحصل على حفظ كتاب الله والشهادة والقيومة عليه عن طريق الكسب، بينما النبي أو الإمام من الله.

س: لماذا يتوقف تعيين الإمام الخاص على الله ويشترط نزول النص فيه؟

ج:

١- لأنَّ الله هو الطرف الأوَّل والمباشر لعهد الإمامة (عهدي).

٢- أنَّ هذا العهد لا ينال الظالمين، ونحن مجموع البشر لا نعرف من هو الظالم ولا مقداره ولا عدده، ولا أنَّه فعلاً كان ظالماً لنفسه أو لغيره، وغير ذلك من الأمور التي لا يعلم بظواهرها وخفاياها إلا الله المطلع على سرائر الناس وما تخفي الصدور، أمَّا نحن البشر فليس لنا إلا الظاهر، فكم من رئيس للجمهورية انتخبته ملايين الناس على أنَّه عادل وبار بعد ذلك أنَّه ظالم لنفسه ولغيره، فكيف يكون هذا الطريق أي الانتخاب من قبل الأمة - معيَّناً للإمامة الخاصة الذي سيكون من خلاله نبراساً للأمم والأجيال إلى يوم القيامة؟!.

٣- أن عدم الظلم في الشخصية لم يكن محصوراً في ماضي الزمان فحسب، بل إن عدم الظلم يجب أن يستمرّ معه على طول عمره وإمامته قبل العهد وبعده، فمثلاً لو علم الناس أن هذا الشخص الذي سينتخبونه إماماً أو ما هو أقل من ذلك سيكون ظالماً بعد التعيين وفي مستقبل الزمان فهل ينتخبونه؟! فكيف بالإمامة التي يراد منها أن تكون قدوة لكل الأجيال، ولا أحد مطلع على مستقبل الشخص إلا الله، فيتوقف التعيين للإمامة الخاصة عليه سبحانه.

٤- إذا ثبت للمسلم عقلاً ضرورة الإمامة وأنها أصل من أصول الدين كما هو الواقع، فإنه ليس للإنسان دخل إلا في السعي لها بعد إثبات ضرورة أصل وجودها لا وجود مصاديقها وتعيينها، فكل ذلك من مختصات الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ (آل عمران: ٣٣-٣٤).

٥- أن النبوة والإمامة لم تكن منفصلة عن نظام الكون والحياة وما شرع له من وحدات التشريع، بل حالة التشريع وتعيين وحداته وتشخيص شخصياته لها وجود في علم الله قبل أن يخلق الخلق لأهميّة التشريع وتعيين مفرداته، وبهذا تكون الشخصيات المؤهلة لحمل هذه المسؤولية هي معيّنة عند الله، وسيأتي مزيد توضيح لهذه الحقيقة.

س: ما هي الأدلة العقلية التي تثبت ضرورة وجود الإمامة من قبل الله بعد النبوة؟

ج:

الأول: ما نأخذه من هشام بن الحكم وهو يطرح الأدلة العقلية على ضرورة

وجود الإمام، أنه قال: بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد وجلوسه في مسجد البصرة فعظم ذلك عليّ فخرجت إليه ودخلت البصرة يوم الجمعة فأتيت مسجد البصرة فإذا أنا بحلقة كبيرة فيها عمرو بن عبيد وعليه شملة سوداء متزربها من صوف، وشملة مرتد بها والناس يسألونه، فاستفرجت الناس فأفرجوا لي، ثمّ قعدت في آخر القوم على ركبتي ثمّ قلت: أيها العالم، إني رجل غريب فأذن لي في مسألة؟ قال لي: نعم. فقلت له: ألك عين؟ فقال: يا بنيّ أيّ شيء هذا السؤال وشيء تراه كيف تسأل عنه؟ فقلت له: هكذا مسألتي. فقال: يا بني سل وإن كانت مسألتك حمقاء. قلت: أجبني فيها، قال لي: سل. قلت: ألك عين؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع بها؟ قال: أرى بها الألوان والأشخاص، قلت: فلك أنف، قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أشمّ به الرائحة، قلت: ألك فم؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أذوق به الطعام، قلت: ألك أذن؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع بها؟ قال: أسمع بها الأصوات، قلت: ألك قلب؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أميّز به كلما ورد على هذه الجوارح والحواس، قلت: أوليس في هذه الجوارح غنى عن القلب؟ فقال: لا، قلت: وكيف ذلك وهي صحيحة سليمة؟ قال: يا بنيّ أنّ الجوارح إذا شكّت في شيء شمته أو رأته أو ذاقته أو سمعته ردّته إلى القلب فيستبقى اليقين ويبطل الشك، قلت: فإنّما أقام القلب لشك الجوارح؟ قال: نعم، قلت له: يا أبا مروان، فالله تبارك وتعالى لم يترك جوارحك حتّى جعل لها إماماً يصحح لها الصحيح ويتيقن به ما شك فيه، ويترك هذا الخلق كلّهم في حيرتهم وشكّهم واختلافهم، لا يقيم لهم إماماً يردّون إليه شكّهم وحيرتهم، ويقيم لك إماماً لجوارحك ترد إليه حيرتك وشكّك؟! قال: فسكت ولم

يقول لي شيئاً^(١).

الثاني: ما نأخذه من الحوار الذي دار بين هشام بن الحكم وبين الشامي حين قال هشام للشامي: يا هذا، أرىك أنظر لخلقه أم خلقه لأنفسهم، قال الشامي: بل ربي أنظر لخلقه، قال هشام: ففعل لهم ماذا؟ قال الشامي: أقام لهم حجة ودليلاً كيلا يتشتتوا أو يختلفوا، فيأتلفهم ويقيم لودهم ويخبرهم بفرض ربهم، قال هشام: فمن هو؟ قال الشامي: رسول الله ﷺ، قال هشام: فبعد رسول الله ﷺ؟ قال الشامي: الكتاب والسنة، قال هشام: فهل نفعنا اليوم الكتاب والسنة في رفع الاختلاف عنا؟ قال الشامي: نعم، قال هشام: فلمَ اختلفنا أنا وأنت وصرت إلينا من الشام في مخالفتنا إياك؟ قال: فسكت الشامي.

فقال أبو عبد الله ﷺ للشامي: «مالك لا تتكلم؟» قال الشامي: إن قلت: لم نختلف كذبت، وإن قلت أن الكتاب والسنة يرفعان عنا الاختلاف أبطلت، لأنهما يحتملان الوجوه، وإن قلت: قد اختلفنا وكل واحد منا يدعي الحق فلم ينفعنا إذن الكتاب والسنة إلا أن لي عليه هذه الحجة. فقال أبو عبد الله ﷺ: «سله تجده ملياً». قال الشامي: يا هذا من أنظر للخلق ربهم أو أنفسهم؟ قال هشام: ربهم أنظر لهم منهم لأنفسهم، فقال الشامي: فهل أقام لهم من يجمع لهم كلمتهم ويقيم ودهم ويخبرهم بحقهم من باطلهم؟ قال هشام: في وقت رسول الله أو الساعة؟ قال الشامي: في وقت رسول الله، رسول الله والساعة من؟ قال هشام: هذا القاعد الذي تشد إليه الرحال، ويخبرنا بأخبار السماء والأرض ورائته عن أب عن جد، قال الشامي: فكيف لي أن أعلم بذلك؟ قال هشام: سله عما بدا لك، قال الشامي: قطعت عذري

فعليّ السّؤال (١).

الثالث: أنّ نفس الحكمة والنكات العقلية التي استدعت ضرورة النبوة تستدعي ضرورة وجود الإمامة وبقائها واستمرارها، ولمّا اختتمت النبوة بمحمد ﷺ فلا بدّ من الإمامة التي تعتبر امتداداً للنبوة واستمراراً لها وأنها حجة الله الباقية على الأرض، والواسطة لتلقّي الفيوضات الإلهية التي تختصّ بالعباد، فإنّ خاتمة النبوة بالرسول ﷺ تعني خاتمة التشريع بعد وصوله إلى حدّ الكمال والتمام، أمّا حاجة الإنسان إلى السّماء وارتباطه بوسيلتها التي ترشده إلى المطلوب بالحق وتوصله إليه وتكشف عنه الغموض فلا زالت باقية لجهله بكثير من الأمور التي تركها الرسول ﷺ لعمر دعوته القصير، وبقاء جهل الإنسان بمنّ يوصله إلى المطلوب بالحق، فكانت الإمامة هي النبراس لذلك.



الرابع:

١- أنّ الرسول ﷺ قد بُعث رحمة للعالمين وأرسله بدين الحق ليظهره على الدين كلّه وهو خاتم النبيين.

٢- أنّ الرسول ﷺ قد بذل الجهد الكبير الذي لم يصل إليه أحد لا من الأنبياء ولا من الأولياء.

٣- أنّ الرسول ﷺ قد خاض الحروب الكبيرة والكثيرة التي قدّم فيها الشهداء والصالحين من أجل أن يثبت الإسلام ويوضح أسسه للأجيال.

٤- أنّ الرسول ﷺ قد اهتمّ بجزئيات الإسلام كاهتمامه بكبريات الأمور من الموقف والقول حتّى صار كأنه باخع نفسه، وتحمل ما تحمّل حرصاً على الإسلام من

(١) الكافي ١: ١٧١/٤.

الضياع والتلف والتحريف وأن يأخذ الإسلام تأثيره في النفوس، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «ما أودى نبي مثل ما أوديت»^(١).

٥- أن الرسول ﷺ كان يعلم أن إسلامه لم يغط شبه الجزيرة العربية وأن دينه دين العالم أجمع وعلى طول خط الأجيال إلى يوم القيامة.

٦- أن الرسول ﷺ يعلم ما يقع من بعد موته من الفتن بتفاصيلها وأن الإسلام الذي يبذل له هذا الجهد العظيم سينفصل المتمسكون به إلى عدة مذاهب، قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ (آل عمران: ١٤٤).

٧- أن الرسول ﷺ قد استخلف على المدينة المنورة من يخلفه في أثناء سفره وغيابه وغزواته، وأن ضرورة الاستخلاف يدركها كل فرد عاقل وفي كل موقع يحتاج فيه إلى الاستخلاف.

٨- أن الرسول ﷺ أمر بالولاية حتى في حالة السفر ولو على شخصين، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «إذا كان ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم»^(٢)، «لا يحمل ثلاثة نفر يكونون بأرض فلاة إلا أمروا أحدهم»^(٣).

٩- هل يجوز العقل - مع ذلك كله الذي ذكرنا نموذجاً منه - أن رسول الله ﷺ مع عقله ودرايته وفراسته، مضافاً إلى نبوته ورسالته، أهمل بالكلية أمر الدين والأمة وترك أمر القيادة من بعده ولم يعين تكليف المسلمين في ذلك؟! فالذي

(١) المناقب ٣: ٤٢.

(٢) كنز العمال ٦: ٧٠٦/١٧٥٠٠.

(٣) مسند أحمد ٢: ١٧٧.

يؤمن بذلك فإنه يتهم الله قَبْلَ رسوله ويتهم الرسول ﷺ قَبْلَ غيره بعدم المبالاة بدينه ولا بالمسلمين ولا بالناس أجمعين، وتعالى الله علواً كبيراً وحاشا لله ورسوله من ذلك.

س: ما هي موارد الحاجة إلى النبي أو الإمام؟

ج:

١- حاجة الكون والحياة إلى الإمام، فكما اقتضت الحكمة الإلهية إلى أن يقوم نظام الكون والحياة على أسبابه وعناصره التكوينية من الشمس والقمر وبقيّة عناصره فكذلك هو قائم بوجود النبوة أو الإمامة، فإنّ الكون والحياة لم تخلق لأجل ذاتها بل لأجل الإنسان، وخلق الإنسان من أجل معرفة الله وعبادته، ولا يعرف الإنسان الله وعبادته على ما يريد الله إلا من خلال النبوة والإمامة، فالكون والحياة قائم على الوحدات التشريعية، فلو لم تكن هناك واسطة حقّة - تمثل السماء - ألى الخلق لما خُلِقَ الكون والحياة، حيث لا تتحقّق الغاية إلاّ بواسطتهم، وهذه الحقيقة يقرّها العقل والوجدان، وأمثلتها في الحياة الاعتيادية كثيرة، فلو تريد أن تفتح مدرسة لطلاب وتعلّم مسبقاً بالعلم اليقيني القاطع بأنّه لم يتعلّم ولم يوفّق أحد منهم أبداً فهل تفتح تلك المدرسة لمثل هؤلاء الطلبة؟! ولكن إذا عرفت أنّه سوف يتعلم منهم ولو كان بنسبة قليلة فإنّك سوف تفتح مدرسة وتبذل ما تبذل من أجل أولئك القليل، بل حتّى التعامل الأخلاقي والدعم المعنوي والمادي يكون متميّزاً لهؤلاء دون غيرهم.

هذا بالإضافة إلى المنهج الدراسي الذي تريد أن تضعه للطلاب، لو عرفت أنّ الطلاب جميعهم عاجزين عن استيعاب المنهج وتطبيقه فهل تضع مثل هذا

المنهج التمجيزي؟! ولكن إذا عرفت أنه يوجد مَنْ يستوعبه منهم ويطبّقه في تمامه وكماله ولو بنسبة قليلة فتشرع ذلك المنهج وتجعل مَنْ جسده منهم حجة على الباقيين لوجود المقتضي وعدم المانع في الجميع ... وهكذا في أي مؤسسة تريد قيامها وإنشاءها لا بدّ أن تنظر أولاً وقبل إنشائها إلى نسبة النجاح والفشل، ولهذا لم نرَ عجباً أو غريباً أن ينقل حديث الكساء الوارد عن جابر بن عبد الله الأنصاري عن فاطمة الزهراء عليها السلام أنها قالت: «... قال الله عز وجل: يا ملائكتي ويا سكان سماواتي إنّي ما خلقت سماء مبنية ولا أرضاً مدحية، ولا قرأ منيراً ولا شمساً مضيئة ولا فلماً يدور، ولا بحراً يجري، ولا فلماً تسري إلا في محبة هؤلاء الخمسة الذين هم تحت الكساء ... فهبط الأمين جبرئيل، فقال: السّلام عليك يا رسول الله صلى الله عليه وآله، العليّ الأعلى يقربك السّلام ويخصّك بالتحية والإكرام، ويقول لك: وعزّي وجلالي إنّي ما خلقت سماء مبنية ولا أرضاً مدحية ولا قرأ منيراً ولا شمساً مضيئة ولا فلماً يدور ولا بحراً يجري ولا فلماً تسري إلا لأجلكم ...»^(١).

٢- عطاء الكون والحياة، ولم يكن الكون والحياة قائماً بوجودهم - على المعنى الذي ذكرناه - فحسب، بل حتّى عطاء الكون والحياة له علاقة بالإيمان بهم، حيث عالم الكون والحياة قائم بالأسباب والمسببات، والرحمة الخاصّة - وقد مرّ الحديث عن الرحمة الخاصّة في سورة الفاتحة - لها أسبابها، ومن جملة أمّهات أسبابها الإيمان بالنبيّ والإمام لأنّه الطريق المنحصر بتحقيق غاية خلق الإنسان، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّمَاءِ أَن تَنزِلَ فِيهَا مَائِدًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطَةً ذَاتُ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾. ^(١) منتخب الطريحي: ٢٥٣.

عَلَيْكُمْ مَذْرَازًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ (هود: ٥٢)، ﴿وَلَوْ أَنَّ
أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَأَتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن
كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (الأعراف: ٩٦).

هذه الآيات واضحة المعنى في تأثير مجموع إيمان الإنسان وارتباطه بالسماء
في نزول بركات السماء والأرض، وكذلك تأثير الإيمان بالأنبياء والأئمة في
الكون والحياة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)،
فإرسال النبي لم يكن رحمة الله العامة لعالم الإنسان فحسب، بل رحمة العامة
شاملة لجميع العالمين للكون والحياة، وكذلك الإيمان به يكون سبباً لإنزال
الرحمة الخاصة بالمؤمنين - الرحمة في هذه الآية جاءت نكرة، أي مطلق
جنس الرحمة، و (العالمين) فإنها صيغة جمع مع الإطلاق فلا يمكن حصره
بعالم واحد وإرسال الإمام والإيمان به كذلك.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «أبي الله أن تجري الأشياء إلا بأسبابها،
فجعل لكل شيء سبباً، وجعل لكل سبب شرحاً، وجعل لكل شرح علماً، وجعل
لكل علم باباً ناطقاً عرفه من عرفه وجهله من جهله، ذاك رسول الله صلى الله عليه وآله
ونحن»^(١).

٣- حاجة الإنسان إلى الإمام، فلما كان التشريع مختصاً بالله، وكان الإنسان جاهلاً
بعناصر الهداية التي تهديه إلى تشريع الله وتريه الطريق الموصل إليه، بل
وتوصله إليه لا مجرد الإراءة، فكانت النبوة والإمامة هي عناصر الهداية
المسؤولة عن ذلك، وكان تعيين أشخاصها من قبل الله، قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ

(١) الكافي ١: ١٨٣/٧.

حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴿(الأنعام: ١٢٤).﴾

س: زدنا روايات تؤكد هذه الموارد من الحاجة للإمام (حاجة الكون والحياة) و(حاجة عطاء الكون والحياة) و(حاجة الإنسان).

ج:

١- ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «في كلِّ خَلْفٍ من أمتي عدل من أهل بيتي ينبي عن هذا الدين تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهل، وإنَّ أُمَّتكم وفدكم إلى الله فانظروا من توفدون في دينكم وصلاتكم»^(١).

٢- ورد عن سليمان الأعمش عن الإمام الصادق، عن أبيه، عن علي بن الحسين ﷺ، أنه قال: «لولا ما في الأرض منّا لساخت الأرض بأهلها... ولم تخلُ الأرض منذ خلق الله آدم من حجة الله فيها، ظاهراً مشهوراً أو غائباً مستوراً، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجة الله فيها... ولولا ذلك لم يُعبده الله...» قلت للصادق ﷺ: فكيف ينتفع الناس بالحجة الغائب المستور، قال ﷺ: «كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب»^(٢).

٣- ورد عن أبي حمزة أنه قال: قلت لأبي عبد الله الصادق ﷺ: تبقى الأرض بغير إمام؟ قال: «لو بقيت الأرض بغير إمام ساعة لساخت»^(٣).

٤- ورد عن الإمام الصادق ﷺ أنه قال: «والله ما ترك الله الأرض منذ قبض آدم إلا وفيها إمام يهتدى به إلى الله عزَّ وجلَّ، وهو حجة الله عزَّ وجلَّ على العباد، مَنْ

(١) قرب الإسناد: ٢٥٠/٧٧.

(٢) الأمالي للصدوق: ٢٧٧/٢٥٣.

(٣) الكافي ١: ١٧٩/١٠.

تركه هلك، ومن لزمه نجا حقاً على الله عز وجل»^(١).

٥- ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ أنه قال: «إمام بعد إمام»^(٢).

٦- ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «... فإن قال: فلم جعل أولي الأمر، وأمر بطاعتهم؟ قيل: لعل كثيرة، منها: أن الخلق لما وقفوا على حدّ محدود، وأمروا ألا يتعدوا ذلك الحدّ لما فيه من فسادهم، لم يكن يثبت ذلك ولا يقوم بأن يجعل عليهم فيه أميناً، يأخذهم بالوقف عندما أبيع لهم، ويمنعهم من التعدي والدخول فيما خطر عليهم؛ لأنه لو لم يكن ذلك كذلك لكان أحد لا يترك لذته ومنفعته لفساد غيره، فجعل عليهم قياً يمنعهم من الفساد، ويقيم فيهم الحدود والأحكام، ومنها أنا لا نجد فرقة من الفرق ولا ملة من الملل بقوا وعاشوا إلا بقيم ورئيس لما لا بدّ لهم منه، ولا قوام لهم إلا به، فيقاتلون به عدوّهم، ويقسمون به فيثبتم، ويقيم لهم جمعهم وجماعتهم، ويمنع ظالمهم من مظلومهم.

ومنها: أنه لو لم يجعل لهم إماماً قياً أميناً حافظاً مستودعاً لدرست الملة، وذهب الدين وغيّرت السنة والأحكام، ولزاد فيه المبدعون، ونقص منه الملحدون، وشبهوا ذلك على المسلمين، لأننا قد وجدنا الخلق منقوصين محتاجين غير كاملين مع اختلافهم واختلاف أهوائهم، وتشبّت أنحازهم، فلو لم يجعل لهم قياً حافظاً لما جاء به الرسول فسدوا على نحو ما بيّنا، وغيّرت الشرائع والسنن والأحكام

(١) كمال الدين ١: ٢٣٠/٢٨.

(٢) تفسير القمي ٢: ١٤١.

والإيمان، وكان في ذلك فساد الخلق أجمعين»^(١).

س: ما هي حقيقة الإمامة، وضح ذلك من خلال تعريفكم لها؟

ج:

أ- المفهوم العام للإمامة

الإمامة: هي تصدي الإنسان لقضية من القضايا بحيث يقتدى به من قبل الغير بأن يطبق أقواله وأفعاله على أفعاله وأقواله بنحو التبعية، ومن مميزات هذا المعنى من الإمامة:

١- يشترك فيه الإمام العادل والظالم، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ

بِإِمَامِهِمْ﴾ (الإسراء: ٧١)، ﴿فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ

يَنْتَهُونَ﴾ (التوبة: ١٢)، ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُؤْمِنِينَ إِمَامًا﴾ (الدخان: ٧٤).

٢- يشترك فيه الإنسان وغيره، قال تعالى: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْتُ مُوسَى إِمَامًا

مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم إسلامي

وَرَحْمَةً﴾ (هود: ١٧).

٣- بهذا التعريف للإمامة يدخل الجانب السياسي والحكم للإمام وهو الجانب الثاني

في بحث الإمامة الذي ليس لهذا البحث شأن فيه كما قلنا في جواب السؤال

الأول في أصل توزيع البحث.

ب- المفهوم الخاص للإمامة

من كل ما مر وما سيمر من الحديث نعرف أن الإمامة: هي لطف وهبة إلهية من

فضله للكون والحياة من أجل الإنسان توصل إليه التشريع وتهديه نحو المطلوب

بالحق بحيث توصله إلى غايته بنحو من الولاية الخاصة على أنفس الناس وأعمالهم.

س: وضح تعريفكم للإمامة الخاصة.

ج:

لا شك ولا شبهة أنَّ الإمامة وحدة من وحدات الهداية التشريعية والتكوينية - كما مرَّ الحديث في ذلك في سورة الفاتحة آية ٦ - وبالتالي هي مرسوم إلهي كالنبوة، إلاَّ أنَّها تختلف عن النبوة في أنَّ لها الولاية المطلقة التي تشمل الأنفس لقوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ (الأحزاب: ٦).

وورد عن الرسول ﷺ في بيعة الغدير المتواترة أنَّه قال: «ألست أولىٰ بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله...»، ولم تختصَّ هذه الولاية بالأنفس فحسب، بل تمتدَّ إلى أعمال الناس لقوله تعالى: ﴿وَقُلِ أَعْمَلُوا فَسَيَرَىٰ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة: ١٠٥) فأعمال الناس غير محجوبة عليهم خيرها وشرها ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (الزمر: ٦٩). ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَذْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (المطففين: ١٨-٢١).

وهذه الزيادة - أي مسؤولية وجوب وصول أعمال الناس إلى المطلوب بالحق وأنَّ ولايته شاملة للأنفس والأعمال - مختصة بالإمامة، وليس لها علاقة بالنبوة ولا بالرسالة مفهوماً وإن كانا يلتقيان مصداقاً، فليس كلَّ إمام نبياً أو رسولاً، وليس كلَّ رسول أو نبي هو إمام، بل بينهما عموم وخصوص من وجه؛ لأنَّ النبوة والرسالة هي إراءة الطريق فقط دون مسؤولية الولاية على الأنفس أو وجوب الوصول بالهداية للناس إلى المطلوب الإلهي والغاية الإلهية لخلق الإنسان، ولهذا تجد

بإمكان أن يشترك المؤمنون في مهمة النبوة دون الإمامة بالمعنى الخاص لها، قال تعالى - وهو يريد أن يبين مهمة الرسول إراءة الطريق فقط - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا يَلْسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (إبراهيم: ٤)، وقال تعالى: - وهو يريد أن يبين أن المؤمنين بإمكانهم أن يشتركوا في إراءة الطريق - ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (غافر: ٣٨)، وقال تعالى: - وهو يريد أن يبين أن المؤمنين بإمكانهم أن يقوموا بعملية إراءة الطريق من خلال الإنذار التي هي من مهمة الأنبياء والرسل - ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة: ١٢٢).



س: ما هي المقومات الخاصة التي يوفرها الله للإنسان لتؤهله لاختيار الله في أن يكون نبياً أو إماماً؟
 تحقيقاً لمتن علوم اسلامی

ج:

المقومات على نوعين:

الأولى: المقومات التكوينية، وهي:

١- الحفاظ على نطفته بأن تكون في أطهر الأصلاب وفي أطهر الأرحام، وهذا له أثره الوراثي لاكتساب أنبل العادات والأخلاق، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ (مريم: ٥٨)، ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ﴾ (الزخرف: ٢٨)، ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ﴿ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ

سَمِعَ عَلِيمٌ ﴿آل عمران: ٣٣-٣٤﴾.

ورد عن الإمام الباقر عليه السلام عندما تلا هذه الآية من آل عمران ﴿... ذُرِّيَّةٌ بِغَضِّهَا مِنْ بَغْضٍ..﴾ أنه قال: «نحن منهم ونحن بقتية تلك العترة»^(١)، فالعترة التي هي أصل الشيء المحفوظ من آدم ونوح وآل إبراهيم وآل عمران إلى الأئمة من أهل البيت سلام الله عليهم أجمعين.

في زيارة الإمام الحسين عليه السلام الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام: «أشهد أنك كنت نوراً في الأصلاب الشائخة والأرحام المطهرة، لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها، ولم تلبسك من مدهمات ثيابها...»^(٢).

وورد عن الإمام الصادق عليه السلام عندما سأله زنديق - وهو الملحد الذي لا يؤمن بعالم الغيب - عن أمور كثيرة منها: فتقول: إن ولد آدم كلهم سواء في الأصل لا يتفاضلون إلا بالتقوى، أنه قال: «نعم، إني وجدت أصل الخلق التراب، والأب آدم، والأم حواء، خلقهم إله واحد وهم عبيده، إن الله عز وجل اختار من ولد آدم أناساً طهر ميلادهم، وطيب أبدانهم، وحفظهم في أصلاب الرجال وأرحام النساء، أخرج منهم الأنبياء والرسل، فهم أزكى فروع آدم...»^(٣).

٢- أن يلهمه الله العلم والحكمة، ولهذا لم تجد أحداً من الأنبياء والأئمة أنهم تتلمذوا على يد أحد من الناس على الرغم من أنهم يمثلون القمة في كل العلوم ﴿...أَفَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُسَبَّحَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ

(١) تفسير العياشي ١: ٢٩/١٦٨.

(٢) التهذيب ٦: ٢٠/١١٤.

(٣) الاحتجاج ٢: ٨٣.

تَحْكُمُونَ ﴿يونس: ٣٥﴾ ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ
 نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿التقصص: ١٤﴾ ﴿وَلَوْ طَآءَ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ
 الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوِيءٍ فَسِيقِينَ ﴿الأنبياء: ٧٤﴾ ﴿فَوَجَدَا
 عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿الكهف: ٦٥﴾
 ولم يكن هذا العلم من أقسام العلم الكسبي الحصولي البسيط - وهو انطباع
 صورة الشيء عند العقل - بل هو العلم الخاص ﴿مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ الذي لا يجتمع
 إلا مع أعلى درجات التقوى والصبر واليقين الذي قال عنه أمير المؤمنين عليه السلام:
 «لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً»^(١)، فهو العلم الذي يرى من خلاله حقائق
 الأشياء بأبعد المسافات الزمنية والمكانية.

٣- أن يطلعه على بعض أسرار الغيب وما يفتح آفاقه الذهنية والفكرية بحيث يجعله
 ينظر إلى عمق الحركة الإنسانية في العالم إلى نهايتها بحيث يكون كلامه
 وسلوكه حياً لجميع الأجيال ويكون بنفس القوة من التأثير على طول الزمن
 ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ
 الْمُوقِنِينَ ﴿الأنعام: ٧٥﴾ ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأَقْفَىٰ أَلْبِينِ ﴿التكوير: ٢٣﴾ ﴿سُبْحٰنَ الَّذِي
 أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ
 لَنُرِيَهُ مِنْ ءَايَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿الإسراء: ١﴾.

ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أن لي مع الله وقتاً لا يسعني فيه لا ملك مقرب
 ولا نبي مرسل ولا مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان»^(٢).

(١) غرر الحكم: ٢٠٨٦/١١٩.

(٢) البحار ١٨: ٦٦/٣٦٠.

٤- تزويده وتأييده بالسبب والقوة الخاصة كل (روح القدس) الذي من خلاله يستوعب ويتحمل الحمل الثقيل من النبوة أو الإمامة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ...﴾ (البقرة: ٨٧).

ورد عن المفضل بن عمرو عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: سألته عن علم الإمام بما في أقطار الأرض وهو في بيته مرخى عليه ستره؟ فقال: «يا مفضل، إن الله تبارك وتعالى جعل في النبي صلى الله عليه وآله خمسة أرواح: روح الحياة فيه دب ودرج، وروح القوة فيه نهض وجاهد، وروح القدس فيه أكل وشرب وأتى النساء من الحلال، وروح الإيمان فيه آمن وعدل، وروح القدس فيه حمل النبوة. فإذا قبض النبي صلى الله عليه وآله انتقل روح القدس فصار إلى الإمام، وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يزهو، والأربعة الأرواح تنام وتغفل وتزهو وتلهو، وروح القدس كان يرى به»^(١) وقد مرّ التحدّث في المجلّد الثاني آية ٨٧ عن روح القدس.

٥- تزويده بالعناصر الطبيعية التي لها علاقة بالتحمل والثبات والتكامل النفسي والنشاط الروحي ﴿وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدَكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ (الضحى: ١-١١)، ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ

فَانصَبْ • وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿ (الشرح: ١-٨)، ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ • فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴿ (الكوثر: ١-٢).

٦- التدخل المباشر أو بالواسطة في بعض الحالات الخاصة، لإيقاظه من الموقف الحرج، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ (يوسف: ٢٤)، وأخرى لإيقاظه وحمايته من القتل وكثير من المؤامرات التي تحاك ضده إذا لم ينزل فيها قضاء، وكتب السيرة فيها الشيء الكثير من ذلك ﴿ وَتَجْعَلُ لَكُمْ سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا ﴾ (التقصص: ٣٥).

٧- استجابة الله له لما يريد منه إذا تعلقّت إرادة النبي أو الإمام به، قال تعالى: ﴿ ... وَأَنْبِئِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران: ٤٩)، فأية الأنبياء عن شيء أو العلم بشيء لم تكن من مختصات عيسى ﷺ، بل هي سارية الوجود في أي نبي أو إمام، فلو أراد أن ينظر إلى ما لا ينظر إليه الآخرون لَفَعَلَ بإذن الله، ولو أراد أن يعلم بما لا يعلمه الآخرون لَفَعَلَ بإذن الله.

ورد عن الإمام الصادق ﷺ أنه قال: «إِنَّ الْأَوْصِيَاءَ لَتَطْوِي لَهْمَ الْأَرْضِ وَيَعْلَمُونَ مَا عِنْدَ أَصْحَابِهِمْ» (١).

٨- أن يمنحه الله تلك القدرة التي لو احتاج إليها لفعل في الحالات التي يشخصها ضرورة، قال تعالى: ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ

أَمْ أَكْفَرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿النمل: ٤٠﴾،
فالذي كان عنده علم من الكتاب وبعض منه عمل هذا العمل العجيب فكيف
بالنبي أو الإمام الذي منحه الله علم جميع الكتاب.

ورد عن الأسود بن سعيد أنه قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: «يا أسود بن سعيد، إن
بيننا وبين أرض تراء - الخيط الذي يمد في البناء فيقدر به - مثل تراء البناء، فإذا
أمرنا في الأرض بأمر جذبنا ذلك التراء، فأقبلت الأرض بقلبيها وأسواقها
ودورها حتى تنفذ فيها ما تؤمر به بأمر الله»^(١).

وقلغ باب خبير - التي يفتحها ويغلقها ٢٢ رجلاً - من قبل أمير المؤمنين عليه السلام أحد
مصاديق هذه القدرة، عن أبي الحسن الثالث عليه السلام أنه قال: «إن الله جعل قلوب
الأمم موداً لإرادته، فإذا شاء الله شيئاً شاءه، وهو قول الله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا
أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ﴾»^(٢).

مركز تحقيقات كميونر علوم اسلامی

الثانية: مقومات القيمومة والتربية الخاصة

وهي مجموعة مقومات التحذير والتنبيه والتأديب المتلاحق للأنبياء سواء قبل
صدور الفعل بما لا يليق به وإن كان حسناً في ذاته أم لم يفعل:

١- من الأمثلة التي لم يصدر منه الفعل المذكور، قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ
بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (البقرة: ١٢٠)،
﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ﴾ (هود: ١١٢)، ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضٌ مَّا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَاتِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ

(١) الاختصاص: ٣٢٤.

(٢) تفسير القمي ٢: ٤٠٩.

يَقُولُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢٤﴾ (هود: ١٢٤)، ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الزمر: ٦٥) ... وهكذا، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «أدبني ربي فأحسن تأديبي» (١).

٢- من الأمثلة التي جاءت بعد صدور الفعل المذكور منه، قال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذُهِبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾ ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٧-٨٨)، ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿٢﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿٣﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكَّى ﴿٤﴾ أَوْ يَذُكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ﴿٥﴾﴾ (عبس: ١-٤) على احتمال أن الذي عبس هو الرسول ﷺ.

س: لماذا منحت هذه المقومات لبعض من الناس دون بعض؟

ج:

هذا ما يجيب عنه قوله تعالى: في بعض آياته التالية: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ (الأنبياء: ٧٣)، ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (السجدة: ٢٤)، ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ (الأنبياء: ٩٠)، فإن فعل الخيرات - بما هي مصدر مضاف يدل على الوقوع - والعبادة واليقين والصبر والخشوع صادرة منهم سواء جعلهم أنبياء وأئمة أم لا، فبمقتضى ذاتهم ونفوسهم

الطاهرة وعقولهم العالية هم من السابقين لفعل الخيرات والعبادة لله والصبر واليقين والخشوع، وما دور المقومات إلا لتوصلهم إلى أعلى مراحل الإنسانيّة ومقاماتها التشريعيّة من النبوة والإمامة.

فإذن عطاء الله الخاص بهم لم يكن جزافاً وحاشا لله من ذلك، وإنما على أساس من العدل والحكمة التي لا يعلم درجة وجودها في الأفراد إلا هو.

س: لقد ذكرت عدّة من المقومات التكوينيّة وأثبتتم من خلال القرآن والروايات أنّها منتقلة إلى الذي يمتلك الإمامة، ولكن المقومات الخاصّة التي أسميتموها بمقومات القيمومة والتربية كيف تنتقل إلى الإمام وقد انقطع الوحي بعد الرسول ﷺ؟



ج:

العلم الخاص الذي يحصل عليه الإمام يكفي في تحصينه بقدر كبير على مستوى الإمامة.

س: ما هي مصادر العلم الخاص الذي يحصل عليها الإمام؟

ج:

- ١- الإلهام العلمي الخاص من الله الذي ذكرناه من المقومات التكوينيّة رقم ٢.
- ٢- الإلهام العلمي الخاص من الله بالكتاب ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرُّسُلُ حُنُوفٌ إِلَىٰ أُولَٰئِكَ وَلَهُ الْفَتْحُ وَإِلَىٰ فَوْقِ السَّمَاءِ﴾ (آل عمران: ٧) ولم يدّع أحد، بل ليس من حق أحد أن يدّعي أنّه يعلم

بالتأويل إلا الأئمة عليهم السلام من بعد الرسول صلى الله عليه وآله فهم الراسخون بعلم تأويل آيات القرآن.

٣- الكسب العلمي الخاص من الرسول صلى الله عليه وآله إلى الإمام والمنتقل من إمام إلى إمام، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «علمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب من العلم، ففتح من كل باب ألف باب»^(١).

س: ما هي الشروط والمميزات الرئيسية التي تميز الإمام الخاص في شخصه ومهفته عن غيره من عامة الناس؟

ج:

١- النجاح في كل عمله ومؤيداً من قبل الله ﷻ ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ...﴾.

٢- أن تمتلك شخصيته واستعداداته الذاتي المقومات العالية من اليقين والصبر وفعل الخيرات واللجوء إلى عالم الغيب وعبادة الله، وقد وضّحنا هذه النقطة في جواب السؤال في سبب منح المقومات لبعض دون البعض الآخر.

٣- العصمة ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾، أي مطلق من صدر منه الظلم ولو لحظة ما، وسواء كان الظلم على نفسه أو على غيره؛ لأنه في تلك اللحظة التي عصى بها الله سُمّي ظالماً لشمول إطلاق الظلم عليه.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «عشر خصال من صفات الإمام: العصمة، والنصوص، وأن يكون أعلم الناس، واتقاهم الله، وأعلمهم بكتاب الله...»^(٢).

(١) البحار ٤٦: ١/٣٠٨.

(٢) الخصال ٢: ٥/٤٢٨.

هذا مع أن المتتبع لأوصياء أنبياء الله في المجال القيادي والتولي لم يكن إلا معصوماً.

٤- أنه يمتلك أعلى المقامات الإنسانية والفضائل الأخلاقية السامية وأعلى الدرجات العلمية؛ لأنه أمين الله في أرضه وحبته على عباده.

ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «لا يقاس بآل محمد من هذه الأمة أحد ولا يسوى من جرت نعمتهم عليه أبداً»^(١).

وعنه أيضاً: «نحن أهل بيت لا نقاس بالناس»، فقام رجل فأتى عبداً بن العباس فأخبره بذلك، فقال: صدق علي، وليس كان النبي صلى الله عليه وآله لا يقاس بالناس؟ ثم قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في علي عليه السلام: «إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ»^(٢).

٥- أنه أفضل من يجسد الإسلام على الأرض بصورته التامة سواء على مستوى السلطة أو على مستوى التأثير الروحي أو على مستوى تجسيد الإسلام في كل ميادين الحياة، فإن وصول الإمام بالناس إلى غاية طريق الحق يتم من خلال قوله وفعله وتقريره، فلا بد أن يكون هو الحق الناطق.

٦- أنه معين من قبل الله تعالى؛ لأن مثل هذا التعيين من مختصاته «إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا»، «عَهْدِي»، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «أترون الأمر إلينا نضعه حيث نشاء؟ كلاً والله إنه لعهد معهود من رسول الله صلى الله عليه وآله إلى رجل

(١) نهج البلاغة ١: ٢/٣٠.

(٢) المناقب ٢: ٢٦٦.

فرجل، حتى ينتهي إلى صاحبه»^(١).

٧- أن يمتلك نفس مقومات النبوة والإمامة التي ذكرناها سابقاً؛ لأن الإمام في مهمته

كالنبي وزيادة كما وضحنا ذلك سابقاً في أنه الموصل للغاية والنهاية.

٨- لا تخلو الأرض من إمام، وأنه قائم مادامت الحياة قائمة، ولهذا لا بد أن يكون

من أحد المصاديق المشار إليها والمنصوص عليها إلهياً، لجهل الإنسان بهكذا

حجج فهي كالنبوة كما أشرنا إلى ذلك في الحديث الوارد في النقطة السادسة.

٩- أن تكون أعمال الناس غير محجوبة عنه، لمهمته التي تستدعي ذلك، فلما كانت

مسؤولية الإمام إيصال الناس إلى الغاية المطلوبة، وأن أي إنسان يريد التوسل

به لمعرفة الطريق والوصول إليه من دون تخلف فهنا لا بد من أن يشخص الإمام

ما يحتاجه لكي يعطيه ما يوصله إلى الهدف والغاية، وبهذا لم تكن أعمال العباد

محجوبة عنه، كالطبيب الذي يحتاج مسبقاً إلى تشخيص حالة المريض ثم

بعدها يشخص الدواء ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ

بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (الزمر: ٦٩).

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام عندما سئل عن قوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى

اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ أنه قال: «إيانا عني»^(٢).

وعن داود بن كثير الرقي أنه قال: كنت جالساً عند أبي عبد الله عليه السلام إذ قال لي

مبتدئاً من قبل نفسه: «يا داود، لقد عرضت علي أعمالكم يوم الخميس، فرأيت

فيما عرض علي من عملك صلتك لابن عمك فلان فسرتني ذلك، إنني علمت أن

(١) البحار ٢٣: ٧/٧٠.

(٢) وسائل الشيعة ١٦: ٢١١١٥/١١١.

صلتك له أسرع لفناء عمره وقطع أجله». قال داود: وكان لي ابن عمّ معاند خبيث بلغني عنه وعن عياله سوء حاله فصككت له نفقة قبل خروجي إلى مكة، فلمّا صرت بالمدينة أخبرني أبو عبد الله عليه السلام بذلك ^(١)، وهناك روايات كثيرة في هذا المعنى.

س: ذكرتم من جملة شروط ومميّزات الإمام الخاص أن يكون معصوماً، ما هي حقيقة العصمة؟

ج:

العصمة: هبة إلهية وفضل منه يقدّمه لمن يستحقّه، وهذه الهبة تتمثّل ببعض المقومات التكوينية التي ذكرناها سابقاً، بحيث تجعل المتلبّس بها والمحافظ عليها لا يرتكب أي نوع من المعصية وبأي درجة منها، موجودة فيه منذ الولادة ومستمرّة معه حتّى الممات.

مركز تحقيقات كميّتر علوم إسلامي

س: قلتم في تعريفكم للعصمة أنّها: (... لا يرتكب أي نوع من المعصية وبأي درجة منها، موجودة فيه منذ الولادة ومستمرّة معه حتّى الممات)، هل مقصودكم بكلمة (لا يرتكب) استحالة صدور الذنب منه، فالعصمة مجبور عليها المعصوم، والعقل لا يقبل بالجبر، فما هو جوابكم على ذلك؟

ج:

١- إذا كانت إرادة المعصوم محفوظة فلا معنى للجبر، راجع مبحث في (هداية الله) المجلّد الأوّل، وراجع الإرادة الإلهية سورة البقرة ١١٧، وراجع نفس تعريف

العصمة (المحافظة عليها) ستجد كل ما يختص بالعصمة، فإن إرادة المعصوم وبشرئته محفوظة، ومعه لا معنى للجبر.

٢- إذا قلنا بأن بعض المقومات التكوينية التي يهبها الله للإنسان والتي تجعله معصوماً بحيث يستحيل منه ذاتاً وقوع المعصية، فهذا هو الجبر الذي من المستحيل الالتزام به، ونحن لم نقل بذلك في جميع ما مر من البحث. نعم، نحن نقول: مستحيل وقوع المعصية منه، ولا ملازمة بين الذاتي والوقوعي، فالمعصية ممكنة في ذات المعصوم مستحيلة الصدور منه واقعاً.

س: هل لمقومات العصمة التي ذكرتموها أن تكون لغير نبيٍّ أو إمام بحيث يكون معصوماً؟



ج:

قد أخبرنا الله في كتابه بوقوع ذلك في شخصية سيدة نساء العالمين مولانا فاطمة الزهراء عليها السلام ﴿... إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (الأحزاب: ٣٣) وفاطمة بنت محمد هي إحدى الشخصيات التي شملتها هذه الآية، ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: «يا فاطمة، إن الله عز وجل يغضب لغضبك ويرضى لرضاك ...»^(١)، ومريم بنت عمران عليها السلام ﴿... يَنْمَرِمُ بِأَنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٤٢) فالاصطفاء الأول والتطهير هو اصطفاء العصمة ولكنها لم تكن نبياً ولا إماماً.

س: هل العصمة من المفاهيم المتواطئة أو المشككة؟ أي هل يمكن أن

توصف بالقوة والضعف، أم أنها على درجة واحدة في أفراد المعصوم؟

ج:

أن الأنبياء والأئمة المعصومين ﷺ أجمعين قد حازوا جميعاً على العصمة كتطبيق لمفهومها، ولكن عندما فضل الله بعضهم على بعض وأنهم درجات عند الله، مع شهادة الله على بعض أنبيائه في أنه ارتكب ما لا يليق به، فلازم كل ذلك أن عصمتهم درجات ويمكن أن نقول: عصمة سيّد المرسلين محمد ﷺ وعصمة الذي أتمّ الكلمات وهو إبراهيم ﷺ هي أعلى أو أقوى من عصمة يونس ﷺ أو يوسف ﷺ، وبالتالي يمكن أن نقول بأنّ العصمة من المفاهيم الكلية المشككة، أي يمكن أن نصفها بالقوة والضعف بملاحظة درجات وجودها في أفرادها.

س: هل عصمة الأنبياء والأئمة قد وجدت فيهم بإرادة إلهية تكوينية؟

ج:

في نفس هذه السورة وفي آية ١١٧ قد قسمنا الإرادة الإلهية وعرضنا النبوة والإمامة والعصمة في قسمها، فراجع، هذا بالإضافة إلى أن البحث الذي بين يديك يبيّن النتيجة الواضحة في أن الإرادة الإلهية التكوينية لها دخل في صنع المقومات وهبتها لهذا البعض على أساس من الاستحقاق الذاتي للشخصية دون التدخل بذاته من الإرادة والاختيار.

س: إذا كانت العصمة شرطاً في النبي أو الإمام فماذا تفسرون إسناد الذنب إلى الأنبياء في أكثر من سورة، وماذا تفسرون استغفار الأنبياء منها؟

ج:

راجع بحث التوبة في الجزء الأول من هذا التفسير تجد ذلك.

س: هل التوبة ترجع إلى العصمة؟

ج:

التوبة ترجع إلى العدالة لا العصمة، وهذا أحد الفروق بين العدالة والعصمة.

س: قالوا: (إننا لانحتاج إلى العصمة إلا في الجانب التشريعي لا غير)، فما

هو جوابكم على ذلك؟

ج:

١- أدلة العصمة مطلقة، فهي شاملة لجميع سيرة المعصوم.

٢- أن معنى عصمة الإنسان أنه لا يحصي، أي أن كل حركة للمعصوم من فعل أو

قول أو تقرير فهي سارية ضمن أحد الأحكام الثلاث الوجوب أو الاستحباب

أو المباح، فإذا خفي علينا حكم من الأحكام الشرعية لسبب من الأسباب وقد

توفر وجوده عند المعصوم فعلاً أو قولاً أو تقريراً فنحن نستنبط منه الحكم

الشرعي، ولما كان الواقع الحياتي لا يخلو من حكم شرعي متعلق به، فلا

يمكن الفصل بين جانب وجانب في حياة المعصوم، فهو الحجة في مطلق

الفعل، ومطلق فعله حجة علينا، وهذا هو معنى أن سيرة المعصوم أحد مصادر

التشريع عندنا، فعملية الفصل بين سيرة وسيرة لحياة المعصوم لا واقع لها وإن

كانت ممكنة الافتراض في غير المعصوم واقعاً.

س: ما هي أهم المهام التي يقوم الإمام بها؟

ج:

أولاً: التصدي للشؤون الدينية منها:

- ١- بيان الأحكام المستحدثة والتي لا أثر لها في الكتاب ولا في السنة النبوية، أو أن أثرها موجود لكن يقصر العقل العادي في العثور عليها واستنباط الأحكام منها.
- ٢- حفظ الشريعة من شبهات المعترضين وتجاوزات العابثين وحفظ المسلمين من التيارات المنحرفة، ورد عن أبي إسحاق الهمداني أنه قال: حدّثني الثقة من أصحابنا أنه سمع أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «اللهم لا تخلو الأرض من حجة لك على خلقك ظاهراً أو خافياً مغموراً لئلا تبطل حججك أو بيّناتك»^(١).
- ٣- حفظ منهجية الرسول صلى الله عليه وآله من قول أو فعل أو تقرير من تحريف المفرضين، فالسائر في خطّ أهل البيت عليهم السلام والملتزم بأقوالهم وأفعالهم فهو السائر في الطريق الموصل لخط رسول الله صلى الله عليه وآله وهو الذي يمثل تشريع الله وهو الموصل للغاية دون غيره من الطرق، *مؤثر علوم إسلامي*
- ٤- تجسيد المنهجية الإسلامية بصورتها التامة وبكلّ كليّاتها وجزئياتها لا لنفس الإمام فحسب، بل لحاجة الإنسان إلى مثل هذا التجسيد، فكما احتاج الإنسان إلى الرسول صلى الله عليه وآله لتجسيده العملي الذي من خلاله يستنبط منها الأحكام الشرعية ويتمّ تشخيص وتوضيح المصاديق ومفردات المفهوم القرآني فكذلك الإمام.
- ٥- نشر العقيدة الإسلامية وما يتصل بذلك من التوجيه الديني والتثقيف الإسلامي وتوضيح كلّ ما أُنهم فيها.
- ٦- هداية الناس وإيصال أعمالهم إلى الآخرة ورضوان الله.

ثانياً: التصدي للشؤون الدنيوية، وهو الحق الشرعي السياسي لحكم الإمام وقيادته، وهذا القسم من البحث هو الذي أجئلناه للمحل المناسب له عند الوصول لآياته، ولكن نمر عليه سريعاً:

- ١- نظم أمور الناس الداخلية والاجتماعية والاقتصادية والإدارية.
- ٢- الغزو والدفاع عن الأمة من العدوان الخارجي والداخلي.
- ٣- تنظيم السياسة الخارجية مع الوجودات القريبة والبعيدة. ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «إن الإمام زمام الدين ونظام المسلمين وصلاح الدنيا وعز الدين أس الإسلام النامي وفرعه السامي، بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وتوفير البر والصدقات وإمضاء الحدود والأحكام ومنع الثغور والأطراف»^(١).



س: ماذا تقول لو قامت الإمامة الخاوية وعين شخصها بالشورى؟

ج:

راجع الجزء الخامس في مبحث الشورى وستجد أن الإمامة والخليفة الخاص والحاكم الشرعي الخاص خارج عن دائرة الشورى وإجماع أهل الحل والعقد من وجهاء الأمة أو عامة المسلمين، بل هو أمر مختص تعيينه بالله كما عرضنا الأدلة عليه في هذا البحث، وسيأتي توضيح أكثر في بحث الولاية السياسية والحكم للإمام في آياته المناسبة إن شاء الله، ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «إن الإمامة أجل قدراً وأعظم شأنًا، وأعلى مكاناً، وأمنع جانباً من أن يبلغها الناس بعقولهم، أو

(١) الكافي ١: ١/٢٠٠.

ينالوها بأرائهم، أو يقيموا إماماً باختيارهم...»^(١).

س: كم هو عدد الأئمة الذين تؤمنون بهم بعد رسول الله ﷺ حسب حقيقة الإمامة التي طرحتموها؟

ج:

اثنا عشر إماماً بعد الرسول ﷺ.

س: أن إثبات اثني عشر إماماً لا بد أن يكون مأخوذاً عن طريق الإخبار به الذي هو الطريق المنحصر لإثبات به، فمن هو الذي أخبر بهذا العدد، وما هي الأخبار؟ وضح ذلك.

ج:

أما الأخبار بعددهم فهي واردة عن الرسول ﷺ وعن الأئمة الأطهار سلام الله عليهم أجمعين، وإن هذه الأخبار قد وصلت إلى حد التواتر لفظاً ومعنى، ولهذا سوف أفهرس عناوينها وأعطي لكل عنوان نموذجاً واحداً منها:

١- الأحاديث التي تعطيهم عنوان كونهم (الأمراء) بعد رسول الله ﷺ، عن جابر بن سمرة أنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يكون اثنا عشر أميراً». فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنه قال: «كلهم من قريش»^(٢).

٢- الأحاديث التي تعطيهم عنوان كونهم (الخلفاء) بعد الرسول ﷺ، عن الحصين عن جابر بن سمرة أنه قال: دخلت مع أبي علي النبي ﷺ فسمعتة يقول: «إن هذا الأمر لا ينتضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة». قال: ثم تكلم بكلام خفي

(١) الكافي ١: ١/١٩٩.

(٢) صحيح البخاري ٨: ١٢٧.

عليّ، قال: قلت لأبي: ما قال؟ قال: قال: «كلّهم من قريش»^(١).

٣- الأحاديث التي تعطيهم عنوان كونهم (المحدّثون) بعد رسول الله ﷺ، عن سماعة بن مهران أنّه قال: كنت أنا وأبو بصير ومحمد بن عمران مولى أبي جعفر عليه السلام في منزله بمكة فقال محمد بن عمران: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «نحن اثنا عشر محدّثاً...»^(٢).

٤- الأحاديث التي تعطيهم عنوان كونهم (النقباء) بعد رسول الله ﷺ، عن الحاكم النيسابوري بالإسناد إلى مسروق، أنّه قال: كنّا جلوساً ليلة عند عبد الله بن مسعود - يقرئنا القرآن، فسأله رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن، هل سألتم رسول الله ﷺ كم يملك هذه الأمة من خليفة؟ فقال عبد الله: ما سألتني عن هذا أحد منذ قدمت العراق قبلك، قال: سألتناه، فقال عليه السلام: «إثنا عشر عدد نقباء بني إسرائيل»^(٣).

٥- الأحاديث التي تعطيهم عنوان كونهم (الأوصياء) بعد رسول الله ﷺ، عن القندوزي عن جابر، أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيّد النبيين وعليّ سيّد الوصيين وأنّ أوصيائي بعدي اثنا عشر أولهم عليّ وآخرهم القائم المهدي»^(٤).

٦- الأحاديث التي تعطيهم عنوان كونهم (الأولياء) بعد رسول الله ﷺ، عن ابن عباس أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيّد النبيين وعليّ بن أبي طالب سيّد الوصيين

(١) صحيح مسلم ٦: ٣.

(٢) الكافي ١: ٢٠/٥٣٤.

(٣) المستدرک ٤: ٥٠١.

(٤) ينابيع المودة ٣: ٧/٢٩١.

وأن أوليائي اثنا عشر أولهم علي بن أبي طالب وآخرهم القائم»^(١).

٧- الأحاديث التي تعطيهم عنوان كونهم (ملاك الأمر) بعد رسول الله ﷺ، عن الطبراني عن جابر بن سمرة أنه قال: «لا يزال هذا الأمر في مكة وفي علياء حتى يملك اثنا عشر من قريش»^(٢).

٨- الأحاديث التي تعطيهم عنوان كونهم (أنوار أمناء معصومون)، في حديث الإسراء والمعراج أسند الخزار إلى واثلة أنه قال: «يا محمد، ما أرسلت نبياً فانقضت أيامه إلا وأقام بالأمر من بعده وصيته، فاجعل علي بن أبي طالب الوصي بعدك. ثم أراه اثني عشر نوراً، وقال: يا محمد، هؤلاء أسماء الأئمة بعدك أمناء معصومون»^(٣).

٩- الأحاديث التي تعطيهم عنوان كونهم (القيّمون) على الأمة بعد رسول الله ﷺ، عن الطبراني عن جابر بن سمرة أنه قال: كنت مع أبي عند رسول الله ﷺ، فقال: «يكون لهذه الأمة اثنا عشر قياً، لا يضرهم من خذلهم»، وهمس رسول الله ﷺ بكلمة لم أسمعها، قلت لأبي: الكلمة التي همس بها رسول الله ﷺ، فقال: قال رسول الله ﷺ: «كلهم من قريش»^(٤).

١٠- الأحاديث التي تعطيهم عنوان كونهم (الأئمة) بعد رسول الله ﷺ، عن الطبرسي عن ابن عباس أنه قال: سألت رسول الله ﷺ حين حضرته الوفاة، فقلت: إذا كان ما نعوذ بالله منه فإلى من؟ فأشار إلى علي عليه السلام فقال: «إلى هذا فإنه مع الحق»

(١) عيون أخبار: ٦٦.

(٢) المعجم الأوسط ٢: ١١٥.

(٣) الصراط المستقيم ٢: ١١٧.

(٤) المعجم الأوسط ٣: ٢٠١.

والحق معه، ثم يكون من بعده أحد عشر إماماً، مفترضة طاعتهم كطاعتي»^(١).

س: ما هي أسماء هؤلاء الاثني عشر؟

ج:

للإجابة على هذا السؤال نستعرض الأمور التالية:

١- القرآن:

فالقرآن وإن لم يذكرهم صريحاً إلا أنه من المتفق عليه أن بعض الآيات نزلت في بعضهم كآية (التطهير) وآية (ويطعمون) وآية (المبيت في فراش النبي) وآية (إكمال الدين وإتمام النعمة) وآية (المباهلة) وآية (وراثه الأرض للمستضعفين) ... وفي ذلك روايات كثيرة منها: عن عائشة أنها قالت: «خرج النبي ﷺ غداً وعليه مرط مرّحل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً»^(٢).

٢- أحاديث الرسول ﷺ الكثيرة منها: أورد القندوزي الحنفي بسنده عن جابر بن عبدالله أنه قال: «يا جابر، إن أوصيائي وأئمة المسلمين من بعدي أولهم علي، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي المعروف بالباقر مستدركه يا جابر فإذا لقيتَه فاقرأه مني السلام، ثم جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي ثم القائم اسمه اسمي وكنيته كنيتي محمد بن الحسن بن علي ذلك الذي يفتح الله تبارك وتعالى على يديه مشارق الأرض ومغاربها، ذلك الذي يغيب عن أوليائه غيبة لا يثبت على

(١) إعلام الوری ٢: ١٦٣.

(٢) صحيح مسلم ٧: ١٣.

القول بإمامته إلا من امتحن الله قلبه للإيمان»^(١).

٣- أحاديث نفس الأئمة الاثني عشر الذين يؤكدون من خلالها على أنهم هم لا

غيرهم بقولهم: «نحن هم» وهي كثيرة الوجود في كتب الأحاديث.

٤- صفات الأئمة التي نقلها الرسول ﷺ التي ذكرناها بأنهم تقباء أمناء معصومون

مهديون... لا تنطبق إلا عليهم.

٥- لم توجد جماعة أنها ادعت بأنها هم الاثنا عشر بعد الرسول ﷺ، وإن ما وضعه

البعض كمصاديق لهذا العدد فشل؛ لأن هؤلاء المفترضين لم يحملوا الصفات

التي نقلها الرسول ﷺ عنهم ولم يكن دورهم دور النيابة عن الرسول، ولم تكن

شخصيتهم إلا شخصيات معروفة بسلوكها ومستواها الديني و...

٦- شهادة البعيد والقريب والعدو والصديق بمكانتهم وأفضليتهم، ورد عن مالك بن

أنس في حق علي بن الحسين عليهما السلام أنه قال: سمي زين العابدين لكثرة عبادته^(٢).

وورد عن أبي حنيفة وهو يقيم الإمام الصادق أنه قال: ما رأيت أفقه من جعفر

بن محمد^(٣)، راجع تجد الكثير مثل ذلك.

٧- لا يوجد من المسلمين من ينكر أنهم هم أهل بيت الرسول ﷺ وآله وأقرباؤه

وأنتهم هم المقصودون بوجوب مودتهم بأسمائهم، وهناك روايات كثيرة منها:

ورد عن الثعلبي عن ابن عباس أنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ

عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ قالوا: يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء الذين

وجبت علينا مودتهم؟ قال ﷺ: «علي وفاطمة وولداهما»^(٤).

(١) ينابيع المودة ٣: ٥٤/٣٩٩.

(٢) نور الأبصار: ١٦٢.

(٣) المناقب ٣: ٣٧٨.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢١١.

٨- دورهم في الحياة يثبت أنهم لا غير.

س: قالوا: إن الإمام المهدي عليه السلام الذي هو محمد بن الحسن العسكري عليه السلام لم يولد، فما هو دليل ولادته؟

ج:

أقول باختصار: لا شك أن الذي يدرس الحالة السياسيّة والأمنيّة في زمن الإمام الحسن العسكري سيجدها حالة قد شكّلت خطراً كبيراً على الإمام باعتباره القائد الحادي عشر الذين أخبر عنهم الرسول صلى الله عليه وآله، وإن الثاني عشر منهم لا بد أن يأتي، وإن من جملة الأهداف التي تريد السلطة الحاكمة على الإسلام الجاهلة به أن تحقّقها هو تسفيه الإسلام من خلال تكذيب الرسول صلى الله عليه وآله من خلال تكذيبهم حديث الاثنى عشر الذي كان يجري على البدهة على لسان العامة والخاصّة، والذي يدرس التاريخ سيجد هذه الحقيقة واضحة وهو يتابع سبب لقب الإمام الحسن بالعسكري على الرغم من أنه لا يمتلك جندياً واحداً، وبهذا أرادت السلطة العبّاسيّة ألا يتحقّق ذلك المولود، مع أن المنهج الإلهي يحمل حتميّة ولادته وقرار غيبته، وكانت من جملة مسؤولية الإمام الحسن العسكري عليه السلام أن يقوم بمهمتين:

١- الحفاظ على سلامة المولود الجديد بعد ولادته إلى انتهاء حياة الإمام العسكري عليه السلام، لأنّ المولود مطلوب من قبل السلطة قبل ولادته كما قلنا، فالإمام - كما ينقل التاريخ - كان تحت حراسة شديدة على بيته من قبل الموالي الأتراك بعددهم الكبير ومن الحاقدين على أهل البيت، وأنّ التفتيش المفاجيء لزوجته قائم بين الآونة والأخرى من قبل أشهر الولادات في العاصمة سامراء، واستدعاؤه عدّة مرّات إلى الحاكم لقتله مع نوعية الأسئلة التي كانت تطرح عليه

ونجاح الإمام بإسقاط الكثير من المؤامرات لقتله.

٢- أن ينشر الإمام العسكري عليه السلام خبر ولادته إلى خصوص الموالين دون وصول خبر ولادته إلى السلطة وعيونها، بحيث يوصل اليقين إلى قلوبهم بولادته، وهم بدورهم يسربون خبر ولادته بصورة أوسع وأنجح.

وهذا النوع من الموازنة بين الأمرين واضح الصعوبة والتي لا يقدر عليها كل أحد، وفعلاً قام الإمام بدوره الخاص بهذا الإتجاه حيث قام بالأمر التالية:

أولاً: الكتب والرسالات السرية المستمرة إلى وكلائه في داخل العراق وخارجه التي تحمل موضوع لاهديّة الولادة ليحذف من خلالها الشكوك التي تخطر على القلوب والأفكار التي تعترى العامة من المؤمنين وهم يرون الأخطار التي يمرّ بها الإمام العسكري عليه السلام، فقد يقتل الإمام وهم لا يعرفون الخبر عن إمامهم الثاني عشر عليه السلام، ورد أن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أرسل كتاباً إلى أبي الحسن علي بن الحسين بن بابويه القمي يقول فيه: «اعتصمت بحبل الله، بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والجنة للموحدين، والنار للملحدين، ولا عدوان إلا على الظالمين، ولا إله إلا الله أحسن الخالقين، والصلاة على خير خلقه محمد وعترته الطاهرين، منها: عليك بالصبر، وانتظار الفرج، قال النبي صلى الله عليه وآله: أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج. ولا يزال شيعتنا في حزن حتى يظهر ولدي الذي بشر به النبي صلى الله عليه وآله ميلاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، فاصبر يا شيخي يا أبا الحسن علي وأمر جميع شيعتي بالصبر، فإن الأرض يرثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين، والسلام عليك وعلى جميع شيعتنا ورحمة الله وبركاته، وصلى الله على محمد

وآله»^(١).

شافياً: التسديد الإلهي بإخفاء الحمل على المفتشات الولادات، وهذا ليس فيه عجب على قدرة الله سبحانه وتعالى، ولم تكن حالة غريبة، بل قد جعله الله لأُم النبي موسى ﷺ، والإمام هو الآخر قد كتبه على أقرب الناس إليه، ورد عن حكيمة بنت محمد بن علي بن موسى ﷺ أنها قالت: بعث لي أبو محمد الحسن بن علي ﷺ فقال: «يا عمّة، اجعلي إفطارك الليلة عندنا، فإنها ليلة النصف من شعبان، وإن الله عز وجل سيظهر هذه الليلة الحجة وهو حجة في أرضه»، قالت: فقلت: ومن أمه؟ قال: «نرجس»، فقلت: والله، جعلني الله فداك، ما أرى بهذا أثراً، قال: «هو كما أقول لك...»^(٢).

العلامة: وصية الإمام العسكري ﷺ بأن يسلم إرثه إلى زوجته وهو لا يمتلك ذهباً ولا فضة ولا أقل من ذلك، ولكن أراد التمويه بطلبه هذا على أنه لم يلد له ولداً ليكون له وريثاً حتى تترك السلطة مراقبتها للوليد الجديد.

وابعاً: عند ولادته عرق عنه ثلاثمائة شاة مع العلم أنه يكفي الواحدة في الوجوب أو الاستحباب، ونقل التاريخ لهذا العدد من ذبيحة العقيقة عن المولود الجديد مع كيفية عرقه في داخل سامراء وخارجها من خلال مواليه وشيعته ووكلائه، بحيث تذبح وتوزع بصورة سرية، وأن كل حصّة من لحم العقيقة يحصل عليها الموالي وهو يخبر بولادة المهدي ﷺ، وقد استثمر الإمام هذا النوع من الحكم استثماراً إعلامياً رائعاً يخبر من خلاله الوكلاء وبعض عامة المؤمنين وفي رقعة واسعة من البلاد من دون علم السلطة.

(١) المناقب ٣: ٥٢٧.

(٢) منتخب الأنوار: ٦٠.

ورد عن محمد بن علي ماجيلويه، قال: حدثني محمد بن يحيى العطار، قال: حدثنا الحسن بن علي النيشابوري قال حدثنا الحسن بن منذر، عن حمزة بن الفتح، أنه قال: كان يوماً جالساً فقال لي: البشارة! ولد البارحة في الدار لأبي محمد عليه السلام، وأمر بكتمانه، وأن يعق عنه بثلاثمائة كبش .. الخبر، وفي نسخة: بثلاثمائة شاة^(١).

خامساً: صلواته على جنازة أبيه خصوصاً إذا قلنا على ما ورد في ذلك الشيء الكثير بأن «الإمام لا يصلي عليه إلا إمام مثله»^(٢).

سادساً: لقاء الإمام مع النواب الأربعة في الغيبة الصغرى من خلال الرسائل المتبادلة التي تحمل نفس توقيع الإمام المهدي عليه السلام وهو نفس توقيع الإمام العسكري عليه السلام الذي عودهم الإمام العسكري وتبهم عليه، ورد عن أبي محمد الحسن بن أحمد المكتب أنه قال: ... فكانت لا تنقطع توقيعات صاحب الأمر عليه السلام على يد أبي جعفر محمد بن عثمان العمري وبعده على يد أبي القاسم بن روح...^(٣).

مركز تحقيقات كاتوليتر علوم إسلامي

(١) مستدرک الوسائل ١٥: ١٤١/١٧٧٩٥.

(٢) مناقب آل أبي طالب ١: ٣٩٨.

(٣) منتخب الأنوار: ١٣٠.

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (البقرة: ١٢٥)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:

١- المثابة: أ- المرجع. ب- العود.

٢- المقام: محل الإقامة.

٣- الطائف: الماشي حول الشيء.

٤- العكوف: الملازمة.



س: هل تشعر بوجود مقارنة بين الإمامة والبيت حتى انتقل القرآن من الإمامة إلى البيت؟

ج:

أولاً: الاشتراك في الجعل التشريعي للبيت وللإمامة ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ﴾، ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ﴾.

ثانياً: الاشتراك في المرجعية، فإنها متحققة للبيت وللإمامة، سوى أن مرجعية الناس من لوازم الإمامة، وأما بالنسبة للبيت فقد ثبتت المرجعية له بقوله: ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾.

ثالثاً: الاشتراك في حتمية الاتصال بالله بواسطة مجعولة من قبيله سبحانه، فإن البيت والإمامة واسطة الاتصال والارتباط بالله.

رابعاً: الاشتراك في طريق الوحدة بين المسلمين، فكما أراد الله من جعل الطواف حول الكعبة كطريق وصورة من صور الوحدة بين المسلمين فكذلك جعل الإمامة، فلا وحدة حقيقية بين المسلمين إلا عن هذا الطريق الواضح كوضوح أهمية وجود الكعبة بالنسبة للمسلمين، فلو طاف المسلمون بجميع مذاهبهم حول الإمامة بالبحث والتدقيق فيها ووضعوا أفكارهم وأنامل أقلامهم الحرّة على ما أحاط بها من الشبهات وتجرّدوا عن عصبياتهم لوصلوا إلى ما يريد الله من الإمامة.

خامساً: الاشتراك في وجود الراحة والاستقرار والاطمئنان النفسي عند عودة كلّ إنسان إليهما، وهذا النوع من الشعور كما هو موجود في البيت فإنه موجود في حياة الإمام وبعد موته من خلال زيارة مراقدهم أو الرجوع إلى الآثار العلمية وما هو مرتبط بعقيدة الإنسان التي تركوها.

س: ما هو تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً﴾؟

ج:

- ١- أنه شروع في تشريع الحج؛ لأنّ الجعل هنا جعل تشريعي.
- ٢- أنّ الله أراد أن يكون بيته مقصوداً لكلّ الناس؛ لأنّ الله خلقهم بما هو منسجم مع بيته من طهارة الفطرة والعقل والقلب السليمين من كلّ دنس ورجس فكري، ولكن عندما تلوث البعض بالرجس العقائدي باختياره أصبح ذلك ممّا لا ينسجم مع دخوله لبيت الله فمُنِع من دخول بيت الله بسبب ذلك.
- ٣- أنّ هذا الجعل كما هو شروع في تشريع أصل الحج فإنه شروع في تشريع المفردات التفصيلية للحج التي أولها ضمان حصول الأمن لقاصديه وكلّ ما موجود فيه من نبات وحيوان، وهنا تظهر أوّل لائحة فنيّة رائعة تحمل صور

حقوق الإنسان والحيوان والنبات في الإسلام، يمارس فيها الإنسان عملياً تلك الحقوق، فهي ليست مجرد شعار، فالإسلام أراد لجميع خلق الله أن يعيش الأمان في الأرض لما في الأمان من دور كريم في استقرار حياة الإنسان على الأرض ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (الأعراف: ٢٤).

س: إذا كان معنى المثابة هي الرجوع فلماذا لم يعبر الله بالرجوع دون المثابة؟

ج:

لأن لفظ المثابة أبلغ وأوسع من الرجوع، فإن المثابة وإن كانت هي الرجوع إلا أن الرجوع لا يعطي معنى الثواب، فإن المثابة معناها رجوع الله بالثواب على الحاج في الدنيا بما صرفه للحج وزرع في قلبه حب الرجوع للبيت وبما شاهده من الأماكن والمجتمعات، وفي الآخرة كذلك حيث يرجع الله عليه الثواب الكثير والعطاء الجزيل لكونه قصد بيته سبحانه وتعالى.

هذا مع ما تعطيه كلمة المثابة من الاستقرار والراحة التي يحصل عليها الحاج من زيارته لبيت الله، ومثل هذا المعنى الحقيقي لا تعطيه كلمة الرجوع لوحدها.

س: ما هو المقصود من قوله تعالى: ﴿وَآتَخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ﴾؟

ج:

تشريع لمفردة ثانية من مفردات الحج وهي الصلاة والدعاء عند مقام إبراهيم عليه السلام، ومقام إبراهيم هو ذلك المكان وتلك الصخرة التي فيها أثر قدمي إبراهيم عليه السلام عندما كان يرفع أساس الكعبة المقدسة بالبناء، وقد تكون تلك الصخرة من الجنة.

ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «نزلت ثلاثة أحجار من الجنة: مقام إبراهيم، وحجر بني إسرائيل، والحجر الأبيض وكان أشد بياضاً من القراطيس فاسودَّ من خطايا بني آدم»^(١).

فأراد الله أن يكون أثر تلك الأقدام شعيرة من شعائر الدين ومحراباً للمصلين ليعلموا الفوز العظيم للمخلصين والعاملين لله وعزّتهم في الدنيا قبل الآخرة، فإذا كان لأثر القدم هذا العطاء فما بالك بعطاء الآخرة لصاحبه، وأراد الله من خلال هذه الشعيرة أن تعيش الأمة الإسلامية ذكرى شخصياتها والأعمال التي قدّموها والمعاناة التي تلقّتها وليوقنوا بصدق تاريخها الذي ينقله القرآن للناس.

س: ما هي الاحتمالات المطروحة عند البعض لتعيين مقام إبراهيم عليه السلام؟



ج:

١- كلّ الحج هو مقام إبراهيم عليه السلام.

٢- أنه عرفة.

٣- أنه المشعر الحرام.

٤- الجمرات الثلاث.

٥- كلّ حرم مكة مقام.

٦- المقام هو هذا المعروف المنسوب قرب الكعبة وفيه الصخرة وأثر القدمين، وهذا

هو الأرجح للروايات الكثيرة التي وردت فيه وفي الصلاة خلفه وسيرة

المسلمين على ذلك.

س: ما هو تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾؟

ج:

أمر لإبراهيم وإسماعيل وتشريع آخر لمفردتين من مفردات الحج وهي أن القاصدين لبيت الله يجب أن يعلموا شيئين:

١- أن يكون البيت طاهراً من أي نجاسة سواء كانت النجاسة خبيثة مادية؛ لأنه مكان للصلاة وجلس للمعتكفين وأرض للسجود، أو كانت النجاسة معنوية كالشرك والضلال؛ لأنه محل يتجسد فيه الإخلاص لله ووحدانيته.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ﴾ أنه قال: «فينبغي للعبد ألا يدخل مكة إلا وهو طاهر قد غسل عرقه والأذى وتطهر»^(١)، وورد عنه أيضاً وفي نفس الآية أنه قال: «يعني: فح عنه المشركين»^(٢).

٢- أن يكون الداخلون للبيت الحرام في حالة عبادة فقط ما بين طائف حول الكعبة أو معتكف حابس نفسه لأجل التعبد لله أو بين راکع وساجد للصلاة، فليس بيت الله محل تجارة ولا محل سياحة وتترزه ولفو وانشغال في أمور الدنيا.

(١) الكافي ٤: ٣/٤٠٠.

(٢) البحار ١٢: ١/٩٢.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (البقرة: ١٢٦)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:

١- البلد: قطعة الأرض المحدودة سواء كانت عامرة أم لم تكن كذلك.

٢- الأمن: الطمأنينة وعدم الخوف.

٣- الرزق: مطلق العطاء الجاري.

٤- الثمرة: كل ما هو صالح للأكل ممَّا تعطيه الأشجار.

٥- اضطره: السوق جبراً.

س: ما هو التفسير لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ ...﴾؟

ج:

دعاء من أدعية إبراهيم ﷺ الرسالية الدالة على عمقه العلمي وبعده نظره في أثر وجود المقدسات في حياة الإنسان المؤمن والمجتمع بصورة عامة، فقد طلب إبراهيم ﷺ عدّة طلبات من ربه الذي يتولى تربية الخلق أجمعين بحنانه ورحمته وهي:

١- أن يحوّل هذا الوادي الخالي من الحياة النباتية والحيوانية إلى وادٍ تدبّ فيه الحياة وبلدٍ صالح لأن يعيشه وتقطنه الناس ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا﴾.

٢- وإذا تحوّل إلى بلد تسكنه الناس فإنه يمتاز بميزة تختلف عن بقية البلدان وهي أن يعيش النبات والحيوان والإنسان في منتهى الأمان، وهنا تظهر لوحة فنيّة رائعة تحمل صورة من صور حقوق الإنسان والحيوان والنبات في الإسلام، وليست شعاراً يطلق فحسب، وإنما هي ممارسة عملية يقوم بها كل مسلم يدخل إلى البيت ويقصد الحج ﴿بَلَدًا آمِنًا﴾.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ أنه قال: «مَنْ دخل الحرم من النَّاسِ مستجيراً به فهو آمن من سخط الله عزّ وجلّ، ومَنْ دخله من الوحوش والطيور كان آمناً من أن يهاج أو يؤذى حتى يخرج من الحرم»^(١).

٣- وأن يعيش أهل البيت سواء القاطنين حوله أو القاصدين إليه حالة العطاء المادي الدائم إليهم ﴿وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾.

٤- أن رزق الله المادي وإن كان يعمّ جميع الخلق الكافر والمؤمن منهم إلا أن إبراهيم عليه السلام طلب تمييز المؤمنين في العطاء عن غيرهم وهو العطاء والرزق المادي والمعنوي تعظيماً لشأن المؤمنين ودعمهم دعماً معنوياً ومادياً من أجل أن يواصلوا طريق الحقّ ﴿مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ أنه قال: «هي ثمرات القلوب أي حبّهم إلى الناس ليشوبوا إليهم»^(٢).

وتظهر استجابة الله لدعاء إبراهيم عليه السلام من خلال تفاعل رحمته ولطفه وتتبّعه

(١) الكافي ٤: ١/٢٢٦.

(٢) مجمع البيان ١: ٣٨٥.

سبحانه وتعالى لكلام إبراهيم عليه السلام حين قطع الله كلامه بقوله تعالى: ﴿ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾؛ لأن رزق الكافر من رحمته العامة التي وسعت كل شيء المكتوبة لعامة الناس، إلا أنه لا قياس بين رحمة الكافر من العامة وبين الرحمة الخاصة للمؤمنين، فإن الكافرين يرزقون ويتمتعون ولكنه تمتع قليل وهو منحصر في التمتع المادي في الدنيا وأنه مهما كان كثيراً وكبيراً فهو قليل بالنسبة إلى تمتع المؤمنين في الآخرة لخلود التمتع وبقائه في عالم الآخرة.

س: لو شاهدنا أهم مناسك الحج لرأيناها جاءت وتحقق عن طريق دعاء إبراهيم، هل هذا يعني أنه لو لا دعاء إبراهيم لم تتحقق تلك المناسك وبالتالي لا يكون الحج بهذه الصورة من الأهمية؟

مركز تحقيقات كميونر علوم إسلامي

ج:

يجب ألا نفهم من الدعاء وخصوصاً دعاء الأنبياء هو توسل لله بحصول ما لم يعلم بحصوله من الفائدة والنفع فحسب، بل من الدعاء ما هو تقييم وتقرير لحالة وتقديمها لله، كدعاء النبي نوح عليه السلام على قومه وغيره من الأنبياء كذلك ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾ ﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴾ (نوح: ٨٧).

ومنه ما يعلم حصوله الحتمي من الله ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾، فالجعل من الله واقع وحتمي لكن خلق الأنبياء وأدبهم يجعلهم يُظهرونه بالدعاء لله؛ لأنه نفع للناس ورحمة منه سبحانه، فأبراهيم عليه السلام يكشف ما يعلمه بما يحيط بالبيت من المناسك وما يعلمه من بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم عن طريق الدعاء؛ فالدعاء كما هو

توسّل بالله كذلك هو أحد طرق التبليغ ووصول ما قرّره الله للناس ولكن يطلب عن طريق الدّعاء لأن مناسك الحج طريق من طرق رحمته للعباد وخير طريق لاستجلاب الرحمة هو الدعاء.

س: ما هي الاحتمالات الأخرى التي تطرح في قوله تعالى: ﴿قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتَعَهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾؟

ج:

البحث هنا يكمن في مقطع ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ حيث (مَنْ) أسم موصول بمعنى (الذي)، ولكن هناك فرقاً في أن استعمال (الذي) تأتي هنا في حالة الإصرار والعمد على الكفر، بينما (مَنْ) شاملة لحالة الإصرار والاستمرار والتكرار وعدمه ولو لمرة واحدة، وعليه نقول في الاحتمالات:

١- قال الله: وَمَنْ أَنْكَرَ الْحَجَّ فَهُوَ كَافِرٌ؛ لَأَنَّهُ نَاكَرَ لِحُضُورِهِ مِنْ ضَرُورَاتِ الْإِسْلَامِ، فَأَتْرَكَهُ فِي الدُّنْيَا الْقَلِيلَ عَمْرِهِ فِيهَا نَسَبَهُ إِلَىٰ بَقَائِهِ فِي الْآخِرَةِ، فَإِنْ تَابَ وَأَصْلَحَ فِيهَا وَنَعِمْتَ، وَإِنْ أَصْرَ عَلَىٰ إِنْكَارِهِ حَتَّىٰ مَاتَ فَاضْطَرَّهُ وَأَسَوَّقَهُ جَبْرًا إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ.

٢- قال الله: وَمَنْ كَفَرَ مَرَّةً وَاحِدَةً فَيُصَدِّقْ عَلَيْهِ أَنَّهُ كَافِرٌ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ تَكَرُّرِ الْكُفْرِ وَالْإِصْرَارِ عَلَيْهِ، وَعَلَيْهِ فَلَا يَغْتَرُّ بِالرَّحْمَةِ الْعَامَّةِ فِي الدُّنْيَا الشَّامِلَةِ لِلْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَرْجِعَ إِلَىٰ الْإِيمَانِ بِالتَّوْبَةِ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَىٰ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَهُوَ يَوْمُ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ رَحْمَةٌ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِينَ، فَلَا طَرِيقَ لِلْكَافِرِ إِلَّا طَرِيقًا وَاحِدًا وَهُوَ طَرِيقُ الْعَذَابِ الَّذِي اضْطَرَّهُ إِلَيْهِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ.

٣- قال الله: وَمَنْ كَفَرَ عَنْ عَمَدٍ أَوْ خَطَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ؛ فَهُوَ عَلَىٰ حِسَابِ وَاحِدٍ مِنْ حَيْثُ أَصْلُ

استحقاق العذاب بالنار لا درجته في النار؛ لأنَّ الفرق بين الكافر العمدي وغيره هو أنَّ العمدي قاطِعُ بخطأ المقدمات والنتائج، بينما الكافر على خطأ يكون متيقناً بصحة النتيجة ولكن يعتمد على مقدمات خاطئة فهو يحاسب على تلك المقدمات التي اعتمد عليها ولم يراجع الطريق الصحيح لاقتناص الصحيح منها، فلا يكون معذوراً أمام الله، فلا ينفع الندم حينئذٍ ولا تقديم الأعذار فيضطره إلى عذاب النار وبئس المصير.



مركز تحقيقات کامپوٹر علوم اسلامی

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (البقرة: ١٢٧)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:

- ١- الرفع: أ- في الأجسام الموضوعة، أعليها عن مقرها. ب- في البناء، طولته. ج- في المنزلة، التشرية. د- في الذكر، إذا نؤهته.
- ٢- القاعدة: الثبوت والاستقرار، وقد استعملت في كل ما يستقر عليه أو يتفرع منه كقواعد البناء والقواعد العلمية وغير ذلك.

س: ما هو المحتمل المراد من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ...﴾؟

مركز تحقيقات كميونر علوم إسلامي

ج:

- ١- لا شك ولا شبهة أن بيت الله الحرام كان له وجود تخطيطي من قبل الله ومعين المحل ومحدد الحدود من قبله تعالى قبل وجود إبراهيم عليه السلام، وهذا ما تجده واضحاً في كثير من الروايات والنظر إلى التعريف في ألفاظ البيت، ومنه يعرف أن بناء البيت لم يكن من اختراع إبراهيم عليه السلام وأنه عمل تأسيسية منه، وإنما دوره هو رفع البناء من ذلك المخطط وعلى أساس خريطة البيت المرسومة له، وكانت مهمة بناء البيت وبروزه الفعلي كمعلم للناس موكولة إلى إبراهيم عليه السلام وكان دور إسماعيل دور العامل المساعد له، وتوكيل إبراهيم في عملية وضع الحجر الأساسي للبيت ورفع بنائه لقطع أي شبهة حول أصل نشوء البيت، فقد

تهجم الشبهات قديماً بأن البيت مثلاً هو صنع أناس مجهولين فلا أساس له من الصحة، أو أنه موضوع لغرض ينافي التوحيد مثلاً وغيرها من الشبهات التي لولا أن يكون إبراهيم ﷺ هو الرافع لأساسه لأثيرت تلك الشبهات وغيرها من المترصدين للإسلام والمسلمين، فرغ القواعد من قبل إبراهيم ﷺ قد قطع سبيل المغرضين على طول التاريخ.

٢- أن رفع القواعد من قبل إبراهيم ﷺ هي بداية تأسيس مشروع الحج العظيم التي اكتسب إبراهيم شرف وضع الحجر الأساس له وتكميل بنائه على يديه بعد أن وصل إليه بتلك المعاناة هو وزوجته وطفله.

٣- أن إبراهيم وإسماعيل وهما مشغولان برفع بناء البيت يعملون بكل تفاعل وهمّة وشوق وإخلاص بحيث أن الإنسان لو شاهدهما وهما في تلك الحالة لاستنتج أن همتها قبول عملها من قبل الله، فلفظهما ﴿رَبُّنَا تَقَبَّل مِنَّا﴾ ذاتب في عملها؛ ولهذا لم تجد ذكراً لعملها من قبلها، فهما لم يقولا: ربنا تقبل عملنا منا، فهما لم يجعلوا لعملها قيمة بقدر قيمة القبول التي هي شغلهم الشاغل لقلوبهم. هذا بالإضافة إلى أنهم يُشهدون الله على ما يشغلهم ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، السميع بدعائنا ورغبة طلبنا والعليم بمقاصدنا وما تخفي صدورنا من الإخلاص لك.

٤- يعظم الله عمل إبراهيم ﷺ وإسماعيل ﷺ ويجعله إنجازاً كبيراً ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾، وإبراهيم وإسماعيل يستنكران العمل أمام الله بعدم ذكره وجعله يسيراً، وهذا يوضح أحد الأسس الرئيسية في حجم العطاء ومقداره، فالله يعطي الشيء الكثير على العمل القليل عن يقين وإخلاص، فليس

المهم عند الله كمية العمل وإنما نوعية العمل التي تتسجم مع ما يريد الله من عبده، كما أن إبراهيم عليه السلام يعطي الدرس الكبير للعاملين لله بأن لا يستكثروا لأنفسهم ما يقدموه من العمل في سبيل الله، وأن يكون على إخلاص ويقين، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «واعلم أن العمل الدائم القليل على يقين أفضل عند الله من العمل الكثير على غير يقين»^(١).



مركز تحقيقات کامپوٲر علوم اسلامی

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا
مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا
مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿البقرة: ١٢٨-١٢٩﴾

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيتين؟

ج:

- ١- الأمة: الجماعة من الناس
- ٢- المسلم: من تلبس بالسلامة أو التسليم.
- ٣- المنسك: الموضع المعد للعبادة، والنسك: العبادة. والناسك: العابد
- ٤- البعث: إثارة الشيء وتوجيهه.

س: هل الطلب الأول لإبراهيم عليه السلام من الله في هذه الآية هو الإسلام المعروف
المتبادر عند إطلاق لفظه؟

ج:

- لا يريد إبراهيم بطلبه الإسلام الظاهري، وذلك للأسباب التالية:
- ١- أن معنى الإسلام ظاهراً هو ظهور الشهادتين على لسانه، وهي شهادة بالله
ووحدانيته وشهادة بالنبوي، وإبراهيم نبياً ومن أولي العزم، فهل يعقل أن يطلب
من الله ظهور الشهادتين على لسانه؟!
 - ٢- أن الإسلام وظهور الشهادتين من الأمور الاختيارية التي لا تُنال بالدعاء فقط بل
بالإرادة والاختيار بعد ضرورة الاعتقاد بالتسليم لأي دافع كان.

٣- أن الله في الآية الآتية يأمر إبراهيم عليه السلام بالإسلام وهو مسلم ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة: ١٣١)، فهل يعقل أن يكون الإسلام الذي يأمر الله إبراهيم به هو نفس الإسلام المتبادر؟! وهل اعتناق الإسلام يأتي عن طريق الأمر به؟!.

٤- أن الإسلام المتداول عندنا لم يحجزه الله على خاصّة أوليائه حتى يطلبه إبراهيم من الله أن يمنحه إليه باعتباره من الخواص، بل هو ممنوح لكلّ الناس حتى ناله الأعراب والمنافقون والفاسقون.

٥- أن الإسلام وإن كان نعمةً من نعم الله تعالى يحتاج المخلص فيه إلى توفيق من الله والتوسّل إليه، لكن طلب إبراهيم عليه السلام صاحب الحنيفية لا يعقل في حقّه أن يطلب هذا الإسلام العام الذي يحصل لكلّ فرد، بل لابد أن إبراهيم قد طلب أعلى الدرجات من الإسلام وهو التسليم المطلق لله الذي لا يصل إليه إلا النموذج العالي والقريب لله والذائب فيه بكلّ جوارحه وجوانحه.

س: هل الطلب الثاني لإبراهيم عليه السلام في هذه الآية ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُّسْلِمَةٌ لَكَ﴾ هو نفس الإسلام الذي طلبه إبراهيم وإسماعيل لأنفسهما وهو التسليم المطلق لله وأعلى درجات الإسلام كما ذكرتم؟

ج:

نعم، هو طلب التسليم المطلق لله وأعلى درجات الإسلام؛ وذلك للأسباب

التالية:

١- أن الإسلام المتداول - كما قلنا - ممنوح لكلّ الناس، فهو حاصل لبعض ذريته قطعاً.

٢- أن إبراهيم ﷺ يحب الناس ويحب هدايتهم جميعاً، فلو كان طلبه هو الإسلام العام لطلبه لكل الناس لا إلى البعض منهم.

٣- أن ارتباط إبراهيم ﷺ مع ذريته التي طلب لها هذا الطلب لم يكن ارتباطاً عاطفياً، فلو كان ارتباطاً عاطفياً لطلبه إلى من هو أقرب من ذريته وهو (آزر) الذي تبرأ منه إبراهيم عندما شاهد بقاءه على شركه.

٤- أن طلب إبراهيم ﷺ لم يكن لذريته بل لبعض من ذريته، بل أمة من بعض ذريته. أي بعبارة أخرى: أراد إبراهيم بطلبه أفراداً معينين من بعض ذريته، وهذا يعني أن إبراهيم قد استقرأ تاريخ المستقبل لجميع ذريته وقسمهم إلى أقسام حسب ما ينتحلون، فرأى منهم المسلم ومنهم غير المسلم واختار المسلمين منهم ثم اختار عدداً معيناً من المسلمين، وطلب من الله أن يكون ذلك العدد المعين من بعض ذريته المسلمين أمة مسلمة، وهذا يعني أنه طلب إليهم الإسلام الذي هو غير هذا الإسلام المتداول، بل طلب أعلى درجاته كما قلنا سابقاً.

ورد عن الزبيري عن الإمام الصادق ﷺ قال: قلت له: أخبرني عن أمة محمد ﷺ من هم؟ قال ﷺ: «أمة محمد بنو هاشم خاصة». قلت: فما الحجة في أمة محمد ﷺ أنهم أهل بيته الذين ذكرت دون غيرهم؟ قال ﷺ: «قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، فلما أجاب الله إبراهيم وإسماعيل، وجعل من ذريتهما أمة مسلمة، وبعث فيها رسولا منهم - يعني من تلك الأمة - يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، ردف إبراهيم دعوته الأولى بدعوته الأخرى، فسأل لهم تطهيراً من الشرك ومن عبادة الأصنام ليصح أمره فيهم ولا يتبعوا غيرهم،

قال: ﴿وَأَجْتَنِبِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ الآية، فهذه دلالة على أنه لا يكون الأئمة والأمة المسلمة التي بعث فيها محمد إلا من ذرية إبراهيم؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَجْتَنِبِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾^(١).

س: وضح كيف حقق الله دعاء إبراهيم ﷺ من خلال هاتين الآيتين.

ج:

أن الدعاء الخارج عن تعلقه بشخصية إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ينقسم إلى قسمين:

الأول: قد تحقق ببعث الرسول ﷺ الذي هو من ذرية إبراهيم ﷺ.

الثاني: قد تحقق بالأئمة الاتني عشر عليهم السلام جميعاً دون غيرهم؛ وذلك للأسباب التالية:

١- أنهم من ذرية إبراهيم ﷺ. *مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی*

٢- أنهم أمة أي عدد من الأفراد الذين تربطهم رابطة عقائدية واحدة، ولا يراد من الأمة هنا الأمة الإسلامية لأنه ليس جميع أفرادها من ذرية إبراهيم ﷺ، ولا يراد منها الأمة العربية لأنها وإن قد يكون جميع أفرادها من ذرية إبراهيم ولكن دعاء إبراهيم ناظر إلى خصوص أفراد معينين من بعض ذريته كما أشرنا إلى ذلك.

٣- أنهم هم الذين ملكوا أعلى درجات الإسلام الذي دعا به إبراهيم ﷺ دون غيرهم من الأفراد من ذرية إبراهيم لشهادة الكتاب والرسول ﷺ بحقهم في كثير من المواقع المورثة لليقين.

س: كيف تثبت أن الرسول محمد بن عبدالله ﷺ هو نفسه الذي دعا به إبراهيم عليه السلام ولم تكن شخصية غيره يُنتظر ظهورها وبعثتها في مستقبل الزمان؟

ج:

- أن كل ما ذكره إبراهيم ينطبق عليه وذلك:
- ١- أن النسب الذي ذكره إبراهيم عليه السلام منطبق عليه.
 - ٢- أن المكان والمجتمع الذي أشار إليه منطبق عليه.
 - ٣- ما هو مذكور بين الإجمال والتفصيل في التوراة والإنجيل والزبور منطبق عليه كما هو يقين أهل الكتاب بذلك في صدر الإسلام.
 - ٤- معجزته التي يحملها وهو القرآن، وقد علم الناس الكتاب كما دعا به إبراهيم عليه السلام.
 - ٥- سنته التي جرت وبقيت وبه قد تحققت تعليم الناس الحكمة.
 - ٦- تطهير البيت ونفوس الناس من الشرك وبه تحققت بذلك تركيته للناس.
 - ٧- التفصيلات المختصة التي أعطاها إبراهيم وموسى وعيسى إلى خلص أصحابهم والذين بدورهم نقلوها من بطن إلى بطن حتى تتبع بعضهم تلك الأقوال ووصل بها إلى مكة وآمن بالرسول ﷺ، والتأريخ يذكر ذلك، وهذا يدل على مطابقتها ما نقله الأنبياء على الرسول ﷺ بنفسه.
 - ٨- ما ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «أنا دعوة إبراهيم»^(١)، وهو الصادق المصدق.

س: ما هي الاحتمالات في حقيقة طلب إبراهيم وإسماعيل في هذه الآية

﴿وَأَرْفَأْنَا مَنَاسِكَنَا﴾؟

ج:

١- وهو أن يري الله الأعمال العبادية الصادرة منهما إليهما لا الرؤية البصرية ولا تعليم التكليف المطلوب، بل الذي طلبه إبراهيم وإسماعيل هو الرؤية الحقيقية وإراءة مناسكهما بعين القلوب والبصيرة؛ لأن إبراهيم وإسماعيل كانا يعرفان ظاهر المناسك وتفصيلاتها ومفرداتها وكل ما يتعلق من حيث أدائها وهذا ما نراه واضحاً من خلال أدعيتهما.

٢- أنهما طلبا من الله رؤية تآثر الناس بمناسكهما مستقبلاً، وما هو دور تلك المناسك في دفع عجلة حركة الدين، ومدى مساهمتها في صنع المتدينين.

٣- أنهما طلبا من الله رؤية آثار مناسكهما في الآخرة وترتب الثواب الكثير ونيل الدرجات العالية على مناسكهما.

مركز بحوث كالمبيوتر علوم إسلامي

س: وضح طلب إبراهيم وإسماعيل في هذه الآية ﴿وَوُثِّبَ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ الثَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾.

ج:

الأنبياء معصومون فتوبتهم تختلف عن توبة عامة الناس، فهي تكون للاحتتمالات التالية :

١- أمّا أنهم يريدون الإتيان بالفرد الكامل من العمل الذي عند الله وهم يأتون به ولكن يخافون الوقوع في تقصير هم لا يعلموه وإن كان على مستوى ترك الأولى، فيسألون الله التوبة على ذلك.

٢- أن تكون التوبة لا من شيء واقعي قد تخلفوا عنه ولكن التعامل مع التوبة ولهج

اللسان والقلب بها تعكس الخوف والحذر الشديد من الله، وبما أن الأنبياء هم أكثر الناس خوفاً منه سبحانه فهم يلهجون بالتوبة قبل ومع وبعد كل عمل يريدون أن يقدمونه لله.

٣- أن تكون للأنبياء حالة ارتباط خاصة مع الله، فتكون مسألة التوبة إليه لارتقاء رتبة لا لسقوط ذنب.

٤- أن تكون توبة الأنبياء لا يراد منها المعنى الاصطلاحي، بل يراد معناها اللغوي

وهو الرجوع، فعليه يكون المعنى: وفقنا للإجابة والرجوع إليك عمّا يشغلنا عنك.

٥- التوبة من الأمور المحبوبة لله والعبادية المطلوبة بنفسها على نحو الاستحباب،

فالأنبياء يستغفرون ويطلبون التوبة لكونها عبادةً بنفسها، ورد عن الإمام

الصادق عليه السلام أنه قال: «كان رسول الله ﷺ يتوب إلى الله عز وجل في كل يوم

سبعين مرة»^(١) أي كان يقول: أتوب إلى الله، وفي روايات أخرى أكثر من ذلك.

س: وضح المفردات التي دعا بها إبراهيم والمذكورة في قوله تعالى:

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ

وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

ج:

لا شك ولا شبهة في أن المراد من الرسول المذكور في هذه الآية هو الرسول

محمد ﷺ باتفاق المسلمين جميعاً، وقد ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «أنا دعوة

إبراهيم»، وفي (تفسير القمي) في قوله تعالى: ﴿وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ قال:

(١) الكافي ٢: ٤٣٨/٤.

«يعني من ولد إسماعيل، فلذلك قال رسول الله ﷺ: أنا دعوة إبراهيم»^(١)، وأما واجباته فهي:

١- ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾ يقرأ على الناس آيات القرآن الحكيم قراءة مؤثرة وساحرة للنفوس بحيث تجعل السامع يصغي بقلبه وروحه وسمعه إلى كلمات الله حسبما يناسب الآية من الإلقاء.

٢- ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ لا يقتصر على قراءة آيات القرآن، بل يوضحها ويفسرها ويعطي التفاصيل المتعلقة بأحكامها و بمواقف قصصها والإشارة إلى المخاطبين فيها، وتوضيح مفرداتها وما إلى ذلك مما هو متعلق في تعليم الكتاب وعلومه.

٣- ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾، الحكمة إشارة إلى سنة الرسول ﷺ؛ لأن سنة الرسول ﷺ هي أن يعلم المسلمين الميزان في العمل والقول وإتقانها واستحكامها ومطابقتها لما يريد الله من خلال قوله وفعله وتقريره وهو معنى السنة، وهذه الملكة قد حصل عليها الرسول ﷺ بقذف من الله في قلبه من خلال العلم الإلهامي الذي قد من الله به على رسوله وتسديد منه إليه، والذي لولاه لما كنا نعرف تفاصيل الآيات وكشف المبهمات، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ (الإسراء: ٣٩).

٤- ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ وينمي عقولهم ويطهر نفوسهم من خلال آيات الله ووجوده المبارك ووجود القرآن بينهم، فإن هذه وغيرها كلها أم الأسباب لتنمية شخصية الإنسان المسلم فكرياً وقلبياً وتطهير عقله وقلبه من رذائل الشرك والفساد وهو معنى التزكية.

﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ • إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ • وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ • أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ • تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: ١٣٠-١٣٤)



س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيات؟

مركز بحوث ودراسات في العلوم الإسلامية

ج:

- ١- يرغب: أ- إذا عدت ب(في) تعني الشوق والميل. ب- إذا عدت ب(عن) تعني الإعراض والنفرة.
- ٢- الاصطفاء: أخذ خلوص الشيء وتمييزه عن غيره عند اختلاطه.
- ٣- أم: أداة تستعمل للإضراب وانتقال الكلام إلى الاستفهام.
- ٤- الشهداء: الحضور.
- ٥- بنيه: الذكور والإناث من الأولاد.

س: لماذا نسب الله السفه لمن يرغب عن ملة إبراهيم في قوله تعالى:
﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾؟

ج:

أولاً: دين إبراهيم ﷺ

إن دعوة إبراهيم وحركته نحو التوحيد لله لم تكن غريبة عن العقل والفطرة، بل هي عين المراد الفطري والعقلي للإنسان، فالذي يرغب عن هذه الدعوة لا يكون إلا بسبب نقص أصاب العقل والفطرة.

ثانياً: عبودية إبراهيم ﷺ

إن نفس شخصية إبراهيم شخصية ملتزمة بالحكم الشرعي وتجسد امتثال الحكم تجسيدا دقيقاً وتحوله إلى حركة حية في حياة الإنسان ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وهذه رغبة الإنسان المنصف الذي يؤمن بالله في أن يكون مستسلماً لله بتجسيد أوامره بكل دقة ليحرز قبول العمل من جهة ويوصل المراد الإلهي بما هو للناس، والذي يرغب عن ذلك لا يفهم معنى الأمر ولا طاعة الأمر ولا الإيمان بالله، وهو السفه.

ثالثاً: عمل إبراهيم ﷺ

إن المشاريع التي قام بها إبراهيم من تكسير الأصنام ومُحاججاته مع نمرود وتغييره للعقائد الفاسدة وأخيرها بناء الكعبة ما هي إلا حركة تقوم على أساس تحرير الإنسان من أغلال الدنيا لتربطه بالمطلق وهو الله سبحانه وتعالى، ولتقدم له الغذاء الصحي المشبع للروح والتي تضمن له جنات الآخرة، فالذي يبتعد عن هذا العطاء لم يميز حقاً ما ينفعه عما يضره، وهو معنى السفه حقاً.

رابعاً: اختيار إبراهيم للنبوّة

إنَّ اختيار الله للشخصية التي تعود الطريق إليه لم يكن اختياراً عشوائياً حاشا لله من ذلك، بل هو اختيار قائم على أساس حكمة الله وعدالته وعلمه الذي لا يختار إلا صاحب الكفاءة الذي يكون صالحاً لأن يكون قائداً لطريق التوحيد ونبياً للأمة، ومن هنا وقع اختيار الله لإبراهيم ﴿وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾، فالذي يرغب عن هذا النوع من الاختيار فهو السفية حقاً.

خامساً: إسلام إبراهيم ﷺ

فإنَّ الإسلام هو مُنحةُ الله إلى إبراهيم وهو بنفسه الذي يبقى إلى يوم القيامة برسوله ورسالته التي دعا إليها إبراهيم، وهو بنفسه الذي لا يقبل الله يوم القيامة غيره ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾، فإذا كان كذلك فالراغب عنه سفية هالك حقاً.

س: اذكر الفِكَاتِ المَهْمَةَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

ج:

أولاً: أنَّ اختيار إبراهيم ﷺ بل كلُّ أولي العزم كقادة لحركة الدين في الحياة كان - لميزان وحساب دقيق - نابعاً من مؤهلات تحملها الشخصية لذلك، ومن أهم تلك المميّزات أنهم مستسلمون لله استسلاماً ليس فيه شائبة، وهذه أهم نقطة يحتاجها كلُّ قائد في نجاح مهمته وهي التنفيذ الدقيق للأوامر، والذوبان في الله، فالأنبياء من أفضل نوعيات الأرض في تنفيذ الأمر الإلهي والنموذج الأعلى للذائبين في الله، ولهذا علّق الله الاصطفاء على التسليم، أي أنَّ اصطفاءنا لإبراهيم واختيارنا له كان على أساس استسلامه المطلق لله وحده، وهذا ما لا يقدر عليه أحد إلا القليل من

الناس ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ (يوسف: ١٠٦).

تلخيصاً: أن هذا الخطاب يعكس الأخلاقية الداخلية العميقة لإبراهيم، فإن قول الله هو عين فعله ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (النحل: ٤٠)، فعندما قال الله له: أسلم، معناه قد منحه الدرجة العالية من الإسلام، وبطرح تحسّ فيه نوعاً من المفاجأة والسرعة ﴿ إِذْ قَالَ ﴾ وكان طرح إبراهيم للجواب فيه نوع من السرعة كذلك لعدم وجود الفاصلة ﴿ قَالَ أَسْلَمْتُ ﴾، فكان من الطبيعي للإنسان لو تلقى مثل هذه البشرى وهذا الفوز وهذه المنحة أن تتفاعل شخصيته معها وتظهر أنانيته ولو على مستوى الشعور الداخلي إلا إبراهيم فإنه ﴿ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ولم يقل: أسلمت لك، بل قال: إني أسلمت لرب يجب أن يستسلم له العالمون ويتذللون في حضرته وأنا أحد هؤلاء، فلم يأخذه العجب من تلك المنحة وذلك الفوز، فإجابته السريعة هذه تتم عن صدق إخلاصه وذوبان ذاته في عبوديته لله التي لا يحتاج معها إلى تأمل وانتظار.

النتيجة: أن هذا الإسلام قد حصل عليه إبراهيم ﷺ بعد اصطفائه نبياً ورسولاً وبعد بذل جهد كبير ونجاح في ميادين العمل والجهاد وليس في أوائل عمره الشريف.

وابعاً: أن الإسلام الذي منحه الله لإبراهيم ﷺ في هذا الخطاب هو أعلى درجاته كما قلنا سابقاً؛ لأن الإسلام على أربعة درجات وهي:

١- الإسلام الذي يأتي بظهور الشهادتين على اللسان وهو إسلام الجوارح فحسب.
٢- الإسلام الذي ينفذ إلى القلب ويؤمن به، والذي به يتميز واقع المسلم عن المنافق.

٣- الإسلام الذي يأتي بعد الاعتقاد القلبي وهو عمل الجوانح والجوارح فيما آمن به الإنسان ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾ (البقرة: ٢٠٨).

٤- الإسلام الذي يأتي بعد تسليم الجوارح والجوانح واتيادها لله بحيث لا يرى المؤمن لذاته ولا لصفته ولا لفعله دون الله شيئاً، وهذا النوع من الإسلام هو الذي منحه الله لإبراهيم ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِربِّ الْعَالَمِينَ﴾، وهذا هو الإسلام الذي طلبه إبراهيم ﷺ لتلك الأمة من بعض ذريته ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾، وهذا هو الإسلام الذي وصى به إبراهيم ﷺ بنيه ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، وهذا الإسلام لا يحصل عليه أحد إلا من شرح الله صدره للإسلام، وامتنحن قبله بحيث صار وعاءً للإسلام، وبذل مهجته له.



س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾؟

ج:

أولاً: عهد إبراهيم ﷺ بنيه بعد موته بتلك الملة المشتملة على الإسلام وبتلك الكلمة التي جعلها الله باقية في عقبه ألا يموت الأبناء إلا وهم على دين الإسلام وألا يموتوا إلا وهم في منتهى الطاعة والاستسلام لله الذي هو سبب اصطفاء الأنبياء، وعلى المسلمين أن يتنبهوا لهذه النكته المهمة وهي الطاعة لله وبما فيها من خير الدنيا والآخرة.

ثانياً: الوصية: هي نوع عهد بين الموصي والموصى له بشيء فيما إذا مات الموصي بحيث يوصل تصرفاته وأعماله في زمان حياته بعد وفاته، وهنا وقعت

وصية إبراهيم عليه السلام على ملته ودينه الإسلامي الذي اختاره الله لهم، فأراد إبراهيم من بنية أن يحافظوا على إسلامهم حتى الموت، وهذه الوصية تكشف لنا الأمور التالية:

- ١- أهمية الاستسلام لله.
- ٢- أهمية الالتزام بالدين الإسلامي الذي يضمن لك حالة الاستسلام لله.
- ٣- أهمية الوصية بالدين، فهي أهم من وصية الإنسان المتعلقة بأمر دُنْيَاه.
- ٤- أنَّ الدين قد ينفصل عن حياة الإنسان لدخول الشيطان في قلبه أو فكره أو أن يكون الإنسان نفسه لا يتحمل طريقه والمعاناة التي تحصل له من وراء التزامه بالدين فيحتاج عندئذٍ تذكّره ووصيته بالدين لتزرع عنده الإرادة القويّة والصبر والثبات والمثابرة والمواصلة في السير.
- ٥- أنَّ العبودية مهما كثرت ومهما كانت كيفيتها لا تكون لها قيمة عند الله إذا لم تكن ضمن رسم إلهي لها، والدين الإسلامي هو الطريق الذي يرسم ويمنّج عبادة الله إلى الله.

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾؟

ج:

أولاً: الخطاب موجّه إلى أهل الكتاب حين نسبوا دين الأنبياء إلى اليهود أو النصارى، والله من خلال هذه الآية والتي سبقتها يريد أن يكذب ادعاءاتهم عن طريق إنكاره لحضورهم ومشاهدتهم لذلك المجلس الذي كانت نهاية يعقوب عليه السلام فيه عند حضور علامات الموت، وكان قد أحضر جميع بنيه ليوصي بعبادة الله إليهم،

وإنَّ الله المعبود لا يختلف فهو هو إله الأنبياء جميعاً، وهو هو إله الآباء الماضين والحاضرين والغائبين، وهم جميعاً باقون على دينه الإسلامي والتزامهم به، فاطمئنان يعقوب وسروره في تلك اللحظات لنهاية حياته أراد أن يسمع منهم كلمة البقاء على الإسلام والاستسلام لله ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ الذي وصاهم به إبراهيم ﷺ ليطمئن ببقائه فيهم ويعيش معهم وفي أعماقهم، وهذه الوصية تكشف لنا الأمور التالية:

١- أن الإسلام وصية الأنبياء جميعاً.

٢- الإسلام أمانة في أعناق المسلمين؛ لأنه وصية الأنبياء ومركز اهتمامهم جميعاً.

٣- يموت الإنسان وهمه بقاء الدين الإسلامي في قلوب الناس وأفكارهم.

٤- حبَّ المسلم للمسلمين لكونهم يحملون الإسلام وهو مفضل على أي نوع من

الحبِّ الذي يربط المسلم بالمسلمين.

ثانياً: أن يكون تسليط الضوء على وصية يعقوب ﷺ ليلفت القرآن نظرنا إلى

الخصوصية التي كانت في الظرف الذي يعيشه يعقوب والتي تبرز حرصه وإخلاصه

على وجود الدين في الأبناء بصورة أكثر، حيث يعقوب وبنه عندما اجتمعوا مع

يوسف ﷺ بقوا معه في مصر، وكان مجتمع مصر يتدينون بدين الوثنية، وقد عزلهم

يوسف بمنطقة تبعد قليلاً عن العاصمة والمركز حتى لا يتأثر أولادهم بهذا الجو

المشرك، فوصية يعقوب تأتي للتأكيد على هذا السبب وهو خوفه على الأبناء أو

أبناء الأبناء في أن يتأثروا بذلك الجو لأي سبب من الأسباب وهم يخالطونهم

ويتعايشون معهم، فتكون هذه الوصية تعطي الدروس إلى جميع المسلمين الذين

غادروا أوطانهم ومجتمعهم الإسلامي والتجؤوا إلى أوطانٍ ومجتمعٍ لا يدينون بدين

الإسلام، فعليهم الحفاظ على أبنائهم من أن يتأثروا بغير دينهم نتيجة المخالطة والمعاشية مع الغرباء، وأن يكون الإسلام همهم وهم يخطون الخطى نحو معاشهم، وإن الإسلام هو الكلمة التي يجب أن تشغل لسان المغترب وهو يتحدث مع الآخرين.

النتيجة: أن تسليط الضوء على وصية يعقوب عليه السلام يعكس تأثير وصية الأب إبراهيم عليه السلام على بنيه، فالانسجام كان واضحاً بين ما أوصى به الأب إبراهيم وهو الإسلام وبين مسير يعقوب بن الابن الذي عاش الإسلام قلباً وعبادة، وعاش الإسلام محنة وغربة، وحمل الإسلام همماً لينقله إلى بنيه، فكان يعقوب بذلك مثال الابن والحفيد الصالح الملتزم، وهكذا وجود الأبناء الصالحين المؤمنين الملتزمين في الأسرة المسلمة، فهم يمثلون الطريق الذي يضمن بقاء الإسلام وديمومته في قلوب وسلوك أفراد الأسرة والمجتمع من خلال سلوكية الأبناء وتبليغهم الرسالي لرسالة الإسلام، فمن أحب الإسلام عقيدةً وأحبّه منهجاً باقياً للحياة عليه أن يحرص على وجوده ولو لأحد أبنائه لأن يكون صالحاً مؤمناً ملتزماً.

س: ما هي المحتملات في أن قال بنو يعقوب في الآية: ﴿وَالِهَ أَبَانِكَ﴾؟

ج:

١- ليعرف الجميع أن الله واحد وهو بنفسه الذي يدعو إليه الأنبياء جميعاً ﴿إِلَهًا وَاحِدًا﴾.

٢- ليعرف الجميع أن الأنبياء هم على دين الحنيفية وهم يدعون إلى دين الحنيفية لا إلى دين آخر.

٣- ليعرف الجميع أن الأنبياء كما يدعون إلى عبادة الله كانوا يعبدون الله؛ لأن الإله بمعنى المعبود، فلم تنفصل دعوتهم عمّا يعتقدون به، ولم ينفصل اعتقادهم عن عملهم، فهم أوّل العاملين لما يدعون إليه.

٤- ليعرف الجميع أن عبادة الله والدعوة إليه واتخاذ الإسلام ديناً لم تكن مسألة تقليد للأباء وإنما هو اختيار من قبلهم، ولهذا هم الذين أجابوا بمحض اختيارهم، وإن يعقوب عليه السلام قد سألهم فقط وهو في حالة الاحتضار.

س: لماذا سلط الله الضوء على آخر أيام إبراهيم ويعقوب وهي حالة الوصية وجمع الأبناء دون غيرها من الحالات في مجرى حياتهما؟

ج:

وذلك لأن هذه الحالة تعكس أصدق حالات الاهتمام التي تشغل الموصي وتكون أكثر تأثيراً في النفوس بقبولها وخصوصاً إذا حوت الوصية الأجواء التالية:

١- حضور جميع الأبناء، وشفقة الوالد على أبنائه معروفة، فلو كان شيئاً يضرهم لما أوصى به إليهم.

٢- الوصية تشملهم جميعاً بدون استثناء، وهذا يدل على شدة اهتمامه وأهميته الموصى به.

٣- لم يحدّد الوصية بزمان أو مكان معيّن، وهذا يكشف عن إرادة الاستمرار والدوام على ما وصى به.

٤- الكراهية والزجر من قبل الأب أو من قبل السامع عندما يسمع عدم التزام الأبناء بما أوصى به الأب، وهذا عامل تربوي للذي يتخذ غير الإسلام ديناً

حيث يجعله في حالة عدم اهتمامه بالإسلام مكروهاً ومرفوضاً عند إبراهيم ويعقوب لعدم الالتزام بما أوصيا به.

٥- لم يردف وصيته بوصية أخرى أو أي شيء آخر، وهذا يعكس القيمة العالية عنده بما أوصى به لحصر الوصية بما أوصى به دون شيء آخر.

س: لماذا ذكرت وصية إبراهيم ويعقوب بهذه الصورة بالخصوص من دون ذكر وصايا الأنبياء؟ اذكر المحتمل في ذلك.

ج:

١- قد يكون ذلك لتفهم اليهود بالخصوص الذين ينتمون بنسبهم إلى يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، فهم الذين أدخلوا البدع والشرك وادّعوا أنّ منهجهم العقائدي هذا هو نفس منهج الآباء والأجداد من الأنبياء، فالله يكشف هذا الجدل والكذب والبهتان الذي جاءت اليهود به من خلال كشف وصية إبراهيم ويعقوب وأبنائهم الذين أخذوا على أنفسهم الالتزام بالوصية من عبادة الله والالتزام بالإسلام، فأين دعوى اليهود من دعوى أنبيائهم؟!.

٢- أنّ عرض هذا النموذج يكفي عن عرض وصية الأنبياء جميعاً؛ لأنّ مستوى الهمّ والذوبان الرسالي ووعي ضرورة وجوده هو واحد عند جميع الأنبياء، فوصية إبراهيم ويعقوب لا تختلف عن وصية جميع الأنبياء وعلى رأسهم نبينا محمد ﷺ الذي قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣).

٣- أنّ إبراهيم ويعقوب ممّا تتفق الأديان الرئيسية على نبوتها، وبهذا يقطع الله الحجة على الذين لم يستسلموا لله ولم يتخذوا الإسلام ديناً.

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ
وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾؟

ج:

الأمة يراد منها هنا أحد احتمالين:

- ١- مجموعة الأنبياء الذين ذكر الله أسماءهم كإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب.
 - ٢- مجموع الأمم من البشر السابقة.
- وعلى كلا التقديرين يكون المعنى:

- ١- أن العمل إذا تعلق بعامله سيكون ذلك العامل هو المسؤول عنه يوم القيامة فلا يرفعه عنه غيره ولا هو يتحمل رفع عمل الغير، لكل إنسان حسابه على قدر ونوعية العمل الذي يقدمه، لا يسأل الآباء الميتون عن عمل أبنائهم الباقين ولا يسأل الأبناء عن عمل آباؤهم، وسواء كان العمل شخصياً أو نوعياً ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (المدثر: ٣٨)، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (الأنعام: ١٦٤).
- ٢- ذكر الأمة بالخصوص يوحي إلى تنبيه الإنسان بوجوب الالتفات إلى واجبات وحقوق الأمة ومراعاتها.

- ٣- أن هذه الآية تدعو إلى نبذ التقليد فيما يحتاج من الإنسان أن يفكر فيه، فإذا الأمة السابقة قد ارتكبت خطأ بأن قلّدت الآخرين في أصول عقيدتها أو عارضت من دون رجوع إلى مصادرها، فمن الخطأ الأكثر شناعة أن تسير على ذلك الخطأ من دون رجوع عنه أو التفكير فيه لاكتشاف ما فيه من الخطأ، فإذا اترف السابقون الخطأ فهم الذين يتحملون أوزار خطئهم ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾، فلماذا تتحملون نفس أخطائهم؟ ابل فكروا بما جاء به الأولون

وفكروا بنتاجكم الفكري ليكون لكم دوركم الايجابي في الفكر والعقيدة
﴿وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾.

٤- أن الذي ينفصل عن أبنائه بالموت - من الآباء والأجداد - لا تسري طاعته أو
معصيته إلى الأبناء، فلكل واحد منهم ما كسب، وقد يكون هذا رداً على اليهود
الذين يقولون: ﴿لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّاماً مَّعْدُودَةً﴾ (البقرة: ٨٠). إنهم يعدّون بكفر
آبائهم لعبادتهم العجل.



مركز تحقيقات کامپوٲر علوم اسلامي

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقِ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عِنْدَهُ مِنْ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾﴾ (البقرة: ١٣٥-١٤١)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيات؟

ج:

١- الحنيفية: الميل من الضلال إلى الهداية، ثم صارت تطلق على الموحّد التابع لدين

الحقّ، وهذه الكلمة بخلاف (جنف) فإنّها الميل من الحق إلى الباطل.

٢- الأسباط: جمع سبط وهو ابن الابن، وقد يراد منهم هنا أولاد الأنبياء، وقد يراد

منهم أولاد يعقوب بالخصوص.

٣- الشق: أ- الثقب. ب- والخرم والتمزق والتفرق. ج- الطرف والقسم من الشيء.

٤- الكف: أ- بلوغ المراد. ب- سدّ الخلة.

٥- الصبغة: هي الكيفية الحاصلة من تلون الشيء.

٦- المحاجة: أ- المجادلة. ب- إلقاء الحجّة.

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى

تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾؟

ج:

١- أن القائلين هم نفس أشخاص اليهود والنصارى وليس القائل دينهما، وهذا يعني

أن هذه الدعوى لا من الدين وإنما من أهوائهم وأنفسهم.

٢- أن من حق الإنسان أن يتعصب للحق وخصوصاً إذا كان الحق متمثلاً بالعبادة

والدين فإنه من أمّهات المسائل، والتعصب الواعي للدين عمدة الحياة وطعمها،

وهذا ممّا لا شك فيه وجداناً وعقلاً وشرعاً، ولكن المشكلة تكمن في تشخيص

الحق وطريق الوصول إليه، فقد يقطع الإنسان بحق وهو ليس كذلك اعتماداً

على مبررات غير موضوعية وهو لا يعلم أنها غير موضوعية كقطع القطاع، فهنا

كيف يكتشف الإنسان أنه على خطأ وكيف يعالجه؟ الله سبحانه وتعالى يعلمنا

من خلال هذه الآيات كيف نعرف أننا على خطأ في العقيدة واختيار الدين

وكيف نختار الصحيح منه من خلال متابعة الأمور التالية:

أولاً: حصول الخلاف، الخلاف وظهور المعارض يعتبر حافزاً أولياً لمراجعة

الإنسان ليسأل نفسه فيما تبناه من العقيدة والدين ليتأكد من صحّة ما يتبناه ويصحح

الخطأ إن وجد.

ثانياً: ألا ترجع أولاً عند الشك في الأمر العقائدي إلى الشخصية مهما كانت عظيمة؛ لأن المسألة هي في تشخيص الدين الحق، فالمرجع الأول هو الكتاب السماوي المعصوم عن أي زلل وخطأ؛ لأنه منزل من قبل الله، والرجوع إلى أصحاب الاختصاص يأتي بالدرجة الثانية، وذلك عند العجز بالوصول إلى حلّ عن الطريق الأول.

ثالثاً: وإذا حصل الخلاف بين أهل كتابين سماويين ولم ينفع الكتاب في حلّ الخلاف كما هو الخلاف الحاصل بين اليهود والنصارى فهذا لا يعني أنّ الخلاف وصل إلى طريقه المسدود، بل هناك نقاط مشتركة يمكن الوصول إليها لحلّ النزاع والوصول إلى الحق، ومن أهمّ تلك العناصر المشتركة بينهما هي الرجوع إلى دين إبراهيم ﷺ الذي يعتقد به كلّ من اليهود والنصارى على أنه مرجع الأديان وأساس الحنيفية، وليشاهد طالب الحق هل كان في صحف إبراهيم ﷺ دعوة إلى الشرك بالله كما قالت اليهود حين ادّعت بأنّ عزيراً ابن الله أو أنّ المسيح ابن الله كما قالت النصارى، وغيرها من مدّعين الشرك، وعند ذلك ستتكشف الحقيقة لطلابها.

رابعاً: عند الرجوع الفعلي إلى صحف إبراهيم ﷺ سوف نحصل على الأمور

التالية:

١- أنّ الحق الذي كان يعتقد به كلّ من اليهود أو النصارى ليس بحقّ فيما نسبه اليهود أو النصارى إلى الله أو فيما نسبه إلى أنفسهم أو إلى نبيّهم ﴿تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ﴾ فإنّ ﴿بَلْ﴾ إضراب الله عن قولهم ﴿تَهْتَدُوا﴾، وهذا يكشف عن عدم صحّة ادّعاتهم، ولكنّ الله لم يصرّح بعدم صحّة دعواهم ابتداءً لمراعاته أحد شروط الحوار التي تستوجب من أحد الطرفين عدم تكذيب

الطرف الآخر ابتداءً.

٢- أن ما كان يرفعه اليهود أو النصارى على أنه من الحق والدين سوف يكتشف عند رجوعهم إلى صحف إبراهيم أنه عين الشرك حين ينسبون الابن إلى الله أو حين يدخلون ما ليس بالدين به، انظر إلى التعصب الأعمى أو الذي لا يستقر على مبررات موضوعية التي تجعل الإنسان أن يعتقد بما هو العكس والمقابل ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، فإنهم يعتقدون بالشرك علموا بذلك أم لم يعلموا.

٣- أن مرجع الشرك الذي يكتشفونه عند رجوعهم إلى صحف إبراهيم ﷺ إنما أن يكون من كتبهم، أو من عند أنفسهم، فإن كان من كتبهم فلا بد أن يعلموا أن كتبهم هي ممّا امتدت إليها يد التحريف فلا يعتمد عليها بعدئذٍ، وإن كان من عند أنفسهم فلا أصل له في دين، وإن الصراع صراع الأهواء لا صراع الحضارات والأديان.

مركز تحقيقات كميونر علوم إسلامي

خامساً: وإذا لم يمكن الرجوع إلى صحف إبراهيم ﷺ فالمطلوب منكم:

١- الإيمان بالله والاستسلام له لاتفاق الجميع بضرورة ذلك فطرياً وعقلياً وباعتباركم أصحاب كتاب: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ... وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.

٢- أن تكون هناك نظرة عامة شمولية لحاصل ما أنزل من الكتب على جميع الأنبياء ولكل ما أوتي الأنبياء من الأفكار والأحكام، فإذا نظرتم إلى ذلك سوف لا تجدون إلا الوحدة الواحدة في عقيدة التوحيد وتوحيد العقيدة، فعلى المنصف الذي يطلب الحق إذا اشتبكت عليه بعض الأمور العقائدية أن يؤمن بهذا الخط التوحيدي العام لجميع الأنبياء فلم يأت نبي بما يخالف أي نبي آخر أبداً بأصول العقائد: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ

وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى ﴿١﴾.

سادساً؛ إذا أراد أحد من هؤلاء المختلفين في الدين أن يؤمن حقاً بدين سوف يتوصل من خلال التزامه بالنقاط التي طرحت سابقاً إلى الأمور التالية:

١- أن الله واحد وهو بنفسه وذاته ما يدعو إليه الأنبياء ووجوب الإيمان به والاستسلام إليه.

٢- سوف يجدون أن محمداً موجود في كل كتبهم وموجود في تبشير كل نبي،

وهذا يستدعي الإيمان والتصديق بالنبي محمد ﷺ، فلا يبقى أمام طالب الحق

والحقيقة إلا الإذعان للإسلام وما جاء به، فإن أذعن وآمن لذلك فقد حصل

على الهداية الحقّة التي تمثل عقيدة السماء بما لا لبس ولا خدش، لا فيه ذات

الله وصفاته ولا فيه مخالفة لحركة نبوية أو ما كان يدعو إليه أي نبي ﴿فَإِنْ

آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا﴾، وإن أصرّ على البقاء فيما هو عليه فليعلم

هو وغيره أن بقاءه على ما هو عليه ليس إلا خضوعاً إلى هوى نفسي لا يمتّ

إلى الدين بصله، واستمرار الخضوع إلى هوى النفس في الأمور الدينية معناه

سُجْرَ الإنسانية إلى متاعب لا تحمد عقباها من الاختلافات السياسية والهدر

المالي والضياع العقائدي والحروب التي لا هواد فيها والضغائن التي تفرّق بين

الناس، وفي جميع الأحوال سوف تجدون أن هناك عنصر الرجوع والخذلان

بالنسبة إلى بقية الأديان إلا الدين الإسلامي الذي ستجدون له الانتشار والتأثير

في العالم؛ لأنه دين الله الحق الذي هو ناصره، وأنه دين الفطرة ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ

مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾.

س: لماذا عبّر الله عن الالتزام والإيمان بالإسلام بأنه صبغة ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾؟

ج:

١- أن الصبغ يعني الوضوح والصفاء واللمعان، والإسلام يحمل من الوضوح في الحق واللمعان والصفاء فيما يطرحه من المعاني، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ أنه قال: «الصبغة هي الإسلام»^(١).

٢- أن الصبغ يعني ما كان ظاهراً للعيان، والإسلام ظاهر لكل أحد حيث لم يقتصر الحصول عليه على المسلمين، بل إن بساطة الحصول والتطلع عليه مباح لكل أحد من الناس، لم يكن مغلقاً على نفسه أو على جماعته المتمسكين فيه أو على جهة من جهات الحياة، فهو منفتح وظاهر في جميع جهات الحياة.

٣- أن الصبغ يعني لم يكن له ظاهر وباطن مختلفين، والإسلام كذلك، فباطنه ظاهره وظاهره باطنه، فلا تجد اختلافاً بين ما يحمله من الشعارات وبين دفين فكره وما يريد من العمل وغيرها من الوجوه، فكما يريد الله من الإنسان أن يتصف بكونه مسلماً ظاهراً يريد منه أن يكون مستسلماً باطناً إليه سبحانه.

٤- أن الصبغ يعني الجمالية، والإسلام يمتلك هذه الصفة على أعلى درجاتها من حيث وحدة الفكرة والتنسيق بين جميع وحداته التي تجري فيه من دون تفاوت، والجمالية في مناسكه وهدفها العالي، والجمال في شخصياته التي تمثلها والتي جسّدت بأجمل صور التجسيد، جميل في دستوره وقانونه، جميل في شدته ورحمته وعلوه وتواضعه، وجميل في جميع أصداده، فإنه يحمل جمالية

مؤسسه وواضعه وهو الله الجميل.

٥- أن صبغة الشيء يعني الإحاطة الكاملة به، والإسلام يحيط بكل أمور الحياة ويغطي جوانبها السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية، فليس هناك شيء في الحياة إلا وفيه حرام أو حلال.

٦- أن الصبغ يعني الجاذبية، والإسلام يمتلك جاذبية الإنسان المنصف إليه، ولهذا تجد الكثرة في كسبه للجمهور الإنساني، فداعية واحد للإسلام يكفي في كسب شريحة كاملة من أهل الكتاب وغيرهم وما ذلك إلا لقوة الجاذبية للحق الذي يمتلكه الإسلام.

٧- أن صبغة الله يعني عدم زوال الصبغة، لأنها تنتسب إلى الله انتساباً حقيقياً، لا كصبغة اليهود والنصارى وغيرهم من أصحاب الديانات المهتدة بالزوال لعدم قابليتها الفكرية على المقاومة أمام العقيدة الحقّة ومشكلات العالم الإنساني.

٨- أن صبغة الله تعني أن مادته المستعملة فيه طاهرة بنفسها، والإسلام طاهر من أيّ شرك، وطاهر من وجود أي رجس فيه، بل هو مطهر للأفكار وللسلوكيات المنحرفة.

٩- صبغة الله كناية عن فطرة الله التي أوجدها في العباد، والإسلام دين الفطرة وهذا ما ميّزه عن بقية الأديان كما هو دور الصبغ الذي به يقع التميّز عن الغير ظاهراً.

١٠- صبغة الله لا صبغة الآباء والأجداد ولا صبغة أي إنسان في العالم، فهي التي تجسّد التوحيد واللجوء إليه بخط مستقيم، فلا خوف من هذه الصبغة؛ لأنّ جميعها خير واستقامة، ولا يخاف عليها لأنّها لا يعترها الذوبان والاضمحلال أو التغيّرات، ولم يكن بقاء هذه الصبغة أو الإيمان بالإسلام كدين افتخاراً

للمسلمين أمام الكفار جميعاً في أن يكون استكباراً منهم ولا بدون عمل، بل هو موضع افتخارهم وهم في حال كونهم عابدين لله متذللين له غير مستكبرين أو يرون أنفسهم متفضلين على شعوب العالم، بل ﴿وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾، فهذا العلو لا يزيد المسلمين إلا خشوعاً وتواضعاً وحركة ناشطة ومسؤولية كبرى، فالمسلمون يدعون إلى الإسلام وهم في حال كونهم بأنفسهم مستسلمين لله.

س: ما هي الاحتمالات التي ترد فيما هو المراد من ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾؟
ج:

- ١- الإسلام، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «الصبغة هي الإسلام»^(١).
- ٢- الولاية، ورد عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام أنهما قالوا: «صبغ المؤمنين بالولاية في الميثاق»^(٢).
مركز تحقيقات كاميون علوم إسلامي
- ٣- العقل؛ لأنَّ منه تشع أنوار هداية الطريق ومن خلاله يتميّز الحق من الباطل وبه يوصل الإنسان إلى الجنان.
- ٤- ملة إبراهيم عليه السلام، باعتبار أنَّه ممكن تقدير (اتبعوا)؛ لأنَّ (صبغة) منصوب، أو جعل الصبغة صفة إلى ملة إبراهيم، فيكون سياق الآية مناسباً مع ما قبلها، فكأن الآية تصبح هكذا (اتبعوا ملة إبراهيم صبغة الله).
- ٥- مطلق دين الله؛ لأنَّ الذي لا دين له لا ينتسب إلى الله بأيِّ وجه من الوجوه، فصبغة الله تأتي للإنسان ويلتصق بها عندما يحمل ديناً سماوياً موحداً، وهي

(١) الكافي ٢: ١٤/٢.

(٢) الكافي ١: ٤٢٢/٥٣.

في نفس الوقت صيغة افتخارية للإنسان.

٦- الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فلوضوح وجود الفطرة والإحساس بها عند كل إنسان، فكذلك الإسلام الذي يتماشى مع هذه الفطرة ويحس بأحقيته كل إنسان يمتلك حياة الفطرة.

س: ما هو المراد المحتمل من تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ... وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾؟

ج:

أن إقامة المحاجة بين طرفين قائمة في الحياة وهي أحد الأسس المهمة في حل الكثير من مشاكل الحياة وتصحيح الكثير من الأخطاء التي تقع فيها، وتختلف المحاجة حسب متعلقها بالنفي والإثبات، فهي:

أولاً: أمّا ألا يكون هناك عنصر مشترك بين الطرفين المتنازعين، فتكون المحاجة على أساس أن يريد كل طرف جذب الطرف الآخر إلى ما يتبناه كالاحتجاج بين الوثنية والإسلام.

ثانياً: وأمّا أن يكون هناك عنصر مشترك بينهما فتكون المحاجة في هذه الحالة هي أحد قسمين:

١- أن يثبت أحدهما للآخر المميزات التي يختص بها دون الطرف الآخر.

٢- أن ينفي أحدهما للآخر ما لا يليق أن يدعي به.

إذا عرفت ذلك تعرف متعلق المحاجة بين المسلمين وأهل الكتاب في هذه

الآية بالخصوص وهو الله.

وبعبارة اخرى: أن الاختلاف بين المسلمين وأهل الكتاب اختلاف في مسألة التوحيد، وأنهم مختلفون في الله. وتوضيح ذلك: يدعي كل من اليهود والنصارى أنهم هم أفضل الناس عند الله، وإن أنبياءهم هم أبناء الله، والقرآن يجيبهم على لسان المسلمين: إن الإله الذي تدعون له أيها اليهود والنصارى تنسبون له الشرك والظلم وعدم العدالة وذلك:

١- أن الله هو ربّ العباد جميعاً ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ فلماذا تكون الجنة لكم والنار لغيركم؟ مع أن الجميع مشرك في عبادته ﴿وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾.

٢- كيف يجعلكم الله أفضل الناس عنده مع أنكم تنسبون له الشريك والابن؟ ... بينما نحن المسلمون أكثر إخلاصاً منكم لله؛ لأننا ننسب له الكمال المطلق والوحدانية المطلقة ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾، فكيف يفضل الذي هو أقل إخلاصاً على الأكثر إخلاصاً له؟!

٣- كيف تريدون أن نتحاجج بالله والحال أننا مختلفون في أعمالنا ومناسكنا مع أننا نعيش ظرفاً واحداً وساحة واحدة وزمناً واحداً ونرجع إلى ربّ واحد، فإما أن نكون - نحن المسلمون - غير متصلين بالله، أو أنتم أيها اليهود والنصارى، ومن أجل أن نصل إلى الحق والحقيقة في ذلك لا بدّ من الرجوع إلى حركة الأنبياء جميعاً ولما يدعون إليه ولو بنظرة إجمالية، فسوف لن نرى إلاّ صرف الحنيفية والدعوة إلى الإسلام ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾، ونحن الذين نمثّل خط توحيد الله وأنبيائه وكتبه، ونحن الذين نمثّل خط الالتزام بما أَرَادَهُ اللهُ، فما هو دليل إخلاصكم لله، وما هو دليل استسلامكم لله، وما هو دليل صحّة انتساب مناسككم لله، وما هو الدليل على أن الله حابس ذاته وصفاته

وعطاؤه لكم دون غيركم.

قد يكون رد أهل الكتاب على ما يطرحه المسلمون : إنَّ ما نتبناه لم يكن شيئاً غريباً عن الدين وحركة الأنبياء ودعوتهم، بل هو نفس ما يتبناه الأنبياء من قبل ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى﴾، فيأتي جواب القرآن لهم بأننا نرجع في مثل هذه الأمور إلى الله باعتباره الناقل للتأريخ بكل أمان وعلم وصدق ﴿قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ لنراه يقول في كتبه جميعاً ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (آل عمران: ٦٥)، أي أن هذه الأمور التي رفعها اليهود والنصارى هي من الأمور المستحدثة، وصحف إبراهيم سابقة عليها ولم تذكر فيها ما يذكره اليهود ولا النصارى، وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدل على ابتداعها من عند أنفسهم ولا وجود لها عند الأنبياء.

هذا بالإضافة إلى أن رؤساء الديانتين وعلماءهم يعلمون جيداً أن الشعارات التي يحملونها فيها الشيء الكثير المنافي لوحدانية الله ومما لم يأت بها نبي ولا وصي نبي، إنهم يكتمون هذه الشهادة التي جاءت ﴿مِنْ اللَّهِ﴾ المذكورة في الكتب السماوية جميعاً بأن إبراهيم قبل موسى وعيسى ولم يكن في دعوته شرك لله، أو أن إبراهيم ما كان يهودياً ولا نصرانياً، أو أن دعوة إبراهيم وجميع الأنبياء هي إلى الحنيفية وليس لها اختصاص باليهودية أو النصرانية، وأن كتمان مثل هذه الشهادة ستؤدي إلى اختلاف الناس عقائدياً وسوف تسفك من ورائها الدماء، وسوف يدخلون - بسبب هذا الكتمان - الملايين من الناس إلى النار ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، فلتكن تأملاتكم مجردة من

الطرفين وعن الترسبات التي جاء تكلم من أسلافكم، وليكن لكم تفكير منفصل عمّا ورثتموه من أسلافكم، وليكن لكم موقف عقلائي مستقلّ عن كلّ هيمنة فكرية قد أسّسها الأوّلون تسيطر عليكم، فإذا أخطأ الأوّلون فلماذا أنتم سائرون على خطاهم الخاطئة من دون وعي والتفات إلى ما تركوه لكم لتكتشفوا بأنفسكم نقاط الضعف والقوّة في تاريخكم مع أنّ الدخلاء موجودون على طول الخط ومع كلّ حركة ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ
لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة: ١٤٢)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:

- ١- التولي: أ- إذا عدّي ب- (عن) يأتي بمعنى العدول والرجوع. ب- إذا عدّي ب- (في) يأتي بمعنى الإقبال.
- ٢- القبلة: من المقابلة.

س: ما هو المعنى المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ
النَّاسِ مَا وَلَاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ...﴾؟

مركز تحقيقات كميونر علوم إسلامي

ج:

أولاً: هذه الآية نزلت وبعد لم تحوّل القبلة، بل هي من الأمور الغيبية التي أعطها الله لرسوله ﷺ، وإخبار يستبطن موعداً منه سبحانه بتحويل القبلة، وقد يكون الإخبار هذا قبل تحويل القبلة ليعلم الله المسلمين جواب أهمّ الاعتراضات التي سترد على ألسنة أهل الكتاب والمناققين وغيرهم ممن يتربص لحركة الرسول ﷺ والمؤمنين به.

ثانياً: أنّ هذه الظاهرة - وهي تحويل القبلة - هي حدث جديد وعظيم سوف لا يمرّ بسلام ومن دون معارض من قبل اليهود وغيرهم، وهناك فرق بين الاستفهام وهو طلب الفهم عند الجهل به وهذا شيء حسن ومحبوب شرعاً وسائغ عقلاً، ولكن إعلان المعارضة من دون سؤال وفهم العلة في التحويل وفي كلّ قضية فهو

نقص في عقل يعدّ سفهاً ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمْ﴾، وهناك سفه آخر وهو قد يكون في أصل فهمهم حيث يعتقدون أنّ الله إذا أحدث أمراً فبقاؤه ضروري ولا يجوز نسخه، فإذا شاهدوا تحويل قبلة المسلمين سوف يعترضون عليهم بهذا النوع من الاعتراض والله يعلم المؤمنين بالجواب مسبقاً، وهو أنّهم سفهاء أيضاً - وهذا دعم معنوي للمسلمين - لعدم علمهم وإحاطتهم بالنسخ الذي مرّ ذكره في تفسير آية (١٠٦ البقرة)، وهنا يأتي الجواب على ذلك وهو ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾.

الله: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ أي أنّ الجهة بما هي جهة لا ميزة لها ولا قدسية لها تجاه الجهة الأخرى؛ لأنّ كلّ الجهات تؤدي نفس الغرض وأنها مملوكة لله فأين ما يتجه الإنسان فهو يتجه إلى الله، فلا ميزة ذاتية أو اقتضائية لنفس الجهة بما هي جهة.

نعم، الأصل فيها التشريع لها من قبل الله، فالله هو الذي ألبسها ثوب التقديس والشرقية، فالذي جعل أولاً جهة بيت المقدس قبلته فما هو المانع في أن يجعل جهة أخرى كالكعبة هي الجهة المقصودة مادام هو مالك الجهات ملكاً ذاتياً حقيقياً تكوينياً وتشريعياً.

أمّا لماذا ذكر المشرق والمغرب دون بقية الجهات فقد مرّ توضيح ذلك (آية ١١٥ من سورة البقرة).

وابعاً: ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي أنّ تعيين طرق الهداية وما فيه مصلحة العباد مختصّ بالله في تعيين ماهيته ورسم منهجيته، فإن شاء جعل البقاء على بيت المقدس إذا كانت هناك مصلحة وإلا غير الاتجاه إلى ما فيه مصلحة أقوى

﴿صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ فهو سبحانه صاحب الصراط وخالقه، وما يأتي بشيء أو يحذف شيئاً إلا نابحاً من عدالته وحكمته وعلمه سبحانه التي لا يصدر منه إلا ما فيه مصلحة لخلقه وهداية لهم، ولم تكن هدايته إلا صراطاً مستقيماً.

س: ما هي محتملات المراد من السفه الذي يصف الله به السائلين عن سبب تحويل القبلة؟

ج:

- ١- أن يكون السفه هو غاية السائلين في اتهام الله في البداء والنسخ كما قلنا.
- ٢- أن يكون السائلون يريدون الانتقاص من الإسلام من خلال الانتقاص من الرسول على أن الإسلام هو من صنع محمد ﷺ لا من الله، وإلا كيف حصل هذا التغيير في القبلة بعد مرور هذه الأعوام وهو يصلي إلى قبلة بيت المقدس؟.
- ٣- أن يكون السائلون يريدون الانتقاص من الإسلام، إذ لو كان الدين من الله فإن أنبياء الله السابقين قبلتهم هي بيت المقدس فكيف حصل لهذا الدين الجديد أن يغير القبلة وتكون له قبلة جديدة غير قبلة الأنبياء الذين سبقوه؟.

س: إذا كان تحويل القبلة من شؤون المسلمين الداخلية فلماذا يعترض غيرهم عليهم؟ اذكر المحتملات في ذلك.

ج:

- ١- أن يكون لزرع الشك في قلوب المسلمين ومحاولة زلزلة عقائدهم.
- ٢- أن يكون لأنهم فهموا أن هناك حرباً باردة قد بدأها المسلمون ضد أعظم منسك ديني لهم وهي قبلتهم، التي إن أصر المسلمون على تركها فإن طريق قبلتهم سيكون إلى البطلان والإضمحلال.
- ٣- أن يكون من أمنياتهم أن يبقى المسلمون على قبلتهم الأولى للبيت المقدس

ليسيطروا عليهم وتبقى لليهود الحجّة الأقوى لكونها قبلتهم فهم الأقدمون وأصحاب الفضل بذلك، فعندما تحوّلت إلى جهة الكعبة باءت كلّ محاولاتهم وأمنياتهم بالفشل.

٤- أن تحويل القبلة يعتبر نقطة تحوّل في مسير المسلمين إلى الأمام؛ لأنّهم سوف يشعرون بالاستقلالية تماماً عن أي ارتباط بالأجنبي عن دينهم، ومثل هذا التقدّم الرائع للمسلمين لا بدّ أن يواجهه من قبل الحاقدين على الإسلام بالمعارضة الشديدة.

٥- أن معارضتهم منشؤها السفه لا طلب العلم، وهذا يعني حبّهم للسيطرة على العقول والأفكار وإن كانت تمثّل علماً وشرعة، وكرههم لمن يخالفهم وإن كان المخالف يمثّل عالم الغيب وأمر السماء، وهذا منتهى الاستبداد والاستعباد للآخرين، ومنتهى الأنانية البغيضة.

س: من هم السفهاء المقصودون في هذه الآية ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ﴾؟ اذكر المحتملات في ذلك.

ج:

١- اليهود، باعتبارهم هم المقصودون بذلك، وإنّ من جملة أمنياتهم أن يبقى الرسول ﷺ وجماعته من المسلمين على قبلتهم ظلّاً منهم أنّهم يحصلون على استمالة المسلمين في يوم ما.

٢- مشركو العرب، حيث لمّا كان الرسول ﷺ في مكّة وهو يصلي إلى جهة بيت المقدس ولمّا هاجر إلى المدينة صلى إلى جهة الكعبة، فصدرت الإشاعة بين قريش أنّ الرسول ﷺ قد تنازل إلى رأيهم ومال إلى طريقتهم بتحويل القبلة إلى

الكعبة التي هي مركز أصنامهم.

٣- المنافقون، الذين يصطادون بالماء العكر ويستغلون أي ثغرة يمكنهم الدخول من خلالها، وتحول القبلة لم يكن بالشيء الهين وأنها ظاهرة فريدة من نوعها في أن تكون قبلتان لنبي، فلا بد أن تكون هذه الظاهرة مدار جدل وحوار، وعند ذلك أصبح هذا التحول أرضاً خصبة للمناققين لأن يزرعوا ما شاؤوا من الإشاعات لتضعيف العقيدة الإسلامية في نفوس المسلمين.

٤- مطلق السفهاء، وهم الذين يطلقون مثل هذه الأقوال بين الآونة والأخرى، وهم الذين ينعمون مع كل ناعق، يلتقون مع سلوكية المنافقين وأهدافهم من حيث لا يشعرون، وهم الذين لا تخلو الساحة من وجودهم مع طول الدهر والأيام.



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم إسلامي

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ
الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ
الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ
وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة: ١٤٣)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:

- ١- كذلك: اسم إشارة لما مضى.
- ٢- الوسط: المتخلل بين طرفين بحيث يتم التمييز بين الطرفين بوجوده.
- ٣- الشهادة: الحضور مع المشاهدة، إما بالبصر أو بالبصيرة.
- ٤- العقب: التأخر.
- ٥- الضياع: الهلاك والفقدان.
- ٦- الرأفة: أ - اللطف. ب - التساهل.

مركز تحقيقات كميونر علوم إسلامي

● الأمة الوسط

س: إلى أي جهة يمكن رجوع (كذلك)؟

ج:

- ١- كما سنحوّل القبلة لكم لنهديكم إلى صراط مستقيم كذلك جعلناكم أمة وسطاً
لنهديكم.
- ٢- أن الذي بيده التشريع فجعل الكعبة قبلة لكم كذلك جعلكم أمة وسطاً لتكونوا
مثالاً للأمم.

٣- كما كان من عظيم جعله الكعبة قبلة لكم كذلك من عظيم جعله أن جعلكم أمة وسطاً.

٤- كما جعلنا الكعبة وجهة للناس كذلك جعلناكم وجهة للأمم.

٥- كما جعلنا الرسول شهيداً كذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس.

٦- كما اصطفينا إبراهيم عليه السلام اصطفيناكم كأمة وسطاً.

س: ماذا يراد من الأمة في قوله تعالى: ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا...﴾؟

ج:

يوجد احتمالان:

الاحتمال الأول: أن يراد عموم الأمة بعنوانها من دون النظر إلى الأفراد، فيكون المعنى على هذا أن الأمم في العالم ما بين مفرط في الغور في المادة والحس ويقف عند أسبابها ومسبباتها القانونية ضمن نطاق عالم الطبيعة بحيث لا تتعدى فلسفته للحياة أكثر من ذلك، وما بين مفرط في جانب الروح ويرجع سبب كل شيء لذلك ولا شأن له في الخلاق بما منحها خالقها من أسرار مادتها. فإذا هناك إما تفريط أو إفراط وهذه هي سمة الأمم التي لا تعرف الموازنة بين الإيمان والتعامل مع الأشياء، وقد جعل الله الأمة الإسلامية التي تنتسب إلى دينها الإسلامي أمة لا تفريط فيها إلى جانب ولا إفراط، بل اعتراف بحقيقة الأشياء جميعاً وإعطاء كل ذي حق حقه، فهي تتخذ في منهجها دائماً جانب الوسطية في الأمور التي يُعتبر التحيز إلى أحد من جوانبها تفريطاً أو إفراطاً كما في الأمور التالية:

١- التفكير والعمل إلى الحياة فقط أو إلى الآخرة فقط، جواب الإسلام يأخذ الحالة

الوسطية كما ورد على لسان أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «اعمل لدنياك كأنك

تعيش أبدأ واعمل لأخرتك كأنك تموت غداً»^(١).

٢- جبر الله العباد في أعمالهم، أم أن الله قد فوّض فيها الأمر إليهم، جواب الإسلام الحالة الوسطية في ذلك، كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «لا جبر ولا تفويض ولكن هو أمر بين أمرين»^(٢).

٣- هل هو سلام دائم مع الناس كما عليه شعار النصارى، أم هو حرب دائم مع الناس كما عليه اليهود، جواب الإسلام الحالة الوسطية وهي السلام عندما يكون الموقف موقف سلام، والحرب الشرسة عندما تكون الحاجة لذلك ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (البقرة: ١٩٠).

٤- هل تبعيتنا تكون للشرق أو للغرب، جواب الإسلام بل اعتماد اعتماد على الله والكفاءة الذاتية للإسلام والمسلمين التي تنتج الحالة الاستقلالية والوسطية والاعتدال في الميل ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ (النور: ٣٥).

٥- رهبانية دوماً فلا حق للحياة، أم هي حياة اللعب والله و ولا شيء وراءها، جواب الإسلام هو الحالة الوسطية برفض الحالتين ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ (الحديد: ٢٧)، ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِبَاطِلٍ وَلَهْوٍ وَعَرَثَهُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (الأنعام: ٧٠)، والالتزام بحالة التوازن التي تعطي للروح حقها في جانب الراحة والعبادة.

٦- أن حضور الأمة الإسلامية بين الناس تعطي شهادتها يومياً للناس بما تحمله من منهجية تمثل السماء، ويرفعها لصوت محمد عليه السلام كل يوم، وبوجود القرآن

(١) الفقيه ٣/١٥٦/٣٥٦٩.

(٢) الكافي ١: ١٢/١٦٠.

المعجز الذي عجزت أيدي كل الناس أن يأتوا بمثله أو تمدّ إليه يد التحريف ولما يحمل من نور الهداية لكلّ الناس بخطاباته الشمولية للكون والحياة، كلّ هذه الوحدات وغيرها تقدّمه الأُمّة الإسلاميّة وهي تعيش بينهم حاضرة عندهم غير خارجة عنهم، تقدّم إليهم الحجج تلو الحجج، فلا عذر لبني آدم في عدم انضمامه ضمن صفوف الأُمّة الإسلاميّة التي أدلت بشهادتها بما تحمله من هذه الوحدات الذي أذعن لها الأصم والأعمى والأبكم ببصيرتهم وفطرتهم الحيّة المنفتحة التي سمعوا وشاهدوا ونطقوا من خلالها فحملتهم للإيمان بهذه الأُمّة الإسلاميّة واتخذوا الإسلام ديناً ونوراً يرتقون من خلاله معالي الدنيا والآخرة. ورد عن الإمام الصادق، عن أبيه، عن النبي ﷺ أنه قال: «مِمَّا أُعْطِيَ اللهُ أُمَّتِي وَفَضَّلَهُمْ عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ، أَعْطَاهُمْ ثَلَاثَ خِصَالٍ لَمْ يُعْطَ بِهَا إِلَّا نَبِيٌّ ... وَكَانَ إِذَا بَعَثَ نَبِيًّا جَعَلَهُ شَهِيداً عَلَى قَوْمِهِ، وَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَعَلَ أُمَّتِي شُهَدَاءَ عَلَى الْخَلْقِ، حَيْثُ يَقُولُ: ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾»^(١).

الاحتمال الثاني: ألا يراد من الأُمّة بعنوانها ومفهومها ومن دون لحاظ الأفراد.

بل إنّ المخاطب في هذه الآية هم الأفراد المسلمون، وذلك للأدلة التالية:

أولاً: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ من هذه العبارة نستنتج الأمور التالية:

- ١- أنّ هذه العبارة متفرّعة من العبارة السابقة، بمعنى أنّ العلة في أننا جعلناكم أُمّة وسطاً من أجل أن تكونوا شهداء على الناس، من هنا نعرف أنّ الشهادة مرادة جداً لأنها هي غاية جعل الوسطية للأُمّة.

٢- أن هذه الشهادة مطلوبة من المسلمين على الناس، وهذا يحتاج من المسلم أن تكون له معرفة بالناس في الدنيا ومطلعاً على أعمالهم فرداً فرداً وجيلاً بعد جيل إلى يوم القيامة، وهذا يعتمد على كون المراد من معنى الشهادة هو المعنى اللغوي وهي الإدلاء بعد الاطلاع عن حس.

٣- أن هذا الشاهد لا بد أن يعرف كل أنواع العمل من حقه وباطله الذي يصدر من الإنسان منذ صدور الإسلام إلى يوم القيامة وفي كل مكان، ومكشوف لديه النوايا والخفايا ليكون مطلعاً على تمام العمل الذي يصدر من الإنسان، وإلا لا يعرف حق العمل وباطله بمجرد صدوره من فاعله.

٤- أن هؤلاء الشهداء لا يمكن أن يكونوا جميع المسلمين؛ لأن المسلم لم يكن له هذا العمر الطويل الذي يواكب الناس وليست له القدرة على ذلك، بل ليست له القدرة على معرفة نفسه وما يصدر منها في بعض الأحيان، بل إن أكثر المسلمين كاره للحق مشرك بالشرك الخفي بالله، وبعض المسلمين منافق، طاغية، ظالم، فاسق.

ومنه نعرف أنه لا بد أن تكون هذه الأمة هي مجموعة من المسلمين الخاصين الذين أوكل الله لهم هذه المهمة وليس كل المسلمين.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ أنه قال: «فإن ظننت أن الله عنى بهذه الآية جميع أهل القبلة من الموحدين، أفترى أن من لا تجوز شهادته في الدنيا على صاع من تمر، يطلب الله شهادته يوم القيامة، ويقبلها منه بحضرة جميع الأمم الماضية؟! كلا، لم يعن الله مثل هذا من خلقه، يعنى الأمة التي وجبت لها دعوة إبراهيم: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ

أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴿١﴾، وهم الأمة الوسطى، وهم خير أمة أخرجت للناس» (١).
 ٥- أن شرط الوسطية أي العدالة في الشهادة مطلوبة وقت الأداء لا وقت التحمل، وهذا يعني: أن هناك من هم مطلوبون لأداء الشهادة على كل الناس وعلى جميع ما قدموه من أعمال، بضمنهم أفراد الأمة الإسلامية جميعاً.
 ٦- أن هؤلاء الأشخاص هم الوسطة بين الرسول ﷺ والناس؛ لأنهم هم شهداء على الناس والرسول عليهم شهيد.
 ٧- أن المنح التي أعطيت للرسول ﷺ حتى صارت له القابلية على أن يكون شاهداً على الناس هي بنفسها تعطي لهؤلاء الأشخاص ليؤدوا دورهم ومهمتهم ليكونوا شهداء على جميع الناس.

٨- حتى يمنح هؤلاء القابلية التي أعطيت للرسول ﷺ لا بد أن يكونوا بأنفسهم وعاءً له القابلية والاستعداد لذلك، وإن أنفسهم لا تقل عن نفس الرسول ﷺ من حيث قربهم إلى الله وعصمتهم ومطلق عملهم.

ثانياً: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾، فلا فرق بين الأمة الإسلامية وغيرها من حيث إنها أمة، فهي مسؤولة عن كسبها كبقية الأمم، ونحن نعيش اليوم تخلف الأمة الإسلامية في رجوعها عن الكثير من الواجبات الملقاة على عاتقها، فكيف يكونوا شهداء على الناس؟!.

ثالثاً: ﴿وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾، هذه الشهادة لو قلنا: في الآخرة، لم يكن لها معنى في أن يجعل تلك الأمة وسطاً لهذه العلة، لأن الرسول ﷺ وكثيراً غيره سيكونون شهداء سواء جعل الأمة وسطاً أم لم يجعلها كذلك. فإذاً هذه

(١) تفسير العياشي ١: ١١٤/٦٣.

الشهادة تؤدَّى في الدنيا، أي هناك عمل يقدِّم في الدنيا من قبل هؤلاء الأمة الوسط وهم يقدِّمونه إلى الرسول ﷺ، وهذه الخصوصية لم تكن لأحد. ومنه نعرف كذلك أن هذه الوسطية بين الناس والرسول ﷺ لا بين المادة والروح ولا بين جانبي الإفراط والتفريط الذي ذكره أصحاب الرأي الأول. ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إِنَّمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ - قال عليه السلام: - ولا يكون شهداء على الناس إلا الأئمة والرسول، فأما الأمة فإنه غير جائز أن يستشهدها الله وفيهم من لا تجوز شهادته في الدنيا في حزمة بقل»^(١).

س: ماذا يراد من قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ ﴾؟

ج:

لقد صلى الرسول ﷺ والمؤمنون إلى بيت المقدس كقبلة لهم في مدة بقائه في مكة المكرمة وبعض من الأشهر في المدينة، أي ثلاث عشرة سنة وعدة من الأشهر، وبما أن التوجه إلى بيت المقدس كقبلة هو من أمر الله سبحانه وتعالى، وكل أمر منه سبحانه هو تكليف غايته امتحان المؤمنين في طاعتهم لله، والموصل لأمر الله للناس هو الرسول ﷺ باعتباره الواسطة بينه سبحانه وبين الناس، وبما أن دعوة الرسول ﷺ جديدة عهد تحتاج إلى استقرار وتثبيت في قلوب المؤمنين به واستيعاب الثواب التي يدعو إليها الرسول ﷺ، ولهذا أبقى الله بيت المقدس كقبلة ليثبت المؤمنين بالتصديق بالرسول ﷺ بعيداً عن كل إثارة قد تزعزع بعض القلوب،

ثم بعد ذلك يستدرجهم في عملية تحويل القبلة.

وعلى جميع الأحوال لا يخرج التحويل عن مسألة الاختبار والامتجان الإلهي للمؤمنين وللناس أجمعين ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنُعَلِّمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَائِبًا﴾.

س: ما هي الفائدة من شهادة هؤلاء الخاصة من الناس مع وجود عدة كتب قد أعدّها الله لتدوين أعمال الناس جميعاً صغيرها وكبيرها ظاهرها وخفائها؟ اذكر المحتملات في ذلك.

ج:

١- هناك أشياء نُسبت إلى المعصوم من زيادة أو نقصان بما له دخل في القضية العقائدية ومما سببت تلك الزيادة أو ذلك النقصان الانحراف العقائدي، فلا بد من شهادتهم لأن يُبرِّئوا ساحتهم ممّا نسب إليهم ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (المائدة: ١١٦-١١٧)

٢- قد كلف الله بعض المعصومين أن يكونوا مطلعين على أعمال العباد في الدنيا، ولازمه أن يكونوا شهداء يوم القيامة على ما اطلعوا عليه ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة: ١٠٥).

٣- أن تكون شهادة المعصوم تختلف مورداً عن شهادة غيره من الناس، حيث شهادة

المعصوم تأتي في الأمور العامة التي تمثل حركة الأمة النوعية والعامة التي لا يقدر أن يقوم بها الفرد العادي غير المسؤول، فتبقى من اختصاص المعصوم.

٤- أن يوم القيامة هو يوم الشهادة، حيث الكلّ يشهد سواء كان إنساناً أو جماداً أو حيواناً أو نباتاً، وكلّ له مورده ودوره الخاص به في أداء شهادته، وتأكيد القرآن على شهادة المعصوم ربما لدائرتها الأوسع والأشمل في الشهادة.

س: ما هي المحتملات في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾؟

ج:

١- أن يكون الضمير في (كانت) هو الأمة الوسط، فيكون المعنى: أن جعل الأمة وسطاً ثقيل على كثير من الناس إلا على الذين هدى الله من المؤمنين، فإنه المحبوب عندهم والطبيعي الذي لا بد أن يكون.

٢- أن يكون الضمير في (كانت) هو البقاء على القبلة، فيكون المعنى: أن البقاء على بيت المقدس كقبلة للمسلمين كان ثقيلاً على بعض المؤمنين وغير مرضي عندهم إلا على الذين يمتلكون الوعي والإيمان العالي في الطاعة لله، فإن ثقل البقاء لم يدخل قلوبهم، وإنما هم في حالة واحدة قبل التحوّل وبعده مادام الكلّ من أمر الله وداخلاً في طاعته، فعلى هذا الاحتمال يكشف الله الدفين الداخلي لبعض المؤمنين في بداية الدعوة.

٣- أن يكون الضمير في (كانت) هو تحويل القبلة، فيكون المعنى ذا احتمالين: **الأول**: أن تحويل القبلة كان أمراً ثقيلاً على أهل الكتاب؛ لأنهم كانوا يتفاخرون بها على المسلمين وأنها الذريعة التي كانوا ينفذون من خلالها إلى المسلمين للتشكيك والتضليل، إلا على الذين آمنوا بالله وبرسوله ورسالته، فإن هذا

التحويل يعتبر بالنسبة إليهم حالة تحوّل إلى ما فيه التكامل والاستقلال.
الثاني: أنّ تحويل القبلة كان همًا كبيراً ومصدر قلق على بعض المؤمنين
 لخوفهم من التبعات التي سيلاقونها من المشركين وأهل الكتاب والمنافقين
 وكيف يقنعون بعض المؤمنين بهذا التحوّل العظيم الذي يبرز كظاهرة أولى في
 التأريخ الديني، إلا على الذين تكون قلوبهم مطمئنة بانتصار دين الله على كل ما
 يثار من هنا وهناك.

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ
 إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾؟

ج:

هذا هو المنهج الخاص بالله سبحانه وتعالى، حيث أنه يثبت كل صغيرة وكبيرة
 من عمل الناس، فإن كان في طريق الإيمان فهو مضاعف من حيث العطاء الخير في
 الآخرة لرأفته ورحمته، ولكن هنا قد يكون المعنى ذا خصوصية في تحويل القبلة،
 ورد في الحديث: «كان من أصحاب رسول الله ﷺ ماتوا على القبلة الأولى جاءت
 عشائهم فقالوا: يا رسول الله، مات إخواننا وهم يصلّون إلى القبلة الأولى، وقد
 صرفك الله تعالى إلى قبلة إبراهيم فكيف بإخواننا؟ فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ
 إِيمَانَكُمْ﴾ الآية^(١)، فقد سمى الله الصلاة إيماناً.

(١) أسباب النزول: ٢٦.

﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ
شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ •
وَلَيْنَ أُتِيَتِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ
قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا
جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ • الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ
كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ • الْحَقُّ
مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (البقرة: ١٤٤-١٤٧)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيات؟

مركز بحوث ودراسات إسلامية

ج:

١- التقلُّب: التحوُّل من وجه إلى وجه.

٢- الشطر: أ- جزء الشيء. ب- وجه الشيء. ج- بعض الشيء.

٣- الممتر: المتردد.

س: ما هي المحتملات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ

وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ...﴾؟

ج:

أن الرسول ﷺ قد رغب في تغيير القبلة وقد أحبَّ الرسول ذلك حبًّا شديدًا،

وحبه هذا لم يكن لحالة قد تولدت في حينها، بل هو من جملة ما كان مطلعاً عليه

الرسول ﷺ مسبقاً والمذكور في بعض الكتب السماوية، ولكن محاربة اليهود للرسول ﷺ وللمؤمنين حوله - في خصوص القبلة بتغييرهم وتفاجرهم على المسلمين لتوجههم إلى قبلتهم - كانت تحزن الرسول ﷺ كثيراً، فكان يخرج بين الحين والآخر إلى أرض خالية يرفع رأسه إلى السماء وهو يلتفت يميناً وشمالاً وذلك :

١- أما انتظاراً لنزول الوحي في أمر القبلة لموعد وعده الله إليه.

٢- أو توقّعاً منه لنزول الوحي لحبّه الشديد وطلبه في تغيير القبلة.

٣- أو أن يعرض حالته واحتياجه إلى الله في تغيير القبلة ولم يظهرها على لسانه تأدباً لعلمه بأن الله أعلم بمصلحة وقت التحويل.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ...﴾ أنه قال: «نعم، إن رسول الله ﷺ كان يقلب وجهه في السماء، فعلم الله ما في نفسه، فقال تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾»^(١).

س: هل يعني أن الرسول ﷺ في قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ كان غير راضٍ بقبلة بيت المقدس خلال الفترة التي صلاها باتجاهها؟

ج:

أي سوف نأمرك باستقبال القبلة التي ترضاها، ولا يعني أن الرسول ﷺ غير راضٍ بتوجهه إلى بيت المقدس كقبلة؛ لأن ما يرضى عليه الله يرضى عليه الرسول ﷺ وما يحبه الله يحبه الرسول ﷺ، فلما كان التوجه إلى بيت المقدس محبوباً عند الله لأنه كان أمراً منه سبحانه فهو محبوب عند رسوله ﷺ، فلا منافاة بين حبه للكعبة كقبلة وبين بقاء حبه لبيت المقدس ما دام الكل محبوباً عند الله.

نعم، هناك زيادة في الحب للكعبة، والناشئ إما لموعد من الله إلى الرسول ﷺ حيث رفعها إبراهيم عليه السلام لتكون قبلة للمسلمين أو لحاجة سياسية ضد اليهود، أو لضرورة لها مساس بمستقبل دينه الجديد الذي استقل وتميز بكل شيء بكتابه ومناسكه ونظراته للحياة ومصطلحاته فلتكن قبلته كذلك التي هي من الأمور المهمة في الدين وغيرها من الأمور التي ولدت الرغبة وزرعت الحب في قلب الرسول ﷺ للتوجه إلى القبلة الجديدة.

س: ما هو المراد من تفسير قوله تعالى: ﴿قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾؟

ج:

هو تشريع بالتوجه إلى المسجد الحرام كقبلة، ومركز البيت هو الكعبة التي هي قبلة للمسلمين للأحاديث المتواترة في ذلك، وإنما ذكر البيت الحرام توسعة في الأمر، وإنَّ الاتجاه إلى البيت اتجاه للكعبة وخاصة للبعيد عن الحرم. وهذا من باب لطفه سبحانه وتعالى أن جعل الحرم قبلة للبعيد حتى يخلص عباده من العسر والحرج الذي يتولد من الدقة التي يحتاجها تعيين الكعبة بالذات، ولم يقتصر التشريع بالتوجه إلى البيت الحرام كقبلة على أهل مكة والحجاز، بل يشمل جميع المسلمين في العالم ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾.

س: ما هي المحتملات التي ترد في ما هو مرجع ضمير (أنه) في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾؟

ج:

١- أن الضمير عائد إلى الكعبة، أي أن أهل الكتاب يعلمون أن الكعبة هي القبلة التي بناها إبراهيم عليه السلام وهي القبلة الثابتة أخيراً لما هو مذكور في كتبهم.

٢- أن الضمير عائد على الإسلام، أي أن أهل الكتاب يعلمون أن الإسلام على حق، وأن تشريعاته هي عين الحق، ولكن عنادهم للحق واستكبارهم عليه يجعلهم يقفون موقف الضد ويمارسون أنواع الإشاعات لعرقلة مسيره ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾.

٣- أن الضمير عائد على الرسول ﷺ، أي أن أهل الكتاب يعرفون أن محمداً ﷺ هو المقصود وهو المصدق الأوحى الذي ينطبق عليه ما هو المذكور في كتبهم المتعلق بشخصيته، فهو الحق، وله الحق في قيادته للإسلام وكل ما يتعلق من تشريعاته الصادرة من السماء والتي منها تحويل القبلة.

س: ما هو المحتمل المراد من قوله تعالى: ﴿وَلَيُنْزِلَنَّ الَّذِينَ آتَيْنَا أوثُوا الْكِتَابِ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ؟﴾

مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم إسلامي

ج:

عندما يكون الإنسان في حالة فهم واستعداد للخضوع إلى الحق أين ما كان فهنا يمكن أن يصل إلى حل واحد وهو الحق الذي يطلبه الطرفان سواء كان له مساس في دين أو عقل أو مطلق العلم، وإذا كان أحد الطرفين متمسكاً بما يحمله من العقيدة ومعانداً مع دينه الذي ينقل بعض الحقائق، ومع الواضحات من الأمور، فهنا مهما جاء به الطرف الآخر من حق ودلائل على إثبات النتيجة الحقّة فلا يصل إلى نتيجة معه لقراره المسبق الذي اتخذه على نفسه بعدم الخضوع مهما كانت النتيجة وإن كانت هي الحقيقة الواضحة كوضوح الشمس في رابعة النهار، فمثل هذا الطرف لا يجوز عقلاً ولا شرعاً أن يضيع الإنسان قدراته وطاقته ووقته في صرفه مع هكذا نموذج، وأغلب علماء أهل الكتاب هم من هذا النمط السلبي لدوافع تختلف من

عالم إلى آخر، ومن شخص إلى شخص، ومن ملة إلى أخرى، ومن زمان إلى زمان. وأما أنت أيها الرسول فبعد أن تبين لك الحق الخاص والعام الذي يعرفه علماء أهل الكتاب فتكون النتيجة أنه حتى أنت أيها الرسول ﷺ سوف لن تتبع قبلتهم ليقينك بالحق في أن قبلك قد تحولت إلى بيت الله الحرام، ونتيجة يقينك بما أنزل عليك من أمر التحويل سوف تترك البيت المقدس كقبلة ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبَلَتِهِمْ﴾.

والعلماء من أهل الكتاب كل قد اعتكف على ما هو موجود عنده وإن كان ذلك الاعتكاف وتلك القناعات قد تركزت على أسس غير متينة وغير موضوعية، وبهذا تكون النتيجة واضحة وهي أن تعتكف كل ملة على قبلتها ولا ترضى بقبلة الطرف الآخر أي كان ﴿وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبَلَةَ بَعْضٍ﴾.

فالخلاف لا زال قائماً وسوف يبقى قائماً بينهم وبيننا ما داموا لا يريدون البحث عن الحقيقة، وإنما هي مجموعة من الأهواء التي تصدر من مطامع الدنيا وأهواء من نفوسهم التي تعودت على إنكار الحق الذي يضرب مصالحهم، أو هو نتاج تعصب أعمى، ولهذا فإن أي خضوع أو تنازل يُقدّم إليهم فهو ظلم للحق الذي صار واضحاً لكل من يطلبه بسلامة نفس وعقل مجرد عن العصبية، وأنه أصبح من الثوابت غير القابلة للتغيير والخارجة عن دائرة أي حوار يجري مع أهل الكتاب ﴿وَلَيْنَ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبَلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبَلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبَلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

وهذا الخطاب وإن كان موجهاً إلى الرسول ﷺ تشريفاً له باعتباره المسؤول، إلا أنه يُسمع الآخرين ويحذّرهم في اتخاذ موقف الليونة والتنازل عن بيت الله الحرام

أمام أهل الكتاب لو فرضنا أن الحوار قد يحصل في مستقبل الزمان، لعلمه سبحانه بأنه لا فائدة مرجوة منهم، ولا يسمح للحق أن يضع بين الأهواء مهما كانت النتائج ومن أي فاعل صدر، ولكن هذا لا يمنع من عقد جلسات الحوار مع أهل الكتاب ومبادلة الآراء لإيصال كلمة الحق ونشرها وإقناع البعض منهم بالحجة والبرهان.

س: ما هي الأمور التي يجب استقبال القبلة بها؟

ج:

- ١- مطلق الصلاة مع الإمكان.
- ٢- مطلق الذبائح الشرعية مع الإمكان.
- ٣- احتضار الإنسان مع الإمكان.
- ٤- دفن الميت مع الإمكان.
- ٥- عندما يتعلق التذرية أو اليمين بالاستقبال.

س: حدّد لنا قبلة المسلمين.

ج:

قبلة المسلمين: هي الكعبة لمن كان في المسجد الحرام، والمسجد قبلة لمن كان في الحرم، والحرم قبلة لمن كان خارجاً عنه، وجهة الكعبة ليس بنايتها المادية بل جهة الكعبة هي المحور والعمود الوهمي الممتد من تخوم الأرض إلى آفاق السماء.

س: ما هو المراد من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا

يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)؟

ج:

يكشف الله من خلال هذه الآية عناد أهل الكتاب على الرغم مما استيقنتها أنفسهم بكلّ الوحدات الأساسية للإسلام من القرآن والرسول محمد ﷺ، ويمثّل الله درجة معرفتهم برسول الإسلام كالآب الذكي منهم الذي يعرف تفصيلات ابنه من حيث شكله وكليات تصرفاته وجزئياتها وصدقه وكذبه وأنه لو اختلط بمثات الأبناء لعرفه وميّزه عن غيره، فأهل الكتاب معرفتهم بما جاء به الرسول وبالرسول نفسه كمعرفتهم التفصيلية بأبنائهم لما هو مذكور عندهم في كتبهم وما وصل إليهم ممّا أوصى به الأنبياء ولما شاهدوا من العلامات التي تنطبق عليه لا على غيره في مدّة الأربعين سنة قبل البعثة التي عاش فيها الرسول ﷺ بينهم، ومن المقابلات التي حصلت من رهبانهم وأخبارهم مع الرسول ﷺ قبل البعثة وبعدها، وكتب السيرة مملوءة بتلك القصص، وخير مصداق على حقيقة معرفتهم بالصفة التي ينقلها الله هو إسلام عبدالله بن سلام أحد علماء اليهود الذي قال بعد إعلان إسلامه كما نقل عنه: (والله أنا أعلم به مني بابني).

وعليه فالذي يؤمن من أهل الكتاب بالإسلام وبالرسول ﷺ فهو أمرٌ طبيعيٌ لكلّ من يؤمن بكتاب سماوي لمعرفة بما هو مذكور عندهم، والذي لم يؤمن بذلك وهم الأكثرية فهو عناد وانحراف وهوى نفس فلا فائدة ترتجى في مجادلتهم وسماع قولهم لما يمتلكون من الرؤية الواضحة، ولأنّهم يعلمون الحقّ ويكتمونه سواء كان متعلق الحق هو القبلة أو شخص الرسول أو غير ذلك ممّا جاء به الرسول ﷺ ﴿وَإِنَّ قَرِيْقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

س: كيف نعلم إجمالاً أن الكتب السماوية قد ذكرت بعض التفاصيل عن الإسلام أو عن الرسول ﷺ مع أن الكتب قد حُذفت الكثير منها ودُرس الآخر؟

ج:

أولاً: أن الله هو الواضع للكتب السماوية الأصلية منها فهو أعرف من غيره بما ذكر فيها، وقد أخبرنا كثيراً وفي مواقع متعددة في القرآن أن الرسول ﷺ وشخصيته المذكورة في الكتب، وقوله الصدق والحق، فيكون ذكر الرسول وبعض ما جاء في القرآن مذكوراً حتماً.

ثانياً: أن دعوة الأنبياء واحدة من ناحية أصولها، ولا بد من ذكر التفريعات في المعاد مثلاً وعكس صور منه للناس، وموقف الرسول ﷺ له الدور البارز في عالم القيامة وسيدها، فلا يعقل عدم ذكره وذكر مواقفه في الكتب السماوية.

ثالثاً: أن الرسول ﷺ هو سيد الأنبياء وخاتمهم، وأن الإسلام هو خاتم الأديان وأكملها، وأن الأنبياء جاؤوا على مراحل من حيث التكامل البشري التدريجي حتى يصلوا إلى غاية الأديان وخاتمها إلى يوم القيامة، فلا بد من أن يُذكر الرسول ﷺ ودينه ولو إجمالاً ليؤهلوا ذهنية الناس لقبول ذلك الدين والرسول الخاتم.

رابعاً: أن بعض علماء أهل الكتاب يقولون بالإسلام وبالرسول محمد ﷺ إلا أنهم لا يرتضون بالمصدق، وإنما يقولون: سيظهر مستقبلاً، ولم يكن ادعاؤهم هذا مستنداً إلى حجة ودليل، بل هو العناد والجهل والهوى كما هو طبيعتهم وطريقتهم في الحياة، وهذا يكشف عن أن شخص محمد ﷺ ودينه الإسلامي مذكور عندهم.

خامساً: ضرورة الحفاظ على وحدة المجتمع الإنساني من الناحية العقائدية

بالخصوص يوجب ذكر السابقين واللاحقين ولو بشيء من الذكر الذي يعكس وحدة الدعوة في الأصول الدينية وخصوصاً إذا لاحظنا علم الله بما ستختلف فيه الأمم في المسائل العقائدية، ورحمة الله بعباده لم تقصّر بهذا الجانب وحاشا لله من ذلك، بل وضّح منهجية السابقين واللاحقين بما لا يجعل للشك مجالاً في ذلك؛ ولهذا قال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾.

من هذه النقاط وغيرها نعلم ولو إجمالاً ومن دون الرجوع إلى الكتب السماوية الأصلية إلى ضرورة ذكر الدين الإسلامي وشخصية الرسول ﷺ وبعض من علاماته وبعض من أعماله في تلك الكتب السماوية.

● الحق

س: ما هو التفسير المحتمل لقوله تعالى: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُفْتَرِينَ﴾؟

مركز تحقيقات كميونر علوم إسلامي

ج:

أن هذا الخطاب تسلية للرسول ﷺ وبيان للمؤمنين، فالآية تبين قوّة الحق وثباته ودوامه وانتصاره، سواء على مستوى تشريعاته، أو على مستوى رسالته أو رسوله؛ لأنّ الكلّ هو الحق، ولأنّه من الحقّ تعالى، فكلّ من يحمل الحقّ ويعمل به فلا يخاف أحداً؛ إذ فإنّه في علو دائم ولا يدخل في قلبه التردّد سواء على مستوى المقدّمة أو على مستوى النتيجة، وذلك:

١- أنّ الحق هو ذات الله ﴿قَدْ لِكُمْ اللهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ﴾ (يونس: ٣٢)، وقوله: ﴿وَاللهُ يَقُولُ الْحَقُّ﴾ (الأحزاب: ٤)، وهو فعله تعالى ﴿لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللهُ حَقٌّ﴾ (الكهف: ٢١)، وإنّ كتابه تعالى هو الحقّ ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ﴾ (فاطر: ٣١)، وإنّ

دينه هو الحق ﴿أُرْسِلَ رَسُولُهُ بِأَهْدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾ (الصنف: ٩)، وكل ما في الوجود راجع إليه ومنه سبحانه فهو الحق ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (الحجر: ٨٥)، فالذي يؤمن بهذه العظمة ويحمل رسالة للناس فلا ينبغي أن يدخله التردد في شيء منه.

٢- أن الحق نور ساطع يشاهده كل إنسان بنور بصيرته العقلية والفطرية، فهو من الأمور الواضحة التي لا تتغير من إنسان إلى آخر، وليس من الأمور النسبية حتى يختلف الحق فلا مجال لترديد حامله والمؤمن به ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ (النمل: ٧٩).

٣- أن الحق له القوة والثبات بما لا تقاس مع الباطل ﴿بَلْ تَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ (الأنبياء: ١٨)، فلا موجب للتردد في اختيار الحق. ورد عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنه قال: «ما ترك الحق عزيز إلا ذل، ولا أخذ به ذليل إلا عز» (١).

٤- أن محل الحق دائماً مع المثل العليا والصفات الحسنى والشخصيات المؤمنة العظيمة والمواقف الرفيعة، فهو بالنتيجة في علو دائم، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «الإسلام يعلو ولا يعلى عليه» (٢).

٥- لا نقطة مشتركة بين الحق والباطل، فكل حق في الكون مرجعه إلى الله في صغيره وكبيره وفي كل قضية شخصية أو نوعية، وأما الباطل فمن غير الله، فالذي يحمل الحق فقد استند إلى الله، وعليه فلا يكون من الممترين، لأن التردد

(١) تحف العقول: ٤٨٩.

(٢) الفقيه ٤: ٣٣٤/٥٧١٩.

والتزلزل من صفات الواقع في الباطل الذي لا يجتمع مع الحق.

س: تحدّث القرآن والسنة عن الحق، اذكر ذلك مع شيء من التوضيح.

ج:

١- الحقّ كلمة من الكلمات الواسعة الشاملة لكثير من المصاديق والأفراد، وهو من

الكلمات الواضحات في نفسها فلا تحتاج إلى من يعرفها لبدايتها.

٢- الحق هو كلّ شيء متعلّق بالله، فذاته حقّ واسمه حقّ ﴿قَدْ لَكُمْ اللهُ رَبُّكُمْ

الْحَقُّ﴾ (يونس: ٣٢)، وقوله حقّ ﴿وَاللهُ يَقُولُ الْحَقُّ﴾ (الأحزاب: ٤)، وفعله حقّ ﴿هُنَالِكَ

الْوَلَايَةُ لِلّهِ الْحَقِّ﴾ (الكهف: ٤٤)، ﴿لِيَعْلَمُوا أَن وَعَدَ اللهُ حَقًّا﴾ (الكهف: ٢١)، وقرآنه

حقّ ﴿اللهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ (الشورى: ١٧)، وتشريعاته حقّ ﴿وَالَّذِي

أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ﴾ (فاطر: ٣١)، وإرسال رسله حقّ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ

بِالْحَقِّ﴾ (فاطر: ٢٤)، وكلّ شيء مخلّقه حقّاً ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا

بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (العنكبوت: ٨٥).

ورد في الحديث الشريف وهو يبيّن بعض مفردات الحقّ التي خلقها الله «... وأنّ

ما جاء به محمد ﷺ حقّ، وأنّ الموت حقّ، وسؤال منكر ونكير في القبر حقّ،

والبعث حقّ، والنشور حقّ، والصراط حقّ، والميزان حقّ، وتطابير الكتب حقّ،

والجنة حقّ، والنار حقّ...»^(١).

٣- الفطرة والعقل والشرع وطهارة النفس طرق الوصول إلى الحق، فالراغب

للوصول إليه لا بدّ أن يستعين بهذه الطرق حسب جهة الحقّ ونوعه، فوجود الله

ودينه الحق يدلّني عليه العقل والفطرة، والتكاليف الحقّ يدلّني عليها العقل

والشرع، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «أبي الله أن يعرف باطلاً حقاً، أبي الله أن يجعل الحق في قلب المؤمن باطلاً لا شك فيه، وأبي الله أن يجعل الحق في قلب الكافر المخالف حقاً لا شك فيه، ولو لم يجعل هذا هكذا ما عُرف حق من باطل»^(١).

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً أنه قال: «... أن أصحاب القياس طلبوا العلم بالقياس، فلم يزداهم من الحق إلا بعداً، وإن دين الله لا يصاب بالقياس»^(٢).

٤- الحق مسؤولية الإنسان، أين ما وجد وعند أي كان ومهما كان حجمه ونوعه، ولو كلف طلب الحق نفسه، وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «خض الغمرات إلى الحق حيث كان»^(٣).

وورد عن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال: «ألا ترون إلى الحق لا يعمل به وإلى الباطل لا يتناهى عنه»^(٤).

٥- الحق مهما تعدد فهو وحدة واحدة وسلسلة متصلة، فلا يمكن أن يلتزم ببعض منه دون بعض قليلاً كان أو كثيراً صغيراً كان أو كبيراً، وسواء كان الذي جاء به محبوباً أو مبغوضاً، ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: «إقبل الحق ممن أتاك به صغير أو كبير وإن كان بغيضاً، واردد الباطل على من جاء به من صغير أو كبير وإن كان حبيباً»^(٥)، ورد عن المسيح عليه السلام أنه قال: «خذوا الحق من أهل الباطل، ولا

(١) المحاسن ١: ٢٧٧/٣٩٤.

(٢) الكافي ١: ١٤/٥٧.

(٣) نهج البلاغة ٣: ٣٩/٣١.

(٤) المناقب ٣: ٢٢٤.

(٥) كنز العمال ١٥: ٧٩٤/٤٣١٥٢.

تأخذوا الباطل من أهل الحق»^(١).

٦- الحق ميزان الله في الحياة الدنيا والآخرة، وهو الكفة الراجحة دائماً وأبداً، فأبي تلاعب في هذا الميزان يحاول خلخلته من قبل الباطل فهو محاولة فاشلة، قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ (الأنبياء: ١٨)، وقال تعالى: ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ (الشورى: ٢٤)، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «مَنْ صَارَ الْحَقَّ صِرَعَهُ»^(٢).

٧- الحق لا يعطي لمتناوليه إلا الثمر النافع الدائم، وإن لم يقتطف في الدنيا فهو في الآخرة، وإن طريق اقتطافه مملوء بالأشواك، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ (الرعد: ١٧)، ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام أنه قال: «قل الحق وإن كان فيه هلاكك، فإن فيه نجاتك، ودع الباطل وإن كان فيه نجاتك فإن فيه هلاكك»^(٣)، وورد عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنه قال: «ما ترك الحق عزيزاً إلا ذل، ولا أخذ به ذليل إلا عز»^(٤).

٨- الحق لا يلبس ثوب غيره، ولا يتلون بلون غيره، ولا يسلك طريق غيره، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «الباطل غرور خادع»^(٥)، وعنه أيضاً: «فلو أن الباطل خالص من مزاج الحق لم يخف على المرتادين، ولو أن الحق خالص من لبس الباطل، انقطعت عنه ألسن المعاندين، ولكن يؤخذ من هذا ضعف، ومن

(١) المحاسن ١: ١٦٩/٢٢٩.

(٢) نهج البلاغة ٤: ٤٠٨/٩٥.

(٣) الاختصاص: ٣٢.

(٤) تحف العقول: ٤٨٩.

(٥) غرر الحكم: ١٠١٨/٧١.

هذا ضغث..»^(١).

٩- الحق لا يقبل الابتعاد عنه ولو خطوة، فأى خطوة تبتعد عنه تقربك إلى الباطل وهي تسقطك في التيه والضلال والظلم، قال تعالى: ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقُّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُضْرَفُونَ﴾ (يونس: ٣٢)، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إِنَّ مَنْ لَا يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاطِلُ، وَمَنْ لَا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْهَدَى تَضُرُّهُ الضَّلَالَةُ»^(٢).

١٠- الحق من مفرداته البارزة الكلمة والموقف والشخصية، ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»^(٣)، وعنه أيضاً: «علي مع الحق والحق مع علي»^(٤).

١١- الحق لا يعرف شيئاً عن الباطل، والباطل يعرف أكثر الحق فيأخذ منه ما يريد، وتمييز هذا من ذلك يحتاج إلى شيء من الفطنة والدقة العلمية والتقوى ومشورة العقلاء والسؤال من أصحاب الاختصاص حتى لا يقع في الشبهات التي سميت بذلك لشباهتها للحق، قال تعالى: ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ (الحج: ٥٤)، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «... وَإِنَّ مِنَ الْحَقِّ أَنْ تَفْقَهُوا وَمَنْ فَقَهُه أَلَّا تَغْتَرَّوا»^(٥).

وعنه أيضاً: «ذمتي بما أقول رهينة وأنا به زعيم، إنه لا يهيج على التقوى زرع

(١) نهج البلاغة ١: ٥٠/٩٩.

(٢) تحف العقول: ١٥٢.

(٣) عوالي اللآلي ١: ١٣١/٤٣٢.

(٤) المناقب ٣: ٥٠.

(٥) الكافي ١: ٦/٤٥.

قوم، ولا يظماً على التقوى سنخ أصل، ألا إن الخير كل الخير فيمن عرف قدره، وكفى بالمرء جهلاً ألا يعرف قدره، إن أبغض خلق الله إلى الله رجل كَشَّ علماً من أغمار غشوة وأوباش فتنة، فهو في عمى عن الهدى الذي أتى به من عند ربه، وضال عن سنة نبيه من يظن أن الحق في صفحه، كلاً والذي نفس ابن أبي طالب بيده قد ضلّ وأضلّ من افتري سمأه رعاع الناس عالماً، ولم يكن في العلم يوماً سالماً، فكّر فاستكثر ما قلّ منه خير ممّا كثر، حتى إذا ارتوى من غير حاصل واستكثر من غير طائل، جلس للناس مفتياً ضامناً لتخليص ما اشتبه عليهم، فإن نزلت به إحدى المهمات هيباً لها حشواً من رأيه، ثم قطع الشبهات خباط جهالات ...»^(١).

١٢- الحق له مؤثراته المعنوية العالية من الجمال والنورانية التي تنفذ في القلوب، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «في القلب نور لا يضيء إلا من اتّباع الحق وقصد السبيل، وهو نور من المرسلين الأنبياء مودع في قلوب المؤمنين»^(٢).

١٣- الحق له مؤثراته العالية الحسيّة على من يحمله كالثبات والقوّة والبقاء والانتصار والغلبة والحسن والعزّة والخير بعكس الباطل الذي لا يتّصف إلا بالرفض والزوال والقبیح والظلام والضلال والسوء والذلّة؛ لأنّ صفات الحقّ متصلّة بصفات الله ومن الله، ورد عن الإمام العسكري ﷺ أنه قال: «ما ترك الحقّ عزيزاً إلا ذلّ، ولا أخذ به ذليلٌ إلا عزّ»^(٣).

(١) الأماي للطرسي: ٤١٦/٢٣٤.

(٢) البحار ٢: ٢٠/٢٦٥.

(٣) تحف العقول: ٤٨٩.

١٤- الحق إذا مدَّ يده فعلى العاقل أن يأخذ بيده لأنه الناصح الذي يوصل صاحبه إلى شاطئ الأمان، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «لا دليل أنصح من استماع الحق»^(١).

١٥- الحق يحبّ الناس كثيراً وقريب منهم ولكن أكثر الناس للحقّ كارهون بسبب اتباع أهوائهم واقتراف المعاصي التي تبعدهم عن الحق والحقيقة ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ (الزخرف: ٧٨).

١٦- الحق ثقيل على الناس لابتعادهم عنه حتى أنهم لا يحبّون سماع صوته ولا رؤية مكانه، ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: «الحق ثقيل مرّ، والباطل خفيف حلو، وربّ شهوة ساعة تورث حزناً طويلاً»^(٢)، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «ما أبقى لي الحق من صديق».

١٧- الحق هو الذي يقيم الناس بنسبتهم إليه والعكس غير صحيح، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إنّ الحق لا يعرف بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله»^(٣).

١٨- الحق يرفض المداهنة فيه، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «...ولا تُدهنوا في الحق فتخسروا»^(٤).

١٩- الحق بداية الإنسان ونهايته وحركته الوسطية بينهما، ورد عن الإمام

(١) كنز الفوائد: ٢٨٣.

(٢) أعلام الدين: ٥٣٣.

(٣) مجمع البيان ١: ١٨٧.

(٤) الكافي ١: ٦/٤٥.

- الصادق عليه السلام أنه قال: «إن أمرنا هو الحق وحق الحق وهو الظاهر والباطن...»^(١).
- ٢٠- الحق عيب على الإنسان أن يجهله واستكبار في حرب أهله، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «قال رسول الله ﷺ: إن أعظم الكبر غمص الخلق وسفه الحق. قلت: وما غمص الخلق وسفه الحق؟ قال ﷺ: يجهل الحق ويطعن أهله، ومن فعل ذلك فقد نازع الله في ردايه»^(٢).
- ٢١- الحق لا يطلب بالاستجداء والليونة والتذلل، فالعزة والقوة هو الطريق المنحصر لأخذه من غاصبيه في أكثر الحالات، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «ولأقودن الظالم بخزامتة حتى أورده منهل الحق وإن كان كارهاً»^(٣)، وورد عن الإمام الحسن عليه السلام أنه قال: «قال رسول الله ﷺ: ...قويكم عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه، وضعيفكم عندي قوي حتى آخذ الحق له»^(٤).
- ٢٢- الحق خير أنيس لطلابه وحامله وللذين أخلصوا له، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وهو يتحدث مع أبي ذر الغفاري أنه قال: «... لا يؤنسك إلا الحق، ولا يوحشك إلا الباطل»^(٥).
- ٢٣- الحق يمتلك الحياة، وحياة الحق مرتبطة بحياة قلب الإنسان وعقله وإرادته ومواقفه، فكلمة كان الإنسان حياً في مشاعره ومواقفه كلما أحيا الحق وقرب من جوهر الحياة وطعمها الحقيقي، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «قال

(١) بصائر الدرجات: ٤/٤٩.

(٢) الكافي ٢: ٩/٣١٠.

(٣) نهج البلاغة ٢: ١٣٦/١٩.

(٤) تفسير الإمام العسكري: ٣٢٩/٥٥٨.

(٥) الكافي ٨: ٢٥١/٢٠٦.

رسول الله ﷺ: احيوا القصاص وأحيوا الحق لصاحب الحق ولا تفرقوا، واسلموا
وسلموا، كتب الله لأغلبين أنا ورسلي..»^(١).

٢٤- الحق من طبيعته لا يقبل الزيادة ولا النقصان، فالزيادة فيه غلو والنقصان منه
باطل وهوى ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ
قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (المائدة: ٧٧)، ورد
عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «..وسيهلك في صنفان، محب مفرط يذهب
به الحب إلى غير الحق، ومبغض مفرط يذهب به البغض إلى غير الحق»^(٢).

٢٥- الحق من طبيعته الصرامة، فلا تجرّه الانفعالات من الغضب والعصبية والهيجان
والتسرع والسخط والحب والبغض، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «إنما
المؤمن الذي إذا رضى لم يدخله رضاه في إثم ولا باطل، وإذا سخط لم يخرج
سخطه من قول الحق، والذي إذا قدر لم يخرج قدرته إلى التعدي إلى ما ليس له
بحق»^(٣).

٢٦- الحق من طبيعته أن يختفي عن الأنظار في بعض الأحيان نتيجة لقوة الباطل إلا
أنه لا ينكسر أو يموت، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «المغلوب بالحق
غالب»^(٤).

وخير ختام البحث عن الحق نستعين بدعاء للإمام الصادق عليه السلام: «اللهم صل على
محمد وآل محمد، وأرني الحق حقاً حتى أتبعه، وأرني الباطل باطلاً حتى أجتنبه، ولا

(١) الفقيه ٤: ١٦٣/٥٣٧٠.

(٢) نهج البلاغة ٢: ١٢٧/٨.

(٣) الكافي ٢: ١٣/٢٣٤.

(٤) غرر الحكم: ٦٨/٩٢٠.

تجعلها عليّ متشابهين فأتبع هواي بغير هديّ منك، واجعل هواي تبعاً لرضاك
وطاعتك، وخذ لنفسك رضاها من نفسي، وأهدني لما اختلف فيه من الحقّ بإذنك،
إنّك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم» (١).



﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلِيهَا فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللهُ جَمِيعاً إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ١٤٨)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:

١- الوجهة: ما يتوجه إليه الإنسان.

٢- المولي: المتبني لها والمتوجه إليها.

٣- السبق: أ - التقدم. ب - الإحراز.

٤) - أينما: ظرف مكان يدل على العموم.

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ

مَوْلِيهَا فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ...؟

ج:

١- أن تكون الآية لها علاقة بالقبلة للسياق، وعليه يكون المعنى يحمل عدة

احتمالات منها:

أولاً: أن القبلة والتوجه إليها من الأمور التشريعية، وقد أصرت كل أمة على

قبلتها لسبب من الأسباب، وعليه لا يجوز كثرة الكلام في هذا الموضوع لعدم

الجدوى في ذلك فاتركوا ما يشغلكم في ذلك وتوجهوا إلى فعل الخير وليكن

تنافسكم في فعل الخير وليكن تسابقكم عليه؛ لأن الغرض الرئيسي الجامع

لأهل الدين هو مرضاة الله المنحصر في فعل الخيرات ﴿لَيْسَ البرُّ أَنْ تَوَلَّوْا

وُجُوهَكُمْ قِبَلَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ وَلَكِنَّ البرَّ مَنْ آمَنَ بالله وَاليَوْمِ الآخِرِ وَالمَلَائِكَةَ

وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴿البقرة: ١٧٧﴾، وسيجمعكم الله جميعاً في عرصات يوم القيامة ليحكم بينكم بالعدل بعد أن يكشف للجميع الدفين الذي صار سبباً في اختلافكم وعدم خضوع البعض للحق، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «عليكم بأعمال الخير فتبادروها، ولا يكن غيركم أحقّ بها منكم»^(١).

ثانياً: أن القبلة والتوجّه إليها من قبل الناس جميعاً يجب ألا يكون عندكم من الأمور الفريدة والمستغربة، فإنّ الممكنات جميعاً لها وجهة واحدة متجهة إليها تتحرك نحوها قد جعلها الله وأودعها في خلقه، تلك هي الحركة الفطرية والجوهرية للأشياء التي لا تقبل إلا الاتجاه الواحد وهو الاتجاه نحو الله وحصول الكمال، وتكتسب هذه الحركة طاقتها وحيويتها من العبادة والدعاء والذكر ومطلق فعل الخيرات من خلال الحركة الإرادية، فليتسابق الجميع في الحصول على أكثر كمية من الوقود من فعل الخيرات لتتقرب حركته نحو الله، فالذي تولّى هذه الحركة التكوينية هو الذي يتولّى الحركة التشريعية بالاتجاه الواحد نحو القبلة للفعل العبادي وبه يحصل التطابق بين الحركتين التكوينية والتشريعية في التولّي.

٢- أن تكون الآية ليس لها علاقة بما قبلها، فهنا يكون المعنى له احتمالات منها: **أولاً:** أن يكون للإنسان وجهة نظر في قضية من القضايا، وعليه أن يكون سبباً لاختيار الخير منها؛ لأنّه الطريق المنحصر لمرضاة الله وعليه يترتب الثواب في الآخرة المجموع إليها الناس للمحاسبة، ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: «مَنْ

(١) غرر الحكم: ١٠٥/١٨٧٩.

فتح له باب خير فلينتهزه فإنه لا يدري متى يعلق عنه»^(١).

ثانياً: الناس مختلفون في وجهات النظر في أغلب القضايا لاختلاف طبيعة الإنسان في عدّة من الأمور، والاختلاف أمر طبيعي، وعليه أن يكون الميزان في العمل هو فعل الخير، ولم يكن للخير أسلوب واحد حتى يكره الإنسان عليه، بل له أساليب وطرق متعدّدة، فهو خيرات وليس خيراً واحداً، فلا يجزّنا الاختلاف إلى التنافس والتسابق لغرض غير شريف وغير مرضي عند الله، بل يجب أن يكون السبق بين الناس أو الأمم أو الجماعات أو الأفراد إلى فعل الخيرات التي أمر الله بها العباد ووعدهم بيوم الجمع والمعاد الذي يجازي فيه العاملين للخيرات ليدخلهم الجنّات ويخزي التاركين لها، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «افعلوا الخير ولا تحقروا منه شيئاً فإن صغيره كبير، وقليله كثير»^(٢).

ثالثاً: أن أسرع طريق للوحدة بين الشعوب والأمم وأقصر طريق للوصول إلى الله هو طريق الخير فليجبر السباق بينهم فيه، فإن في الخير تجتمع العقلاء والقلوب والمحبة والتفاهم وتنصهر وجهات النظر المختلفة المتبنّاة من قبل البعض، فاستبقوا الخيرات وبادروا إليها من أجل الحصول على هذه المثل العليا والوصول إلى غاية تشريع الشرايع، قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ (المائدة: ٤٨).

(١) عوالي اللآلي ١: ٢٨٩/١٤٦.

(٢) وسائل الشيعة ١: ١١٨/٢٩٤.

س: ما هي الاحتمالات في تفسير قوله تعالى: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾؟

ج:

- ١- بيان حقيقة قدرة الله في جمع الخلق جميعاً يوم القيامة حتى لو كان الجميع ذرات تراب متناثرة في هذا العالم الواسع، فإنَّ القادر على الإيجاد من العدم يكون أقدر على الإيجاد من الموجود.
- ٢- تحذير للذين يتولون وجهة ليس الله مولياً ولا مشرعاً لها، فإنَّ الله سيجمع الجميع للمحاسبة ونيل الجزاء.
- ٣- بيان حقيقة قدرة الله لحالة خاصة في الدنيا، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: - في تفسير ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً﴾ - : «يعني أصحاب القائم الثلاثمائة والبضعة عشر رجلاً، وهم والله الأمة المحدودة، يجتمعون والله في ساعة واحدة قزع كقزع الخريف»^(١)، وورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال في تفسير الآية: «وذلك والله أن لو قام قائمنا يجمع الله إليه شيعتنا من جميع البلدان»^(٢).

(١) الكافي ٨: ٤٨٧/٣١٣.

(٢) تفسير العياشي ١: ١١٧/٦٦.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ * وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تُمَيِّنْ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٤٩-١٥١)

س: ما هو المحتمل في هذا التكرار في العبارة والمفهوم في هاتين الآيتين مع أن مثلهما قد ذكرت قبلاً والكل يحمل وجوب التوجه إلى القبلة ومن أي مكان؟

ج:

- ١- قد يكون للمكان تأثير في تعيين جهة القبلة كما هو الواقع، فأراد الله ببيان وجوب التوجه إلى القبلة على الفرد الداخل والخارج، ثم أراد الله ببيان وجوب تعيين القبلة عند كل وجهة لكون أن كل جهة لها درجة انحراف خاصة بها، فأراد الله التنبيه على هذه النقطة المهمة في التوجه لشرط المسجد، ففي الواقع وإن كان هناك تكرار في اللفظ إلا أنه ليس تكراراً في الغرض.
- ٢- من خلال هذا التكرار أراد الله أن يكشف الفرق بين قبلة اليهود والنصارى وقبلة المسلمين، حيث الأولى لا يكون لها إلا وجهة واحدة بينما قبلة المسلمين

لها أوجه متعدّدة بتعدد الجهات والأمكنة والحالات من الناحية الجوية والبحرية والبرية.

٣- قد استعمل أنواع التأكيد في مسألة التوجّه إلى القبلة، فهو خطاب للرسول ثمّ للجميع ثمّ العديد من الضمائر ثمّ (للحق) ثمّ (ربك) ثمّ ﴿وَمَا اللَّهُ بِعَاقِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، فإمّا أن يراد منها الإخبار عن الحقيقة التي لا تتبدّل إلى يوم القيامة وهي أنّ قبلة المسلمين هي المسجد الحرام، أو لبيان قوّة القرار الإلهي في عملية التحويل ليأس أهل الكتاب من رجوع المسلمين إلى قبلتهم الأولى، أو لتأكيد وتقوية وجوب تمسّك المسلمين بقبلتهم، أو كما قال تعالى: ﴿لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾، فإنّ الله قد أكّدها في عدّة مواضع وكتررها في عدّة آيات ليقطع وقوع الخلاف في أمر القبلة ومنه صار الاتفاق بين جميع المسلمين في أنّ الكعبة هي القبلة ومن دون أيّ شك بينهم، وأيّ معاند ومخالف لذلك فهو كاذب ظالم لا يستقيم في رأي ولا في جهة سواء كان من المسلمين أو من خارج دائرتهم ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾، ولا حجة حقّ للظالم؛ لأنّها نابعة من الأهواء وهي داحضة فلا موجب للاتفات لها أو الخوف منها ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ لانحصار الخشية منه سبحانه؛ لأنّه الحق والعدل وإليه المصير.

س: ما هو المحتمل للمراد من إتمام النعمة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُتَمِّمُ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾؟

ج:

الأوّل: أنّ إتمام النعمة على المسلمين هي بعد تعيين الله قبلة مستقلّة للمسلمين وكان التعيين والتحويل قد تمّ في المدينة، فأراد الله أن يتمّ هذه النعمة وذلك من

خلال فتح مكة ودخول المسلمين الكعبة التي أصبحت قبلة المسلمين وتخليصها من الأوثان التي بداخلها وإنهاء حركة المشركين وتطهير مكة منهم لتكون العبادة خالصة لله.

الثاني: أن إتمام النعمة غايته الهداية ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾، أي أن هداية المسلمين لا تتم وإلا بنعمة تكون مسؤوليتها الهداية، وهي غير القرآن والرسول ﷺ؛ لأن هذا هو الوعد الإلهي الذي أخذه الله على نفسه مع وجود الرسول ﷺ والقرآن، فإذا لم يكن هناك شيء ثالث يقوم بمهمة الهداية وما ذلك إلا الإمامة ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا﴾، وبعد أن جعل الإمامة بالجعل الفعلي وهو تعيين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من قبل الرسول ﷺ في واقعة الغدير المشهورة والمتواترة لفظاً ومعنى، عند ذلك قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المائدة: ٣).

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾؟

ج:

١- أننا قادرون على إنجاز وعدنا ولا تعيقنا العوائق، فكما وعدناكم من خلال ما ذكرناه في الكتب السماوية من التوراة والإنجيل أنه سيبعث رسولاً مهمته التلاوة والتزكية وتعليم الكتاب وهاهو قد حققناه على الرغم من مرور زمن على الوعد، وعلى الرغم من وجود الأعداء الكثيرين الذين تأمروا على ألا يتحقق

هذا الأمر، فما نحن قادرون على أن نحقق أمر الولاية والإمامة وأن ننجز وعدنا وتتم نعمتنا عليكم على الرغم من وجود المعاندين لذلك.

٢- أن الذي استجاب لدعوة إبراهيم ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ (البقرة: ١٢٩)، هو بنفسه سيتم نعمته عليكم بالإمامة، فمصدر التعيين والتشريع في النبوة والإمامة هو واحد وهو الله.

٣- أن مع إبراهيم ﷺ موعداً وهو جعل الإمامة من ذريته ﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة: ١٢٤)، أي أننا سنجعل الإمامة من ذريتك ولكن لا تنال للظالمين منهم، فكما حققنا الأمر الأول لإبراهيم ببعثه الرسول محمد ﷺ سوف نحقق الأمر الثاني لإبراهيم وهو جعل الإمامة من صلبه وذريته.

٤- أن دور الإمامة في الهداية هو كدور الرسول ﷺ في الهداية، فكما أن الرسول ﷺ قدوة لكم هو في تلاوة وتعليم الكتاب والحكمة والتزكية ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فكذلك الإمام له نفس الدور والمسؤولية، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال وهو يخاطب علياً عليه السلام: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»^(١).

٥- كما استجبنا لإبراهيم في دعوته حول موضوع بعثت الرسول ﷺ فقد استجبنا له في دعوته للبيت عندما كان يرفع له القواعد بأن يكون قبلة وتكون له الخيرات والبركات، وهانحن قد جعلناه قبلة للمسلمين وجعلناه مركز الخير والبركات.

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾؟

ج:

١- كان الناس في جاهلية قبل بعثة الرسول ﷺ، ولما بعث الله الرسول ﷺ فقد علمهم ما لم يكونوا قد تعلموه من قبل من حيث وحدانية الله وجميع أصول الدين الإسلامي وفروعه.

٢- علمهم الرسول ﷺ قصص الماضين وحضاراتهم التي كانوا غير مطلعين عليها وقد أطلعهم الرسول ﷺ عليها من خلال القرآن.

٣- علمهم بناء مستقبل حضارتهم بأنفسهم وعلمهم جميع متعلقاتها ولوازمها من الناحية العسكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي لولاه لظلوا على ما هم عليه قبلاً من التخلف الحضاري.

٤- أسس في أذهانهم وكتبهم بعض العلوم التي لولا تعليم الرسول ﷺ إياهم لكانت مخفية عنهم إلى يوم القيامة.

٥- علمهم ما هي الإمامة ومن هم الأئمة من خلال القرآن، وعرفهم الأئمة الذي لولا أقواله الكثيرة فيهم وتسديده الكثير والكبير لهم وتعيين أسمائهم واحداً تلو الآخر لما اهتدينا إليهم ولا إلى عددهم.

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكَرُكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (البقرة: ١٥٢)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:

- ١- الذكر: حضور الشيء عند القلب أو القول.
- ٢- الشكر: أ- تصوّر النعمة وإظهارها إسداء صاحبها إليها، كالدابة مظهرة بسمنها إسداء صاحبها إليها ب- الامتلاء، ﴿وَاشْكُرُوا لِي﴾ أي وامتلتوا من ذكر الله.

● ذكر الله وشكره

س: ماذا تستنتج من هذه الآية ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكَرُكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾؟

مركز تحقيقات كميونر علوم إسلامي

ج:

- ١- أهمية الذكر والشكر في حياة الإنسان المسلم ودورهما في كمال شخصيته.
- ٢- أنه خطاب للأمة الإسلامية الذي يكشف عن علو مستوى الأمة الإسلامية من الناحية العقائدية وإيمانها بالله بالنسبة إلى جميع الأمم، حيث خاطب الله اليهود والنصارى ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ الدالة على الله بالواسطة أو بعدة وسائط، والأمة الإسلامية في إيمانها بالله قد تجاوزت هذه المراحل البسيطة في دلالتها على وجود الله عن طريق نعمه.
- ٣- أن الآية قد بدأت بفاء التفریع، وهذا يعطي معنى هو أن ذكركم الله متفرع على ذكره لكم، أي كما أذكركم اذكروني، فذكرنا الله نتيجة ذكره لنا، وهذا شرف آخر يجب أن نقدره.

٤- إطلاق الذكر والشكر يعني في أي موطن في ذات الإنسان أو خارجه يصدر منه الذكر والشكر ويكون محلاً ومصداقاً فعلياً لهما فاذا كرني عنده واشكر لي في تلك الموطن.

٥- أن من محفّزات ذكر الله لك أيها العبد هو أن تذكره، فإذا ذكرته سيكون الله لك جليساً ونديماً، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «مكتوب في التوراة التي لم تُغَيَّر أن موسى عليه السلام سأل ربه فقال: يا رب، أقریب أنت مني فأناجيك؟ أم بعيد فأناديك؟ فأوحى الله عز وجل إليه: يا موسى، أنا جليس من ذكرني. فقال موسى: فن في سترك يوم لا ستر إلا سترك؟ فقال: الذين يذكرونني فأذكرهم ويتحابون في فأحبهم، فأولئك الذين إذا أردت أن أصيب أهل الأرض بسوء ذكرتهم فدفعت عنهم بهم»^(١).



س: اذكر بعض تلك المواطنين التي تستوجب ذكر الله وشكره على الإنسان المؤمن.

ج:

- ١- عند الرزق، قال تعالى: ﴿ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ ﴾ (السائدة: ١١٠).
- ٢- عند الرخاء والشدة، ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: « أول من يدخل الجنة المحادون الذين يحمدون الله في السراء والضراء»^(٢).
- ٣- عند قراءة القرآن ﴿ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ ﴾ (الأنبياء: ٥٠).
- ٤- القلب وجميع الجوارح ﴿ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (الزمر: ٢٣).

(١) الكافي ٢: ٤٩٦/٤.

(٢) المستدرک ٥: ٣١٢/٥٩٥٤.

- ٥- في الخفاء والجهر ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ (الأعراف: ٢٠٥).
- ٦- عند الصلاة والإنفاق ﴿وَذَكَرْ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلِّ﴾ (الأعلى: ١٥).
- ٧- في الدنيا قبل الآخرة ﴿أَوْلَمْ نَعْمَرْكُمْ مِمَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾ (فاطر: ٣٧).
- ٨- عند الحديث والعمل والطاعة ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾ (النور: ٣٧).
- ٩- عند الجهاد ضد أعداء الدين ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأنفال: ٤٥).
- ١٠- قبل النوم وبعد الاستيقاظ ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ (آل عمران: ١٩١).
- ١١- عند حدوث آيات الطبيعة والنظر إليها ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ (غافر: ١٣).
- ١٢- عند الدخول إلى المساجد ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا﴾ (النور: ٣٦).

س: عندما يشكر ويذكر العبد ربه في هذه المواطن التي ذكرتها، وضح كيف يذكره الله وبم يذكره؟

ج:

ذكر الله للعبد الشاكر والذاكر هو نوع من عطاء لطفه ورحمته وكرمه وأدبه تجاه العطاء القليل الصادر من العبد، وكما أوجب الذكر والشكر على العبد فمن لطفه أن يقابل هذا الشكر والذكر بالشيء الكثير ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٣٥)، ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (إبراهيم: ٧)، ومن

هنا نعرف أن ذكر الله للعبد وشكره له هو عطاؤه العظيم في الدنيا وينقذه من المكاره الكثيرة، أو هو عطاء في الآخرة فحسب، ويجري كل ذلك حسب الاستحقاق ويعلمه سبحانه.

س: ما هو تأثير الذكر على شخصية الإنسان المسلم؟

ج:

١- اطمئنان القلب وحياته، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨)، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «في الذكر حياة القلوب»^(١).

٢- السيطرة على الشهوات، ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: «اللهم صل على محمد وآل محمد واجعلنا من الذين اشتغلوا بالذكر عن الشهوات، وخالفوا دواعي العزة بواضحات المعرفة»^(٢).

٣- حصول الروح على لذتها وسرورها، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «الذكر لذة المحبين»^(٣)، وعنه أيضاً: «ذكر الله مسرة كل متقي ولذة كل موقن»^(٤)، وورد في الدعاء عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: «واستغفرك من كل لذة بغير ذكرك، ومن كل راحة بغير أنسك، ومن كل سرور بغير قربك»^(٥)، ومن

(١) غرر الحكم: ٣٦٤٣/١٨٩.

(٢) البحار ٩١: ١٩/١٢٧.

(٣) غرر الحكم: ٣٦٤٩/١٨٩.

(٤) غرر الحكم: ٣٦٥٣/١٨٩.

(٥) البحار ٩١: ٢١/١٥١.

- دعائه كذلك: «إلهي ما ألدّ خواطر الإلهام بذكرك على القلوب»^(١).
- ٤- تقوية الروح ونموّها، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «مداومة الذكر قوت الأرواح ومفتاح الصلاح»^(٢).
- ٥- فيه الأُنس الحقيقي، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «الذكر مفتاح الأُنس»^(٣) وعنه أيضاً: «إذا رأيت الله يؤنسك بذكره فقد أحبّك، وإذا رأيت الله يؤنسك بخلقه ويوحشك من ذكره فقد أبغضك»^(٤).
- ٦- سلاح ضدّ الشيطان، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «ذكر الله رأس مال كلّ مؤمن وربحه السلامة من الشيطان»^(٥).
- ٧- تفتح العقول والنفوس والصدور، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «الذكر نور العقول، وحياة النفوس، وجلاء الصدور»^(٦) وعنه أيضاً: «اذكروا الله خالصاً تحيوا به أفضل الحياة، وتسلخوا به طرق النجاة»^(٧).
- ٨- إزالة النفاق القلبي والعملي، قال تعالى: «إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُتَّالَى يُرَاوُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا» (النساء: ١٤٢)، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «أفيضوا في ذكر الله جلّ ذكره، فإنّه أحسن الذكر وهو أمان من النفاق، وبراءة من النار، وتذكرة لصاحبه

(١) البحار ٩١: ٢١/١٥٠.

(٢) غرر الحكم: ٣٦٦١/١٨٩.

(٣) غرر الحكم: ٣٦٤٨/١٨٩.

(٤) غرر الحكم: ٧٣٥١/٣١٨.

(٥) غرر الحكم: ٣٦٢١/١٨٨.

(٦) غرر الحكم: ٣٦٣٤/١٨٩.

(٧) الكافي ٣/١٧٨.

عند كل خير يقسمه الله جلّ وعزّ له» (١).

٩- نمو شخصية الإنسان، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «يقول الله عزّ وجل: إذا كان الغالب على العبد الاشتغال بي جعلتُ بُغيته ولذّته في ذكري، فإذا جعلت بُغيته ولذّته في ذكري عشقتني وعشقتك، فإذا عشقتني وعشقتك رفعت الحجاب فيما بيني وبينه، وصيرت ذلك تغالباً عليه، لا يسهر إذا سها الناس، أولئك كلامهم كلام الأنبياء، أولئك الأبطال حقاً» (٢).

١٠- حصول القرب من الله، ورد في الحديث: قال رجل للنبي ﷺ: أحبّ أن أكون أخصّ الناس إلى الله تعالى؟ قال ﷺ: «أكثر ذكر الله تكن أخصّ العباد إلى الله تعالى» (٣).

١١- الحصول على الشرف العظيم، ورد عن الإمام عليّ بن الحسين ﷺ أنه قال: «يا مَنْ ذكره شرف للذاكرين، ويا مَنْ شكره فوز للشاكرين...» (٤).

١٢- تجديد روح التقوى، حيث كلما مالت نفس الإنسان إلى زخارف الدنيا الفانية وحبّ التمتع في الحياة وهجمت عليه الخطورات النفسانية التي يلقيها الشيطان عليه بهمزاته ولمزاته ذكر الله الذي من خلاله تنشط روح التقوى والإنابة إليه، ورد عن الإمام أمير المؤمنين ﷺ أنه قال: «الذكر جلاء البصائر، ونور السرائر» (٥)، وعنه أيضاً: «ذكر الله تستنجع به الأمور،

(١) تحف العقول: ١٤٩.

(٢) كنز العمال ١: ٤٣٣/١٨٧٢.

(٣) كنز العمال ١٦: ١٢٧/٤٤١٥٤.

(٤) الصحيفة السجادية: ١١/٦٣.

(٥) غرر الحكم: ٣٦٣١/١٨٩.

وتستير به السرائر»^(١).

س: اذكر المحتمل في ما هو الفرق بين وجل القلب بذكر الله واطمئنان القلب به.

ج:

الوجل هو الخوف الحاصل ممّا ارتكبه الذاكر في حياته من القصور أو التقصير، فعند ذكر الله يأخذ القلب بالخوف ممّا أحاط به من الذنوب، وهذه هي المرتبة الأولى التي يحصل عليها الذاكر عند ذكره الله، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (الأنفال: ٢)، ثمّ إذا ذكر الله ولطفه ورحمته وما يعرضه الله للتائبين من كرمه اطمأن قلب الذاكر إليه سبحانه إلى عدم نسيانه يوم الآخرة واستراح بإخلاصه لذكر الله من أنّه سبحانه سوف ينجيه من كلّ مكروه، قال تعالى: ﴿اللَّهُ تَزَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضِلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾ (الزمر: ٢٣).

س: إلى أين ينتهي ذكر الله عند الإنسان من ناحية الزمان والمكان؟

ج:

١- ذكر الله ليس له حدّ ينتهي إليه، فهو فيض إلهي على الإنسان يجب أن يستثمره في كلّ لحظات حياته، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «ما من شيء إلا وله حدّ ينتهي إليه إلا الذكر فليس له حدّ ينتهي إليه، فرض الله عزّ وجلّ الفرائض

فَنَ أَدَاهَنَ فَهوَ حَدَّهَنَ..إِلَّا الذِّكْرَ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَرْضَ مِنْهُ بِالْقَلِيلِ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ حَدًّا يَنْتَهِي إِلَيْهِ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾^(١).

٢- ذكر الله ليس له زمن ينتهي إليه ويحدّه بحد، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (الأحزاب: ٤٢)، ورد في دعاء للإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «... أسألك بحقك وقدسك وأعظم صفاتك وأسمايك أن تجعل أوقاتي من الليل والنهار بذكرك معمورة...»^(٢)، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «أكثرُوا ذكر الله ما استطعتم في كل ساعة من ساعات الليل والنهار فإنَّ الله أمر بكثرة الذكر له»^(٣).

٣- ذكر الله ليس له حالة أو مكان معين، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ (آل عمران: ١٩١)، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لابنه الإمام الحسن عليه السلام أنه قال: «وكن لله ذاكرًا على كل حال»^(٤).

س: ما هي الموارد التي يتأكد فيها استحباب ذكر الله أو وجوبه؟

ج:

أولاً: عند دخول الأسواق يتأكد الاستحباب، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «أكثرُوا ذكر الله عزَّ وجلَّ إذا دخلتم الأسواق وعند اشتغال الناس فإنه كفارة

(١) الكافي ٢: ١/٤٩٨.

(٢) مصباح المتهجد: ٨٤٩.

(٣) تحف العقول: ٣١٤.

(٤) المستدرک ٥: ٢٨٣/٥٨٦٢.

للدنوب وزيادة في الحسنات، ولا تكتبوا في الغافلين»^(١).

ثانياً: عندما تتقدم الجوارح والجوانح على عملها ويتخذ الإنسان الموقف من خلالها، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «اذكر الله عند همك إذا هممت، وعند لسانك إذا حكمت، وعند يدك إذا أقسمت»^(٢).

ثالثاً: عند الغضب بالخصوص، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «أوحى الله إلى نبي من أنبيائه: ابن آدم اذكرني في غضبك أذكرك في غضبي فلا أحققك فيمن أحق»^(٣).

رابعاً: عندما يخلو الإنسان بنفسه، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «اشحن الخلوة بالذكر واصحب النعم بالشكر»^(٤)، وورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «في التوراة مكتوب.. يا موسى.. اذكرني في خلواتك وعند سرور لذاتك أذكرك عند غفلاتك»^(٥).

مركز تحقيقات كميونر علوم إسلامي

س: في أي قسم من الجوارح أو الجوانح في الإنسان يصدر منها ذكر الله؟
ج:

ليس هناك عضو مختص بذكر الله، فكلّ توظيف للأعضاء بحيث يكون عملها ووظيفتها ضمن طريق رضا الله فهو ذكر لله، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «ذكر اللسان الحمد والثناء، وذكر النفس الجهد والعناء، وذكر الروح الخوف والرجاء،

(١) المستدرک ٥: ٣٠١/٥٩١٩.

(٢) كنز الفوائد: ١٩٤.

(٣) الكافي ٢: ٣٠٣/٨.

(٤) غرر الحكم: ١٨٨/٣٦٠٦.

(٥) مجموعة ورام ٢: ١٦٥.

وذكر القلب الصدق والصفاء، وذكر العقل التعظيم والحياء، وذكر المعرفة التسليم والرضا، وذكر السر الروية واللقاء»^(١).

وتوضيح المقطع الأخير من هذا الحديث هو أن ذكر السر يبذل الوجود والفناء والذوبان في الله تعالى بحيث لا يرى الأنا عنده شيئاً يُذكر مقابل الله سبحانه، فاذكروني ببذل الوجود وفناء الذات أذكركم بالروية واللقاء، ومثاله وضع الحديد في النار حيث كلما احترق أكثر كلما أحمر أكثر حتى يصل الحديد إلى مرحلة لا تفرق فيه بين النار والحديد من حيث عطائهما في الاحتراق والإضاءة، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «قال الله عز وجل: ما تقرب إلي عبد بشيء أحبّ مما افترضت عليه، وإنه ليتقرب إلي بالنافلة حتى أحيه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، إن دعاني أجبت، وإن سألني أعطيته»^(٢).

مرآة حقائق في تزيين علوم إسلامي

س: هل الذكر اللفظي عن طريق اللسان له أداء معين يصدر من الذاكر؟

ج:

ذكر الله على اللسان يختلف من حيث الأداء بحسب مواقع الحاجة، فقد تكون هناك ضرورة في الجهر به كما إذا كان أمراً بمعروف، أو أن تكون هناك ضرورة لتذكر الغير بالله، وقد تكمن الضرورة في الخفاء، ورد في الدعاء عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام أنه قال: «إلهي فألهمنا ذكرك في الخلاء والملا، والليل والنهار، والإعلان

(١) المستدرک ٥/٣٩٦:٥/٦١٧٧.

(٢) الكافي ٢/٣٥٢:٧.

والإسرار، وفي السراء والضراء، وأنسنا بالذكر الخفي»^(١)، ولكن بصورة عامة وبالظروف العادية فالخفاء هو المحبوب عند الله قال تعالى: ﴿وَأذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (الأعراف: ٢٠٥)، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «يا أبا ذر، اذكر الله ذكراً خاملاً». قال أبو ذر: وما الخامل؟ قال: «الخفي»^(٢).

نعم، ذكر اللسان لله من دون ترتب أثر على ما يذكره الإنسان هذا من الدواعي التي تكشف ضعف الشخصية بإيمانها بالله ونزولها إلى ميدان النفاق العملي أو طلب الرياء الذي يستبطن من ورائه الغرض الخبيث، ولهذا تجد هذا النوع من الذكر المحصور على اللسان فقط دون التأثير في سلوكية الإنسان يعدّ عملاً منبوذاً عند العقلاء والمتشرعة، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «ثلاث لا تطيقها هذه الأمة: المواسة للأخ في ماله، وانصاف الناس من نفسه، وذكر الله على كل حال، وليس هو سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ولكن إذا ورد على ما يحرم الله عليه خاف الله تعالى عنده وتركه»^(٣).

س: مَنْ هي الشخصيات التي تذكّر الإنسان بالله؟

ج:

١- شخصية الأنبياء والأئمة، ورد في كتاب (المناقب) لابن شهر آشوب ... لمّا كانت السنة التي حجّ فيها أبو جعفر محمد بن عليّ ﷺ ولقيه هشام بن عبد الملك أقبل

(١) البحار ٩١: ٢١/١٥١.

(٢) وسائل الشيعة ٥: ٢٩٦/٦٥٨٩.

(٣) الفقيه ٤: ٥٧٦٢/٣٥٨.

الناس يتساءلون عليه، فقال عكرمة: من هذا؟ عليه سيماء زهرة العلم لأخزيته، فلما مثل بين يديه ارتعدت فرائصه وأسقط في أيدي أبي جعفر عليه السلام، وقال: يا بن رسول الله، لقد جلست مجالس كثيرة بين يدي ابن عباس وغيره، فما أدركني ما أدركني آنفاً! فقال أبو جعفر عليه السلام: «ويلك يا عبيد أهل الشام إنك بين يدي بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه» (١).

٢- شخصية العلماء الربانيين، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٤٣)، فأهل الذكر هم العلماء الربانيون الذين يذكرون الناس بالله.

٣- شخصية المؤمن الملتزم، ورد عن ابن عباس أنه قال: قيل: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أي الجلساء خير. قال: «من ذكركم بالله رؤيته، وزاد علمكم منطقته، ورجبكم في الآخرة عمله» (٢).

مركز تحقيقات كاتوير علوم اسلامی

س: ما هي المواقع التي تبعد الإنسان عن ذكر الله وتمنعه؟
ج:

١- الأموال والأولاد لمن خلد إليهما، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (المنافقون: ٩).

٢- خصوص الخمر والميسر، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ

(١) المناقب ٣: ٣١٧.

(٢) المستدرک ٥: ٣٩٥/٦١٧٣.

الصلاة ﴿المائدة: ٩١﴾.

٣- مطلق اقرار المعصية، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: « ليس في المعاصي أشد من اتباع الشهوة فلا تطيعوها فتشغلكم عن ذكر الله »^(١).

٤- كثرة الاشتغال بذكر الناس، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: « مَنْ اشغَلَ بذكرِ الناسِ قطعَهُ اللهُ سبحانه عن ذكره »^(٢).

٥- الاهتمام الزائد بالفرائض البدنية، ورد عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام أنه قال: « إن قسوة البطنة، وفترة الميله، وسكر الشيع، وغرة الملك مما يبطئ ويبطئ عن العمل وينسي الذكر »^(٣).

٦- الاستسلام المستمر للشيطان ﴿استخوذَ عنهم الشيطانُ فأنسأهم ذكرَ الله﴾ (المجادلة: ١٩).



س: ما هي آثار الذكر في عالم الآخرة؟
پوز علوم اسلامی

ج:

١- الحصول على ما يحبه الله، قال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٥)، ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: « ليس عمل أحب إلى الله ولا أنجى لعبده من كل سيئة في الدنيا والآخرة من ذكر الله ». قيل: ولا القتال في سبيل الله؟ قال: «لولا ذكر الله لم يؤمر بالقتال»^(٤).

(١) غرر الحكم: ١٩٠/٣٦٦٣.

(٢) غرر الحكم: ١٩٠/٣٦٦٥.

(٣) تحف العقول: ٢٧٢.

(٤) كنز العمال ٢: ٢٤٣/٣٩٣١.

- ٢- الحصول على ذكر ملائكة الله له بالشفاعة، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «عليك بتلاوة القرآن وذكر الله كثيراً فإنه ذكر لك في السماء ونور لك في الأرض»^(١).
- ٣- العطاء العظيم من جنات الآخرة، ورد عن أحدهم ﷺ أنه قال: «إن في الجنة قيعاناً فإذا أخذ الذاكِر في الذكر أخذت الملائكة في غرس الأشجار، وربّما وقف بعض الملائكة فيقال له: لم وقفت؟ فيقول: إن صاحبي قد فتر، يعني عن الذكر»^(٢).

س: ما هي الآثار التي تترتب على الإعراض عن ذكر الله؟

ج:

- ١- ضيق المعيشة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾
 (طه: ١٢٤)، وضيق المعيشة يمكن أن نتصوره في ناحيتين:
الأولى: الركون إلى الدنيا التي تسدُّ أفق التفكير والتطلع على حياة الغيب التي هي أوسع بكثير من حياة الدنيا مع أن الانشغال بوحدات الآخرة أكثر من الانشغال بوحدات الدنيا من حيث الاهتمام بما تحتاجه نفسه ويحتاجه الآخرون من المعاني الروحية والأخلاقية والواجبات المعنوية المغلقة على المعرض عن ذكر الله الذي يعيش ضيق أفق التفكير ويعيش خوف الهواجس والتهديدات المختلفة.
- الثانية:** مهما كان المستوى المعاشي للمعرض عن ذكر الله واسعاً فإنه ضيق بالنسبة إلى عطاء الآخرة.
- ٢- يحشر يوم القيامة أعمى عن الطريق الذي يوصله إلى الخلاص من النار، قال

(١) المستدرک ٤: ٢٦٠/٤٦٤١.

(٢) وسائل الشيعة ٧: ١٥٢/٨٩٧٨.

تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (طه: ١٢٤).

٣- الإصابة بضعف الإرادة أمام الشيطان، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْتَسِفْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (الزخرف: ٣٦).

٤- نسيان النفس من حيث هدفها من الخلق وارتباطها بالخالق، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ (الحشر: ١٩).

٥- اضطراب النفس وخوفها من أي مجهول وعدم ثباتها واستقرارها في المواقف ومشاكل الحياة، قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨).

س: ﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾، ما هو المعنى الاجمالي للشكر؟

ج:

شكر المنعم من الواجبات العقلية، وهو أحد الطرق لإثبات وجود الله تعالى، ومطلق شكر النعمة هو إظهار النعمة واستعمالها في محلها التي أرادها المنعم. أمّا شكر الله، فهو أن يذكر الله عندما يذكر نعمة من نعمه ويستعملها فيما أراده الله من العبد بحيث لا يتعدى فيما أمره باستعمالها والموضع الذي يجب أن توضع فيه تلك النعمة.

وأما قوله تعالى: ﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ أي أظهروا نعمتي واستعملوها بما أمرتكم به، ولو أخذنا الإطلاق اللفظي (وَلَا تَكْفُرُونِ) فسوف يكون المعنى استعمالوها وأظهروها من غير تعدّ وعصيان ولا يخالطه أي نسيان، وقد لا ينطبق هذا المعنى بإطلاقه إلا على المعصوم، ولم يكن المراد من الكفر هنا هو كفر الجحود، بل كفر النعمة المقابل لشكرها، قال تعالى: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ (النمل: ٤٠).

والشاکر هو أحد أسماء الله وصفاته، ويمثل التسخ النازل منه سبحانه إلى عباده، قال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ (النساء: ١٤٧)، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ١٥٨)، وإذا كان الشكر بمعنى إظهار نعمة الغير فيكون استعمال اللفظ بالله من باب المجاز لانحصار المنعمية فيه سبحانه، وإن كان الشكر بمعنى مطلق المجازاة فيكون إطلاق لفظ الشاکر على الله حقيقة؛ لأنه المتفرد بالجزاء، والكل من باب اللطف والإحسان منه سبحانه. أمّا الشكر الذي يمثل التسخ الصاعد من الناس إلى الله فقليل، قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ (سبا: ١٣)، ﴿وَلَا تَحِجْدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (الأعراف: ١٧).

أمّا جزاء الشاکر فغير محدّد ومعین في كتاب الله لكثرتة التي لا يمكن أن يتصوّرها إنسان ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٥).

مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

س: ما هي مراتب الشكر، وضح ذلك؟

ج: للشكر ثلاث مراتب:

١- المرتبة الدانية: شكر اللسان، وهو الثناء على المنعم، عن سماعة بن مهران، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: قلت له: للشكر حدّ إذا فعله الرجل كان شاكراً؟ قال عليه السلام: «نعم». قلت: وما هو؟ قال: «الحمد لله على كلّ نعمة أنعمها عليّ، وإن كان لكم في ما أنعم عليه حق أداء منه، ومنه قول الله: سبحانه الله الذي سخّر لنا هذا»^(١).

٢- المرتبة الوسطى: شكر القلب، وهو تصوّر النعمة وحضورها عند القلب بما ينتج

من انكسار القلب لله والخشوع إليه.

٣- المرتبة العالية: شكر الجوارح، وهو مكافأة النعمة بقدر استحقاقها، وهؤلاء هم الذين وصفهم الله بالقلّة، قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ (سبا: ١٣)، ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (الأعراف: ١٠).



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَمْوَاتٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة: ١٥٣-١٥٧)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيات؟



ج:

١- الاستعانة: طلب المساعدة.

٢- القتل: أ - هو إزهاق الروح بفاعل، ب - الموت.

٣- السبيل: الطريق الذي فيه سهولة.

٤- الشيء: من الألفاظ العامة التي تطلق على الموجود، سواء كان مادياً أو لا،

وسواء كان جوهرًا أو عرضاً، وسواء كان قليلاً أو كثيراً.

٥- الأموال: كل ما يحتفظ الإنسان به وله قيمة، سواء كان من الأعيان أو المنافع.

س: لماذا اختتم قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾؟

ج:

لأن هذه الآيات ذوات النسق الواحد تعبر عن شيء واحد وهو ترقب الخوف

والابتلاء النوعي الذي ستصاب الأمة الإسلامية به نتيجة الإفساد الذي حصل من

الحكام الظالمين، والشيء المناسب لمثل هذا الحدث والمطلوب من المؤمنين للموقف المناسب له هو الصبر والثبات، فإذا صبروا واستعانوا بالله من خلال ارتباطهم به بمطلق العبادة وخصوص الصلاة، فإن الله معهم وسوف يعينهم على عدوهم وينصرهم عليه.

ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «يا فضيل، بلغ من لقيت من موالينا عننا السلام، وقل لهم: إني لا أغني عنكم من الله شيئاً إلا الورع، فاحفظوا ألسنتكم، وكفوا أيديكم، وعليكم بالصبر والصلاة، إن الله مع الصابرين»^(١).

وورد عن الإمام الصادق عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ أنه قال: «قال: الصبر: الصيام، وقال: إذا نزلت بالرجل النازلة الشديدة فليصم، فإن الله عز وجل يقول: واستعينوا بالصبر، يعني الصيام»^(٢)، وعنه أيضاً: «كان علي عليه السلام إذا هاله شيء فزع إلى الصلاة، ثم تلا هذه الآية ﴿اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾»^(٣)، وأما بداية الآية فقد مر تفسيرها سابقاً.

• الروح وعالم البرزخ

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾؟

ج:

موت الإنسان كما هو معروف عندنا: هو انفصال الروح عن البدن، ولا نعلم

(١) وسائل الشيعة ١٢: ١٩٥/١٦٠٦٧.

(٢) الكافي ٤: ٦٣/٧.

(٣) وسائل الشيعة ٨: ١٣٨٨/١٠٢٤٩.

بشيء ما بعد ذلك، ولا نحس بغير ذلك، فتأتي هذه الآية لتعطي الخبر الأول للمؤمنين بهذا الخصوص وتكشف الحقيقة الأولى لهذا الموضوع، وهي كالتالي:

١- خطأ الاعتقاد بأنَّ الفناء يصل إلى كلِّ مكونات الإنسان، بل إنَّ هناك روحاً وبدناً والذي يفنى هو البدن لا الروح.

٢- أنَّ الروح وإن كنا لا نعرف حقيقتها إلا آثارها التي يحسُّ بها كلُّ إنسان كما يشعر بها في حسِّه ووجدانه، وفي هذه الآية إخبار عن جزء من أعراضها التي لا يمكن للإنسان أن يطلع عليها لعدم وقوعها تحت قانون الطبيعة ولم تقع تحت الحسِّ حتى يشعر بها والتي قد لا يتوصَّل الإنسان إلى حقيقتها باعتبار أنَّ العلم بها قد حجزه الله عن البشر، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: ٨٥)، فأخبار الآية المذكورة في السؤال هو عدم فناء الروح بفناء الجسم المادي بسبب القتل في سبيل الله.

٣- أنَّ جوهر حركة الإنسان وأفعاله ومشاعره وأحاسيسه الإرادية وغير الإرادية لا يكون الجسم المادي إلا واسطة في نقل الأحاسيس، فجوهر وروح الحياة ومبدؤها وتفسير معانيها يكون بروح الإنسان لا ببدنه المادي، وعليه يكون الإنسان ما بعد الموت حيّاً ببقاء روحه التي هي مركز الحياة له، فهو يشعر بكلِّ شيء تواجهها الروح ويصدر من عالمها ولا يحسُّ به أحد من الناس لانقطاع الأثر المادي للروح بانفصالها عن الجسم ﴿وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾، ومن هنا عبرت الآية عن حياة الموتى من دون نقص في حياتهم على الرغم من أنَّهم أرواح فقط ﴿بَلْ أَحْيَاءُ﴾.

٤- أنَّ هذا القانون العام لبقاء الروح للميت لم يكن مخصّصاً في الآية بالذين يقتلون

في سبيل الله، فهو عام يشمل كل ميّت من الإنسان ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ (الزمر: ٤٢)، والتوفي هنا هو الإمساك والحفظ. نعم، ورد التخصيص لأجل إبراز الرعاية لأرواح الذين يقتلون في سبيل الله، فهي رعاية خاصّة وعالية من عنده سبحانه وتعالى.

٥- أنّ هذا القانون العام لبقاء الروح لا يعني أن يحسّ الميّت أو يعيش حياته الروحية على نسق واحد لكل ميّت، بل حياة أرواح الناس الميّتين على قسمين: **الأول:** يعيش الحياة اللطيفة المريحة لروحه وهي حياة المؤمنين، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «...أما إنه لا يبقى مؤمن في شرق الأرض وغربها إلا حشر الله روحه إلى وادي السّلام» قلت له: وأين وادي السّلام؟ قال: «ظهر الكوفة، أما إني كأني بهم حلق حلق قعود يتحدثون»^(١).

الثاني: يعيش حياة العذاب والضيق لروحه وهي حياة الأشرار من الناس، ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال وهو واقف على قتلى بدر: «يا أبا جهل، يا عتبة، يا شيبة، يا أمية، هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً، فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً؟». فقال عمر: يا رسول الله، ما تكلم من أجساد لا أرواح فيها؟ فقال: «والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم غير أنهم لا يستطيعون جواباً»^(٢).

٦- أنّ هذه الحياة المخبر عنها في الآية لم تكن حياة وهمية غير واقعية أو تعبيراً مجازياً عنها، بل هي حياة حقيقية تكتشفها من خلال رزقهم الذي يؤتى إليهم

(١) الكافي ٣/٢٤٣:٢.

(٢) كنز العمال ١٠: ٣٧٦/٢٩٨٧٤.

وشعورهم بالفرح والاستبشار الذي يعيشونه في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرزَقُونَ﴾ ﴿١٦٩﴾ ﴿١٧٠﴾، ورد عن حماد بن عثمان، عن أبي بصير، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: ذكر الأرواح، أرواح المؤمنين. فقال عليه السلام: «يلتقون». فقلت: يلتقون؟ فقال عليه السلام: «نعم ويتساءلون ويتعارفون، حتى إذا رأته قلت: فلان»^(١).

٧- أن هذه الآية قد يكون نزولها قبل كتابة القتال ووجوبه على المسلمين، فيكون لها هدف فرعي وهو تطيب روحية المؤمنين بالله، وزرع الاستعداد لها في خوض المعارك، وتمهيد ذهنية المؤمنين لهذا الطريق الصعب الذي يحتاجه الإنسان المؤمن وهو يختار الموت ليذكره ما بعد الموت والعطاء العظيم الذي ينتظره. ولم يختصر هذا العطاء لأهل بدر فحسب بل هو السعادة لكل من يقتل في سبيل الله، فالمورد لا يخص الوارد.

س: لا يراد من الحياة في الآية هي الحياة الدنيا ولا الحياة الآخرة، بل هي حياة البرزخ، بين سبب ذلك.

ج:

أولاً: أن الآية تتحدث عن نفس الذين يقتلون في سبيل الله في أنهم أحياء، وبما أننا لا نشعر بها فهي غير الحياة الدنيا.

ثانياً: أن فوز هؤلاء وغيرهم من المؤمنين وخزي وخسران الكافرين والفاستين

في يوم القيامة سيكون مبرزاً وظاهراً أمام الأعيان ويشعر به كل المحشورين يوم القيامة، بينما الآية تقول: ﴿وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ فلا يراد من حياة هؤلاء إلا في عالم غير الآخرة.

ثالثاً: أن يكون المتعين لحياة الذين قتلوا في سبيل الله هو عالم القبر والبرزخ أي عالم ما بين الموت والنشور، قال تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠٠)، ورد في (تفسير علي بن إبراهيم): البرزخ هو أمر بين أمرين، وهو الثواب والعقاب بين الدنيا والآخرة... وهو قول الصادق عليه السلام: «والله ما أخاف عليكم إلا البرزخ»^(١).

س: هل تدل الآية على تجرد الروح عن المادّة؟

ج:

الآية لا تدل على تجرد الروح عن المادّة لا مطابقة ولا مفهوماً، ولكن البحث عن تجرد الروح لا ينفصل عن الآية من ناحية النظر والتحليل العقلي المتعلق بموضوع الموت وحياة البرزخ من جهة، ومن جهة أخرى أننا نرى الفناء للإنسان عند موته والله يقول: إنهم أحياء في عالم البرزخ، من هنا نحن لا بد أن نعرف ولو إجمالاً عن حياة الإنسان ما بعد الموت التي مفتاحها البحث عن الروح التي تمثل مركز الشعور والحياة للإنسان.

س: كيف تثبت أن للإنسان روحاً؟

ج:

أولاً: الكتاب

حيث عبّر عن وجود الروح في كثير من الآيات باستعمال لفظ مختلف كالنفس

والقلب، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: ٨٥)، ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ (الحجر: ٢٩)، ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ (الزمر: ٤٢)، ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ...﴾ (الأحزاب: ١٠).

ثانياً: السنة:

فقد وردت روايات كثيرة في ذلك منها: عن أبي بصير، عن أحدهما عليه السلام، قال: سألته عن قوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ قال: «التي هي في الدواب والناس». قلت: وما هي؟ قال: «هي من الملكوت، من القدرة»^(١).

ثالثاً: الوجدان:

الذي يحسّ داخلياً وخارجياً بصدور الكثير من الأفعال التي لا تخضع إلى قانون مادي منها:

مركز تحقيقات كاميونير علوم إسلامي

١- الإحساس بـ(الأنا) الشخصي غير المتعلق بالبدن، الثابتة مع تغيير البدن والتي لا تشعره بالنقص عند نقص أي جزء من أجزاء بدنه، فأَيُّ قطعة من جسده لو قطعت لا ينقص شعوره بشخصيته وذاته الكاملة وحضورها لذاته.

٢- الأحاسيس والمشاعر التي تقوم حياة الإنسان عليها لا تخضع للبدن وجوداً وإن كانت تخضع له محلاً، كالخوف والرجاء والشهوة والكرامة وضيق الصدر وانسراحه والجوع والعطش والألم والغضب والحب وغير ذلك وهي كثيرة، فإنَّ الإنسان يمكن له أن يشير إلى موضعها في البدن إلا أنَّها لا وجود مادي لها فيه.

٣- ما يشاهده الإنسان ممَّا يصدر من أصحاب الرياضات الروحية ورؤيا المنام

(١) تفسير العياشي ٢: ٣١٧/١٦٣.

والنداءات الخفية وما اكتشفه العلماء من الأمراض النفسية وغير ذلك وهي كثيرة، والتي تكشف عن وجود عالم هو غير عالم البدن.

س: ما معنى تجرد الروح وكيف تثبت ذلك؟

ج:

تجرد الروح: تحقق خلق الروح بأمر الله تعالى من دون دخل للمادة في خلقها لا سابقاً عليها ولا لاحقاً لها، فهي جسم لطيف رقيق غير مادي الحدوث، والدليل على تجرد الروح عن المادة هو:

أولاً: الكتاب

١- حيث أسند حقيقة الروح إلى الله تعالى حدوثاً وبقاءً ومن دون دخل للمادة في نشأتها ومن دون دخل للزمان والمكان فيها، ومن دون دخل للتغيرات والمرحلية في خلق الروح ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ (الإسراء: ٨٥)، ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ (الحجر: ٢٩)، بينما خلق بدن الإنسان ليس كذلك فهو في خلقه مستند إلى التراب والماء ثم للمكان والزمان، والمرحلية كلها لها دخل في أصل نشأة البدن، قال تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ (الرحمن: ١٤)، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ • ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ • ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (المؤمنون: ١٢-١٤).

٢- قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ﴾ (الزمر: ٤٢)، الاختلاف الواضح بين نفس الإنسان وبدنه، حيث الأنفس تمسك وتحفظ بكاملها عند الموت وترسل عند

عدم موتها، فهي غير البدن المادي تماماً.

ثانياً: السنة

هناك الكثير من الروايات القائلة بتجرّد الروح منها:

- ١- ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «خلق الله الأرواح قبل الأجساد بألفي عام»^(١).
- ٢- ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إن الأرواح لا تمازج البدن ولا تواكله، وإنما هي كليل البدن محيطه به»^(٢)، وعنه أيضاً: «فإذا قبضه الله عزّ وجلّ صيرت تلك الروح في قالب كقالبه في الدنيا، فيأكلون ويشربون، فإذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصورة التي كانت في الدنيا»^(٣).
- ٣- ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إنّ للجسم ستّة أحوال: الصحة، والمرض، والموت، والحياة، والنوم، واليقظة. وكذلك الروح، فحياتها علمها، وموتها جهلها، ومرضاها شكّها، وصحتها يقينها، ونومها غفلتها، ويقظتها حفظها»^(٤).

ثالثاً: العقل

نفس ما مرّ في جواب السؤال السابق النقطة الثالثة في الوجدان.

س: إذا كانت الروح مجردة عن المادّة، فكيف تتعلّق بالبدن الماديّ؟

ج:

الروح - كما قلنا - هي جوهر رقيق مجرد عن المادّة، مخالف بالماهية عن

(١) الأمالي للمفيد: ٦/١١٣.

(٢) بصائر الدرجات: ١٢/٤٨٣.

(٣) الكافي ٣: ٦/٢٤٥.

(٤) التوحيد: ٧/٣٠٠.

البدن، نوراني علوي خفيف حيّ لذاته، نافذ في جواهر الأعضاء، سارٍ فيها سريان الماء في الورد والنّار في الفحم، بقاؤه في الأعضاء حياة، وانتقاله عنها إلى عالم الأرواح موت، ومن هنا فهي ليست داخله في عالم البدن ولا خارجه عنه، ولا متّصلة به ولا منفصلة عنه، ولكنها متعلّقة بالبدن تعلق التدبير والتأثير والتأثر والتصرّف.

س: لماذا لا يراد من الحياة ﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ في الآية هي حياة الدنيا من خلال ذكّر الناس له، أي أنّ ذكر الناس للميت هي معنى الحياة؟

ج:

أولاً: أنّ تقديم الإنسان نفسه وفناءها من دون نفع يعود عليه بذاته دافع غير عقلائي ولا منطقي؛ لأنّ الحياة قائمة على الربح ومبادلة العطاء، فلا يقدم الإنسان خطوة من دون أن يفكر بمقدار الربح والخسارة التي تنتجها خطوته التي يريد أن يخطو إليها، سواء كان الربح مادياً أو معنوياً، وسواء كان حالاً أو مستقبلاً وقبل الموت أو بعده، فالعاقل الذي يقدّم نفسه ضحيّة لا بد أن يؤمن بأنّ هناك من يعوّضه بالسعادة بمقدار ما قدّم كحدّ أدنى، وإلاّ تقديم الإنسان نفسه من دون مقابل يعود إليه يعدّه التفكير الفردي أعلى درجات السفه ولا يوافق عليه.

ثانياً: أنّ الحياة المذكورة في الآية مقيدة ﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، وهذا القيد ينبغي كونها عند الناس بأيّ حال من الأحوال، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «أقرب رجل رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: إني راغب نشيط في الجهاد، قال صلى الله عليه وآله: فجاهد في سبيل الله عزّ وجلّ، فإنّك إن قتلت كنت حياً عند الله مرزوقاً، وإن متّ فقد وقع أجرك على الله»^(١).

اللَّهُ: لم تتفق الناس على أن تخلد شخصية واحدة في ذكراها مهما كانت شريفة وعالية، بل الكثير من الناس من ينطلي عليه التأثير الإعلامي فيعيش ذكرى من لم يستحق ذكره فكيف نريد منهم أن يعيشوا ذكرى شهداء بدر مثلاً؟!

نعم، هي صادقة على القليل من الناس، وقليل الناس مع القليل من الوقت الذي لا قيمة له أمام تضحية الإنسان بنفسه إذا كان فناء نفسه هذا في سبيل أن يذكره هذا القليل من الناس وبهذا الوقت لا غير، وهذا ما لا يقبله عقل سليم.

وابعاً: أن ذكرى حياة الآخرين والثناء عليهم ليست حياة حقيقية كما قلنا سابقاً؛ لأنها ليس لها محلّ إلا الخيال والاسم، وهذا المعنى من الحياة للموتى يرفضه القرآن؛ لأنه يخبر عن حياة حقيقية تلائم مستوى العطاء الذي قدّمه الإنسان وهو التضحية بنفسه.



س: اذكر أهم الآيات التي تدلّ على وجود حياة البرزخ وما بعد الموت للإنسان.

ج:

١- قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٦٩-١٧١).

٢- قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (السجدة: ١١).

٣- قال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ

تُرْجَعُونَ ﴿البقرة: ٢٨﴾.

٤- قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿ (المؤمنون: ٩٩-١٠٠).

٥- قال تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا آتَيْنَاكَ التَّائِبِينَ وَأَحْسَبْتَنَا اآتَيْنَاكَ التَّائِبِينَ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِن سَبِيلٍ ﴿ (غافر: ١١).

٦- قال تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿ (غافر: ٤٦).

س: ما هو الفرق بين القتل في سبيل الله والجهاد في سبيل الله؟



ج:

الجهاد في سبيل الله أعم من القتل في سبيل الله؛ لأن الجهاد يشمل القتل في سبيل الله وغيره من جهاد النفس وتهذيبها بمكارم الأخلاق، وطلب العلم في سبيل الله، والكذب على العيال، والهجرة في سبيل الله وغيرها من الأمور التي أعدتها السنة بأبواب الجهاد.

الشهادة والشهيد

س: السنة النبوية عبرت عن الذي يقتل في سبيل الله شهيداً، فما معنى الشهادة؟

ج:

أن المراد من الشهادة في السنة يقع في عدة احتمالات منها:

١- الشهادة عبارة أخرى عن الموت والقتل في سبيل الله، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: « كم ممن أصابه السلاح ليس بشهيد ولا حميد، وكم ممن قد مات على فراشه حتف أنفه عند الله صديق شهيد »^(١).

٢- الذي يشهد برعاية خاصة من قبل الله.

٣- الشهادة عبارة أخرى عن الإيمان، ورد عن منهل القصاب أنه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ادع الله أن يرزقني الشهادة، فقال: «المؤمن شهيد»، ثم تلا « وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ »^(٢).

س: ما هي الرعاية الخاصة من قبل الله التي يحضى بها الشهيد بعد شهادته؟



ج:

١- الشهادة كفارة للذنوب، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: « أول ما يهراق من دم الشهيد يغفر له ذنبه كله إلا الدين »^(٣).

٢- الشهادة تخلص الشهيد من افتتان القبر وعالم البرزخ، ورد سؤال إلى الرسول ﷺ: ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ فقال ﷺ: « كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة »^(٤).

٣- الشهادة تعطي لذة في خروج روحه وعند انفصالها عن الجسم، ورد عن

(١) كنز العمال ٤: ٤/١١٢٠٠٠.

(٢) تأويل الآيات ٢: ١٩/٦٦٥.

(٣) كنز العمال ٤: ١١١٠٩/٣٩٩.

(٤) كنز العمال ٤: ١١٧٤١/٥٩٦.

الرسول ﷺ أنه قال: « ما من نفس تموت لها عند الله خير يسرها أن ترجع إلى الدنيا، وإن لها الدنيا وما فيها، إلا الشهيد فإنه يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى »^(١).

٤- الشهادة تعني صاحبها عن تبعات الذنوب، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: « أفضل الشهداء الذين يقاتلون في الصف الأول، فلا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا، أولئك يتلبطون - أي يتمرغون - في الغرف العلى من الجنة، يضحك إليهم ربك، فإذا ضحك ربك إلى عبد في موطن فلا حساب عليه »^(٢). وورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: « من قتل في سبيل الله لم يعرفه الله شيئاً من سيئاته »^(٣).

٥- الشهادة تعطي لصاحبها أطيب العطور وأنظر الألوان في عرصات يوم القيامة، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: « من جرح في سبيل الله جاء يوم القيامة ريح كريح المسك ولونه لون الزعفران، عليه طابع الشهداء، ومن سأل الله الشهادة مخلصاً أعطاه الله أجر شهيد وإن مات على فراشه »^(٤).

س: ما هي الحالات التي تعطىها السنة بحيث تجعل الذي يحصل عليها بحكم الشهيد؟

ج:

١- المدافع عن نفسه حتى الموت، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: « من قاتل دون

(١) كنز العمال ٤: ١١/١٠٥٤٢.

(٢) المعجم الاوسط ٣: ٢٨٦.

(٣) الكافي ٥: ٦/٥٤.

(٤) كنز العمال ٤: ٤٠٨/١١١٤٤.

نفسه حتى يقتل فهو شهيد»^(١).

٢- المدافع عن ماله حتى الموت، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «مَنْ أُريد ماله بغير حقّ فقاتل فقتل فهو شهيد»^(٢) وعنه ﷺ أيضاً: «قاتل دون مالك حتى تحوز مالك أو تقتل فتكون من شهداء الآخرة»^(٣).

٣- المدافع عن عرضه حتى الموت، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «مَنْ قتل دون أهله ظلماً فهو شهيد»^(٤).

٤- المدافع عن جاره حتى الموت، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «مَنْ قتل دون جاره ظلماً فهو شهيد»^(٥).

٥- ورد في الحديث عند عيادة النبي ﷺ مع أصحابه لعبدالله بن رواحة أنه قال: «مَنْ الشهيد من أمّتي؟» فقالوا: أليس هو الذي يقتل في سبيل الله مقبلاً غير مدبر؟ فقال ﷺ: «إِنَّ شَهْدَاءَ أُمَّتِي إِذَا لَقِيلَ ! الشَّهِيدَ الَّذِي ذَكَرْتُمْ، وَالطَّعِينِ، وَالْمَبْطُونِ، وَصَاحِبِ الْهَدْمِ، وَالغُرُقِ، وَالْمَرْأَةَ تَمُوتُ جَمْعاً»، قالوا: وكيف تموت جمعاً يا رسول الله؟ قال ﷺ: «يَعْتَرِضُ وَلَدَهَا فِي بَطْنِهَا»^(٦).

٦- مَنْ مات وهو ملتزم بمنهج أهل البيت سلام الله عليهم أجمعين، موال لهم، مدافع عن منهجهم حتى الموت، ورد عن الإمام زين العابدين ﷺ أنه قال: «مَنْ مات

(١) كنز العمال ٤: ١١٢٣٦/٤٢٥.

(٢) كنز العمال ٤: ١١٢٠٢/٤٢٠.

(٣) كنز العمال ٤: ١١١٧٤/٤١٥.

(٤) كنز العمال ٤: ١١٢٣٧/٤٢٥.

(٥) كنز العمال ٤: ١١٢٣٧/٤٢٥.

(٦) المستدرک ٢: ١٦٩١/١٥٩.

على موالاتنا في غيبة قائمنا أعطاه الله أجر ألف شهيد مثل شهداء بدر وأحد»^(١)، وورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «مَن مات على حبِّ آل محمد مات شهيداً»^(٢).

س: هل ذكر القرآن كلمة الشهيد وهو يريد منها نفس ما أرادته السنّة من مفهوم الشهيد أي المقتول في أرض المعركة؟ اذكر المحتمل في ذلك.

ج:

هناك مورد واحد قد استعمل القرآن كلمة الشهيد وهو يريد نفس المعنى التي تريده السنّة من معنى الشهيد المقتول في أرض المعركة، ذلك في معركة أحد، قال تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٠).

مركز تحقيقات كميونر علوم إسلامي

● سنّة الابتلاء

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾؟

ج:

١- يُخبر الله بمرور حالة القحط على الناس وهو نوع من الابتلاء والاختبار لهم من قبل الله سبحانه وتعالى، ولم يكن هذا النوع من الابتلاء ذا حالة شخصية وإنما هو حالة ستعمّ المؤمنين أو نوع الإنسان والمؤمنين منهم، وهي قد تكون من الأمور الغيبية التي يخبر الله بها، ولم يخبرنا التاريخ عن وقوع هذه الحالة بوقوع

(١) كمال الدين ١: ٣٢٣/٧.

(٢) كشف الغمة ١: ١٠٧.

جميع ما ذكر في الآية من النقص على مجتمع من المجتمعات وبصورة نوعية قد شملت الكل، وحصول بعض منها على مجتمع من المجتمعات لا يعني حصول هذه الظاهرة ووقوعها كما هي الحروب و بعض الأمراض التوعية التي قد أصابت بعض المجتمعات، وعليه قد تكون هذه الحالة من الحالات المنتظرة مستقبلاً.

ورد عن محمد بن مسلم أنه قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إِنَّ قَبْلَ قِيَامِ الْقَائِمِ عِلَامَاتٌ تَكُونُ مِنَ اللَّهِ لِلْمُؤْمِنِينَ»، قلت: وما هي، جعلني الله فداك؟ قال عليه السلام: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ يعني المؤمنين قبل خروج القائم ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾»، قال: «نبلوهم بشيء من الخوف من ملوك بني فلان في آخر سلطانهم، والجوع بغلاء أسعارهم، ونقص من الأموال»، قال: «كساد التجارات وقلة الفضل، ونقص من الأنفس»، قال: «موت ذريع، ونقص من الثمرات»، قال: «قلة ربح ما يزرع. وبشر الصابرين عند ذلك بتعجيل الفرج». ثم قال لي: «يا محمد، هذا تأويله، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿وَمَا يَعْزِمُ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾»^(١).

٢- لا يعني أن هذا النقص وهذه الأحداث هي من فعل الله وبالمباشرة منه سبحانه، فهي من فعل الغير ممّا كسبت أيدي الناس من تسلط الظالمين على الناس وإحداثهم الفساد في الأرض وحرق الحرث والنسل ومن القوانين الجائرة التي أحدثها الإنسان على الأرض ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي

(١) تفسير نور الثقلين ١: ٢٣/٣١٤.

النَّاسِ ﴿الرُّوم: ٤١﴾، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «لا يجني على المرء إلا يده»^(١).
 ٣- لا يعني حدوث النقص في الوحدات التي ذكرت في الآية أن النقص سيحدث دفعة واحدة، فقد يحدث النقص بصورة تدريجية نتيجة تصدّي الإنسان لنظام الحياة ووضع قوانينها من دون الله التي من جملة مظاهره التي نشاهدها اليوم أن الماء المطلق وأهم عنصر من عناصر حياة الإنسان يدخل إلى عالمه السياسي فينقطع عن دول بكاملها وتقلل كميته إلى دول أخرى ممّا ينتج حالة القحط في الثمرات النباتية والصناعية والطاقة الكهربائية وبالتالي قلّة الأموال واستضعاف الشعوب.

ونرى تحديد النسل هو الآخر ظاهرة من ظواهر عجز الإنسان عن إقامة النظام الذي يحلّ مشكلة العالم الإنساني وهو تعبير آخر عن نقص الأنفس، ونرى نظام العولمة هو الآخر يراد تفسيه في العالم من قبل الدول التي لا تعطي للدين أي قيمة والله أي حكم ونظام، ونتيجة تطبيق هذا النظام معروفة النتائج للمؤمنين مستقبلاً لكلّ ما ذكرته الآية من حصول النقص، والإنسان ينتظر الكثير ممّا تحدثه أهواء القوى الكبرى في العالم على النوع الإنساني. وعليه لا يكون من الضروري للنقص في الوحدات التي ذكرتها الآية أن يكون حصوله دفعة واحدة. ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إن الله يبتلي عباده عند الأعمال السيئة بنقص الثمرات، وحبس البركات، وإغلاق خزائن الخيرات، ليتوب تائب، ويقلع مقلع، ويتذكّر متذكّر، ويزدجر مزدجر»^(٢).

(١) الفقيه ٤: ٥٧٨٦/٣٧٨.

(٢) نهج البلاغة ٢: ١٤٣/٢٥.

٤- قد تتحدث الآية عن حالة خاصة لما بعد القتال وما تنتجه الحرب من الدمار، فتكون ظاهرة النقص في كل خير هي الحالة الطبيعية لمخلفات الحرب، فيخبر الله من خلال هذه الآية عن مظهر من مظاهر الحرب البشعة حتى لا تكون مانعاً في خوضهم الحرب مادام هناك ما هو أهم منه وهو إقامة حكم الله ورفض الظلم ومحو الفتنة واكتساب حرية الإنسان على الأرض التي هي أهم من النقص والدمار الذي تنتجه الحرب.

٥- أن هذه الآية تدعو إلى تحمّل طريق الحق وما يلاقيه الإنسان المؤمن وهو يشقّ هذا الطريق بالتضحية والفداء في سبيل إعلاء كلمة الله ومحو الفساد في الأرض، وإن الثبات والصبر في المواقف له أثره في الدنيا من النصر ومنال إحدى الحسنين ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾، ولا يعلم نوع البشارة وحجمها من ناحية العطاء الخير إلا الله الذي ترك تحديده عنده لعظيم عطائه وكرمه لتكون مفاجأة وبشرى للصابرين.

٦- أن هذه الآية تكشف عجز العقل عن اكتشاف كل أسرار الحياة ونظامها، فعندما يقف العقل على ظاهرة هذا النوع من النقص وتعدّده من الخوف والجوع والتمرات والأنفس لقال بقبحة رأساً لجلبه المضرة على الإنسان ظاهراً، ولكن يمكن أن نبين أن لهذه الظاهرة فوائد وحكماً كثيرة منها:

١- أنها نوع ابتلاء، وفي الابتلاء تتبين خلاصة الشخصية الإنسانية وحقيقة ما تحمله من الصفات، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «لا تفرح بالغناء والرّخاء، ولا تغتم بالفقر والبلاء، فإنّ الذهب يُجرب بالنار، والمؤمن

يَجْرِبُ بِالْبَلَاءِ»^(١).

٢- أن هذا النوع من الابتلاء عند مرور الإنسان عليه سيكتسب تجربة في الحياة، لأن المرور على وتيرة واحدة في الحياة وحالة لم تكن متغيرة لا تعطي تجربة في الحياة ولا تساعد الإنسان على اكتشاف أسرارها ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (العنكبوت: ٢).

٣- المطلوب في مثل هذه الظروف عند المرور فيها هو الصبر والثبات؛ لأن فيه الحصول على النتائج السليمة، بل فوق المتوقع في عالم النجاح والفلاح ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النحل: ١١٠).

٤- هناك أجر للمبتلين والصابرين على ما مروا عليه من المحن والابتلاء في عالم الآخرة، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ما أثنى الله تعالى على عبد من عباده من لدن آدم إلى محمد عليه السلام إلا بعد ابتلائه، ووفاء حق العبودية فيه، فكرامات الله في الحقيقة نهايات بداياتها البلاء»^(٢).

س: ما هو معنى الابتلاء؟

ج:

الابتلاء: هو الاختبار والامتحان الإلهي للإنسان في مواقع الخير والشر، ولكن بما أن وروده في الشر أكثر أصبح منصرف الأذهان إليه عند إطلاق لفظه.

(١) غرر الحكم: ١٧١٦/٩٩.

(٢) المستدرک ٢: ٤٣٩/٢٤٠٥.

س: ما هي مصادر الابتلاء؟

ج:

أولاً: الابتلاء المباشر من الله ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ (الأنفال: ٢٨)، ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ﴾ (الأعراف: ١٥٥)، ﴿إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ (القم: ٢٧)، وغاياته كثيرة لا يعلم حدودها إلا الله سبحانه، ولكن سنورد بعض الغايات التي كشفتها سنة المعصوم فيما بعد إن شاء الله، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «المؤمن خلق مفتناً»^(١)، أي ممتحناً يمتحنه الله.

ثانياً: الابتلاء بواسطة الإنسان، وهو ينقسم إلى قسمين:

١- الابتلاء الممدوح، كما يجعل البعض من الناس المؤسسات الخيرية أو التبليغية أو السياسية أو العلمية فيبتلي الآخرون من المؤمنين بها من خلال الانضمام لها أو تقديم العون إليها ووجوب دعمها وحرمة النيل منها، وميادين ما يصنعه الإنسان في الخير كثيرة ﴿وَمَا يُعْلَمَانِ مِن أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ (البقرة: ١٠٢)، ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ (الفرقان: ٢٠).

٢- الابتلاء المذموم، وهو على قسمين:

الأول: أن يكون الابتلاء من الخارج، كما هي أكثر الأمور المحرمة التي يصنعها الظالمون في قتال المسلمين، وصنع الملاهي والخمور، وبرامج الإعلام المحرم، وتأسيس الحركات المنحرفة، وغيرها وهي كثيرة، فهنا المؤمن في حالة ابتلاء وهو يعيش بين هذا الوسط المذموم ليدفع عن نفسه السقوط وأن يغير هذا

الواقع الفاسد ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ﴾
 (آل عمران: ٧)، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ فَمَا لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمُ
 وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (البروج: ١٠).

الثاني: أن يكون الابتلاء من الداخل، كما لو أسقط الإنسان نفسه في المعصية
 وابتلى بالعود عليها ﴿ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ
 الْأَمَانِيُّ ﴾ (الحديد: ١٤).

س: لماذا جعل الله الابتلاء كهدف مهم من أهداف خلق الإنسان في الحياة؟
 ج:

أن الابتلاء وضع من قبل الله من أجل الإنسان وذلك عند ملاحظة الأمور التالية:
أولاً: استخلاص الشخصية الإنسانية، فإن مرور الإنسان على وتيرة واحدة وحالة
 واحدة من النعيم والرخاء لا تظهر الشخصية ولا تعرفه الملكات الإنسانية التي
 يحملها الإنسان ﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ
 الطَّيِّبِ ﴾ (آل عمران: ١٧٩)، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «يا منصور، إن هذا
 الأمر لا يأتيكم إلا بعد إياس، ولا والله حتى تميزوا، ولا والله حتى تمحصوا، ولا والله
 حتى يشق من يشق ويسعد من يسعد» (١).

ثانياً: معرفة قيمة الملكات والنعمة التي يحملها الإنسان، فإن الإنسان في كثير
 من الأحيان يعرف قيمة ما يملكه عندما يفقدها أو عندما يشاهد تأثير حرمانها عند
 الآخرين، وهذا ممّا يجعله يعرف كيف يحرص على تلك الملكات ويوظفها في
 محلها، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «تقول ثلاث مرّات إذا نظرت إلى المبتلى

من غير أن تُسمعه: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به، ولو شاء فعل - قال: - مَنْ قال ذلك لم يصبه ذلك أبداً»^(١).

الثالث: يمتلك الإنسان عناصر من القوة تحتاج إلى عناصر من الضعف لصرف هذه الطاقة، فلو كان الكل يمرّون بحالة واحدة ومن دون ابتلاء فهذا يعني حصر تلك الطاقات فيه وبالتالي إمامتها، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أنه قال: «لو فعل ذلك لما آمن أحد، ولكنه جعل في المؤمنين أغنياء وفي الكافرين فقراء وجعل في الكافرين أغنياء وفي المؤمنين فقراء ثم امتحنهم بالأمر والنهي، والصبر والرضا»^(٢).

رابعاً: الابتلاء يعرف الإنسان طرق الخير وسبل النجاح ومنافعه وأثره على الحياة كما يعرفه طرق الشر وسبل الفشل وأضراره، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «إن الله تعالى ليتعاهد المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرجل أهله بالهدية من الغيبة، ويحميه الدنيا كما يحمي الطبيب المريض»^(٣).

خامساً: الابتلاء يعرف الإنسان طرق التفضيل ولماذا فضل الله البعض على البعض الآخر، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إذا رأيت الله سبحانه يتابع عليك البلاء فقد أيقظك»^(٤)، وعنه أيضاً: «وإذا رأيت الله سبحانه يتابع عليك النعم مع المعاصي فهو استدراج»^(٥).

(١) الكافي ٢: ٢٠/٩٧.

(٢) تفسير القمي ٢: ٢٨٤.

(٣) الكافي ٢: ١٧/٢٥٥.

(٤) غرر الحكم: ١٧٥٥/١٠١.

(٥) غرر الحكم: ٧٨٤٩/٣٤٣.

سادساً: الابتلاء يجعل الإنسان بنفسه على بينة في أنه لماذا فاز ولماذا خسر ولماذا فاز بعضٌ ولماذا خسر آخرون، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «البلاء زين للمؤمن، وكرامة لمن عقل؛ لأنَّ في مباشرته، والصبر عليه، والثبات عنده، تصحيح نسبة الإيمان»^(١).

سابعاً: الابتلاء توظيف للعقل والإرادة التي هي قوام الإنسان ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (العنكبوت: ٢).

ثامناً: الابتلاء طريق من طرق الرجوع إلى الله وكتبه ورسله وأوليائه وخصوصاً عند الابتلاء بالحرمان، ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: «هبط جبرائيل في أحسن صورة فقال: يا محمد، الحق يقربك السلام ويقول لك: إني أوحيت إلى الدنيا أن تمرري وتكدري وتضيقي وتشددي على أوليائي حتى يحبوا لقائي...»^(٢).

تاسعاً: الابتلاء يكشف مقدار إيمان الشخص ومدى صدق ارتباطه بالله وكذبه، ذلك عندما يصبر أو يجزع، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «لا بد للناس من أن يمحّصوا ويميّزوا ويفرلوا ويستخرج في الغربال خلق كثير»^(٣).

عاشراً: في الابتلاء ثروة علمية ودروس وعبر يكتسبها الإنسان عندما يطالع تاريخ الإنسان وما ابتليت به الشعوب والأمم، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «في تقلب الأحوال علم جواهر الرجال، والأيام توضح لك السرائر الكامنة»^(٤).

(١) مصباح الشريعة: ١٨٣.

(٢) البحار ٥٢/١٩٤: ٧٨.

(٣) الكافي ٢/٣٧٠: ١.

(٤) الكافي ٤/٢٣: ٨.

س: ما هي أنواع الابتلاء؟

ج:

هناك نوعان من الابتلاء من جهة نوع المبتلى به، وهما:

١- الابتلاء في الدين، أي في عقيدة الإنسان من أصولها وفروعها ﴿وَإِخْذُكُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ (المائدة: ٤٩)، ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَنا إِلَيْكَ﴾ (الإسراء: ٧٣).

٢- الابتلاء في أمور الدنيا، وهي على ثلاث حالات:

أولاً: زيادة في الخير، ذلك عندما يحصل الإنسان على الكثير من النعم والملكات التي تزيد كثيراً عن حاجته، وأوضح مثال لها عندما أعطيت هذه الزيادة إلى النبي سليمان وإلى فرعون فانظر كيف تصرف الأول بحق بما لا قياس ولا مشابهة فيه من تصرف الثاني الباطل، ﴿وَأَلَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقاً﴾ ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ (الجن: ١٦-١٧).

ثانياً: زيادة في الحرمان، ذلك عندما يحرم الإنسان ممّا هو محتاج إليه، كما هو خطاب الآية التي بين أيدينا.

ثالثاً: الوسطية والاعتدال، ذلك ما يمتلكه الإنسان في حياته الطبيعية من النعم والملكات ما يتعلق به أو بالآخرين ليرى من خلاله كيف يتصرف الإنسان في توظيف ما يملكه في حياته اليومية الطبيعية في حلال أم في حرام ﴿أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (العنكبوت: ٢).

س: ما هي النسبة بين الابتلاء ودرجات المؤمنين؟

ج:

أنَّ النسبة بينهما هي النسبة الطردية، بمعنى كلما كان المؤمن على درجة عليا في إيمانه كلما زاده الله ابتلاءً، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إنَّ في كتاب علي عليه السلام إنَّ أشدَّ النَّاسِ بلاء النَّبيون ثمَّ الوصيَّون ثمَّ الأمثل فالأمثل، وإنَّما يبتلى المؤمن على قدر أعماله الحسنة، فمن صحَّ دينه وحسن عمله، اشتدَّ بلاؤه، وذلك أنَّ الله تعالى لم يجعل الدنيا ثواباً لمؤمن ولا عقوبة لكافر، ومن سَخف دينه وضعف عقله قلَّ بلاؤه، وإنَّ البلاء أسرع إلى المؤمن التَّقي من المطر إلى قرار الأرض»^(١)، وعنه أيضاً: «إنَّما المؤمن بمنزلة كفة الميزان، كلما زيد في إيمانه زيد في بلائه»^(٢).

س: ما هو ترتيب الأثر الذي يرتبه الله على المبتلى؟

ج:

لم ينحصر ترتيب الأثر على الابتلاء من قبل الله على العبد في نوع وشكل واحد، بل الترتيب يختلف حسب نوع الابتلاء والمبتلى، فقد يكون ترتب الأثر: **أولاً:** لرفع درجة العبد، كما يحصل للأنبياء، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إنَّ البلاء... وللأنبياء درجة»^(٣)، وكما يحصل لبعض المؤمنين، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إنَّ في الجنة منزلة لا يبلغها عبد إلا بالابتلاء في جسده»^(٤).

ثانياً: لغفران الذنوب، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «إنَّ الله تبارك وتعالى إذا كان من أمره أن يكرم عبداً وله عنده ذنب ابتلاه بالسقم، فإن لم يفعل فبالحاجة، فإن

(١) الكافي ٢: ٢٥٩/٢٩.

(٢) الكافي ٢: ٢٥٣/١٠.

(٣) المستدرک ٢: ٤٣٧/٢٤٠٠.

(٤) الكافي ٢: ٢٥٥/١٤.

لم يفعل شدّد عليه الموت ...»^(١).

ثالثاً: نوع من العقاب في الدنيا، ورد في دعاء كميل للإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «...اللهم اغفر لي الذنوب التي تنزل البلاء».

رابعاً: لتحديد وتضييق دائرة الفساد، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إن البلاء للظالم أدب ...»^(٢).

خامساً: للامتحان والاختبار فقط، كما هو الهدف العام من الابتلاء ﴿وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ (الأنبياء: ٣٥)، ورد عن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال: «إنّ الناس عبيد الدنيا والدين لعلّ على ألسنتهم يحوطونه ما درّت معاشهم فإذا محّصوا بالبلاء قلّ الديّانون»^(٣).

سادساً: لمصلحة العبد التي يعلمها الله ولا نعلمها نحن، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «فيا أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: ما خلقت خلقاً أحبّ إليّ من عبدي المؤمن، فإني ابتليته لما هو خير له وأعافيه لما هو خير له، وأزوي عنه لما هو خير له، وأنا أعلم بما يصلح عليه عبدي، فليصبر على بلائي، وليشكر نعمائي، وليرض بقضائي، أكتبه في الصديقين عندي»^(٤).

سابعاً: لرفع الابتلاء الأعظم، أي أنّ الله يبتلي المؤمنين بالقتال مثلاً ليرتّب عليه رفع الابتلاء الأكبر والأعظم من القتل وهو الوقوع في الشرك أو هلاك الدين ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ (البقرة: ١٩٣).

(١) الكافي ٢: ٤٤٤/١.

(٢) المستدرک ٢: ٤٣٧/٢٤٠٠.

(٣) تحف العقول: ٢٤٥.

(٤) وسائل الشيعة ٣: ٢٥٢/٣٥٥٢.

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾؟

ج:

١- أن هذه العبارة تعكس إيمان المؤمنين بالله وباليوم الآخر، حيث ابتلاء النقص لا يزلزل عقيدتهم بالله، ولا يشعرون بخوف من أحد غير الله، فهم يرجعون إليه في كل شدة تصيبهم ويستندون إليه لإيمانهم بأن الله وحده الكفيل في خلاصهم من كل ما يداهمهم من الأخطار، وأنهم مطمئنون بأن الفوز لهم إن لم يكن في الدنيا فهو لهم في الآخرة؛ لأنه معهم، فهم يذكرون أنفسهم وغيرهم بالرجوع إليه، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «مَنْ اسْتَرْجَعَ عِنْدَ الْمَصِيبَةِ جَبَرَ اللَّهُ مَصِيبَتَهُ وَأَحْسَنَ عِقَابَهُ، وَجَعَلَ لَهُ خَلْفًا صَالِحًا يَرْضَاهُ»^(١). وأنه قال عليه السلام: «مَنْ أُصِيبَ بِمَصِيبَةٍ فَأَحْدَثَ اسْتِرْجَاعًا وَإِنْ تَقَادَمَ عَهْدُهَا، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ الْأَجْرَ مِثْلَهُ يَوْمَ أُصِيبَ»^(٢).

٢- أن هذه العبارة تعكس نوعاً من إيمان المؤمنين بالله، وهو أنهم لا يفرحوا بما آتاهم ولا يحزنوا على ما فاتهم ما دام الآتي والفاتت خارجاً عن القدرة والاختيار وأنه من فعل الله، لأنهم يؤمنون بأن كل شيء هو ملك الله في حدوثه وبقائه وفي سلبه وفي عطائه، فهم وما حولهم ملك حقيقي لله، فالله هو المالك الحقيقي وهو المتصرف الحقيقي لكل ما يملك، وفي كل الحالات هم مؤمنون بأن الله لا يمنع ولا يسلب إلا ضمن مصلحة العبد وضمن حكمته ورحمته، ولذلك لم يتبدل إيمانهم بهذه الحقيقة سواء أعطيت النعمة لهم أم سلبت عنهم

(١) المستدرک ٢: ٤٠٦/٢٣١٢.

(٢) المستدرک ٢: ٤٠٧/٢٣١٥.

ففي جميع الأحوال قولهم هو: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، ورد عن سعد بن جبيرة رضي الله عنه أنه قال: أعطيت هذه الأمة عند المصيبة شيئاً لم يعطه الأنبياء قبلهم وهو **إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** ^(١).

٣- أن هذا القول يستبطن وحدة الذات ووحدة المعاد، فإن الكل لله سبحانه وتعالى فله الأولى والآخرة، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وقد سمع رجلاً يقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ أنه قال عليه السلام: « يا هذا، إن قولنا: إِنَّا لِلَّهِ اقرار على أنفسنا بالملك، وقولنا: إِنَّا إِلَيْهِ راجعون اقرار على أنفسنا بالهلك » ^(٢).

٤- أن هذا القول يستبطن معنى وجوب الرجوع إلى الله عقلاً وشرعاً؛ لأن مبدأ الخلق منه ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾، فلا بد عقلاً وشرعاً من الرجوع إليه في اتخاذ نظام الحياة ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، لأن الله عادل وحكيم ومثله لا يترك الإنسان في تنظيم الحياة إلى مشتبهاته وأهوائه، وقد أنزل نظام الحياة على يد الأنبياء فلا بد من الرجوع إليهم وهو رجوع إليه سبحانه وتعالى.

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْنِهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾؟

ج:

بيان لبعض أعظم المصاديق للبشارة التي سيحصل عليها الصابرون من التحية والتركية والثناء الجميل خاصة من قبل ربهم، ورحمة لا حدود لها، التي من ورائها عطاء الآخرة الذي لا يعلمه إلا هو سبحانه؛ لأنهم بصبرهم وعملهم الصادق الموافق

(١) زاد المسير ١: ١٤٦.

(٢) نهج البلاغة ٤: ٩٩/٢٢.

للعبودية والتسليم المطلق لله قد أصابوا من خلاله طريق الهدى الذي رسمه الله للبشرية لأن تسير عليه، وهذا النوع من العطاء مختص للصابرين لورود اسم الإشارة والتعريف المكررين، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «أربعة من كن فيه كان في نور الله الأعظم: من كانت عصمة أمره شهادة ألا إله إلا الله وأني رسول الله، ومن إذا أصابته مصيبة قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ومن إذا أصاب خيراً قال: الحمد لله رب العالمين، ومن إذا أصاب خطيئة قال: أستغفر الله وأتوب إليه»^(١).

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «قال رسول الله ﷺ: قال الله عز وجل: إني جعلت الدنيا بين عبادي قرصاً، فمن أقرضني فيها قرصاً أعطيته بكل واحد منهن ملائكتي لرضوا بها مني». قال: ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: «قول الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابْتَهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ وَأُولَئِكَ عَلَيْنَا صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾، فهذه واحدة من ثلاث خصال ورحمة من اثنين، وأولئك هم المهتدون ثلاث». ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: «هذا لمن أخذ الله منه شيئاً قسراً»^(٢).

ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله تعالى: ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾، اللهم أجرني على مصيبي وأخلف لي خيراً منها، إلا خلف الله له خيراً منها»^(٣).

(١) الفقيه ١: ١٧٥/٥١٤.

(٢) الكافي ٢: ٩٢/٢١.

(٣) مسند ابن راهويه ٤: ١٢.

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ١٥٨)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:

- ١- الصفا: الحجر الصلب الأملس.
- ٢- المروة: الحجر الصلب.
- ٣- الشعائر: جمع شعيرة، والشعيرة هي العلامة.
- ٤- الحج: القصد بعد القصد، أي القصد المكرر.
- ٥- العمرة: أ- الملحقات الإضافية التي تلحق بالعمارة. ب- الزيارة.
- ٦- الجناح: الميل.
- ٧- التطوف: من الطواف، وهو الدوران نحو الشيء.
- ٨- التطوع: من الطوع المقابل للكراهة.

● الصفا والمروة من شعائر الله

س: اذكر ما تعرفه عن الصفا والمروة.

ج:

- ١- الصفا والمروة: جبلان بمكة المكرمة وداخل الحرم المكي يقعان على الجانب الشرقي للمسجد، يأتي الحجاج للسعي بينهما.
- ٢- اكتسب الصفا والمروة أهميتهما من الأمور التالية:
أولاً: هبوط آدم على الصفا وهبوط حواء على المروة، بمعنى أن أول قدم شريف طاهر لوالدي البشر جميعاً قد اختارهما الله كانت عليهما.

ثانياً: مسعى هاجر أم النبي إسماعيل عليه السلام بين الصفا والمروة بسبع أشواط عندما اشتدَّ العطش بهما.

ثالثاً: الجعل التكويني، أي كون الصفا والمروة إلى الجانب الشرقي لبيت الله وداخل في حرمة المقدس، ومن الآثار الدالة على حقّ وصدق أقواله سبحانه من خلال ما يقصّه علينا في كتابه عن جهاد إبراهيم عليه السلام وغيره.

رابعاً: الجعل التشريعي، أي أنّ الله جعل السعي والطواف بين الصفا والمروة واجباً على كلّ حاج أو معتمر للبيت بعد أن أثبت أنّهما من شعائره والعلامات الدالة عليه سبحانه وداخلته في مناسك الحج ومعالمه وأعماله ومحل طاعته والتقرب إليه، وتعيد إلى الإنسان الذكريات المقدّسة لحركة الأنبياء والأئمّة والصدّيقين والشهداء لتشعرهم بتأريخهم العظيم المرتبط بالسماء ليكونوا امتداداً لهذه الحركة العظيمة نحو الله.

مركز بحوث ودراسات إسلامية
مركز بحوث ودراسات إسلامية

س: ما هي المسافة بين الصفا والمروة؟

ج:

المسافة بينهما سبعمائة وستون ذراعاً، ٤٢٠ متر، تربطهما الآن صالة مستطيلة ذات طابقين، ارتفاع الصفا ١٥ متراً، وارتفاع المروة ٨ أمتار.

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ﴾؟

ج:

لم يجعل الله بيته مركزاً للسياحة والتنزه والتطلّع على آثاره والنظر إلى زخارفه كما هي الأماكن الأثرية، بل جعل الله البيت قبلة للمسلمين ومعبدًا يجتمع فيه الناس لأجل العبادة وإجراء كلّ نشاط له صلة بالعبادة، وعليه لا يأتيه إنسان إلا قاصداً

لهذا الهدف وهو العبادة والتقرب إليه؛ إما لواجب عليه أو لمستحب له، وسواء كان الواجب أو المستحب حجاً أو عمرة، ولا يجوز قصد البيت والدخول إليه إلا لحج أو عمرة كما ورد ذلك في الأحاديث، ولهذا اختصر الذكر في الآية على الحج والعمرة اللذين يمثلان صورة السفر والذهاب إلى بيته المقدس ووجوب القصد إليه من قبل الإنسان، ثم شرع الله في العمل الخاص بالصفاء والمروة للحاج أو للمعتمر وهو السعي والطواف بينهما.

س: ما هو الحكم الشرعي للطواف بين الصفا والمروة التي يبينه قوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾؟

ج:

رفع الجُنَاح هو رفع الإثم، ورفع الإثم يشمل الواجب والمستحب والمباح حيث في الجميع لا إثم في نفس الحكم، وقد استعمل القرآن هذا اللفظ كثيراً وفي موارد متعددة وأحكام مختلفة، فدلالة هذا اللفظ على حكم شرعي معين يحتاج إلى قرينة خاصة.

وقد قالوا بوجود القرينة الخاصة المعينة في نفس الآية التي تدل على وجوب الطواف بين الجبلين الخاصين الصفا والمروة أو تدل على استحبابه، فأما قرينة الوجوب فهي أن هناك جانبين؛ الوجوب ويتمثل بالحج والعمرة، والاستحباب ويتمثل بالتطوع لأنه سعي زائد. ولما كان نفي الإثم (لا جناح) جاء في قسم الوجوب فهو لبيان هذه الحصّة دون الاستحباب الذي جاء متأخراً بكلمة (تطوع) نقول:

١- من قال: إن ذكر الحج والعمرة في الآية يعني خصوص الواجب منهما؟!.

٢- أن التطوع لا يدل على الاستحباب فقط، بل يشمل الواجب والمستحب؛ لأنَّ التطوع في الحكمين موجود.

٣- أنَّ التطوع كما يمكن إرجاعه إلى السعي الزائد يمكن إرجاعه إلى الحج والعمرة، فالخير في الكل موجود وكله تطوع.

وأما قرينة الاستحباب فهي (شعائر الله)، حيث الشعائر لم تكن فيها دلالة الإلزام، بل للتعريف والتنبيه على الجعل الجديد للصفة والمروة في أنها من علائم الله ومظهر من مظاهر ذكر الله، فالتطوف بهما محبوبٌ لله لا بدرجة الإلزام وهو معنى الاستحباب.

نقول:

١- هو كما قلت: إنَّ (شعائر الله) يمثل بداية التشريع الجديد لهما بجعلهما معبدتين وإنَّ التطوف بهما محبوب عنده سبحانه، ولكن من قال: إنَّ الجعل قد وضع على نحو الاستحباب؟ ومن قال: أن استعمال شعائر الله ليس فيها شامة الإلزام مع أن استعمال لفظ (شعائر الله) قد ورد في القرآن فيما فيه الطلب والزجر الإلزاميين ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ (المائدة: ٢)، ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ (الحج: ٣٦).

٢- لو كان الجعل التشريعي لبيان خصوص استحباب السعي والطواف بينهما لكان من الأرجح أن يبرز محبوبة الطواف في اللفظ لا نفي الإثم (لا جناح عليه) التي تفيد نفي توهم الحظر حيث كان المسلمون يظنون أن السعي بين الصفا والمروة فيه الحذر الكبير أمَّا لكونه من فعل المشركين، وإمَّا لوجود الأصنام التي كانت منصوبة على الصفا والمروة.

النتيجة: أن الآية بنفسها لا تدلّ على الوجوب أو الاستحباب، بل تحتاج في دلالة أحدهما بخصوصه إلى قرينة خارجية.

س: ما هي القرينة الخاصة الخارجية التي تدلّ على وجوب السعي بين الصفا والمروة؟

ج:

النصوص التي وردت عن الرسول ﷺ وعن الأئمة الأطهار عليهم السلام، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث حجّ النبي ﷺ أنه قال: «بعدما طاف بالبيت وصلى ركعتيه قال ﷺ: إن الصفا والمروة من شعائر الله، فابدأ بما بدأ الله عز وجل، وإن المسلمين كانوا يظنون أن السعي بين الصفا والمروة شيء صنعه المشركون، فأنزل الله: ﴿إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ...﴾»^(١).

وورد عن بعض الأصحاب أنه قال: سئل أبو عبد الله عليه السلام عن السعي بين الصفا والمروة، فريضة أم سنة؟ فقال ﷺ: «فريضة». قلت: أو ليس قال الله عز وجل: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾؟ قال: «كان ذلك في عمرة القضاء، إن رسول الله ﷺ شرط أن يرفعوا الأصنام من الصفا والمروة»^(٢).

س: اذكر واجبات السعي.

ج:

السعي ركن من تركه متعمداً بطل حجّه، وواجباته أربعة هي:

١- النية.

(١) وسائل الشيعة ١١: ٢١٣/١٤٦٤٧.

(٢) الكافي ٤: ٤٣٥/٨.

٢- البداءة بالصفاء.

٣- الختم بالمروة.

٤- السعي بسبعة أشواط، يحتسب ذهاباً شوطاً، وعوده آخر.

س: اذكر مستحبات السعي.

ج:

مستحبات السعي أربعة هي:

١- المشي عند السعي.

٢- أن يكون المشي على أطراف الأقدام.

٣- الهرولة ما بين المنارة وزقاق العطارين، وتعرف حدودها الآن بواسطة الإنارة الخضراء بداية ونهاية.

٤- الدعاء في أثناء السعي ماشياً ومهزولاً. علوم إسلامي

س: ما هي الدروس المستفادة من السعي بين الصفا والمروة؟

ج:

١- أن السعي من المناسك المختصة بالحج التي ليس للعقل دخل في اكتشاف

المنفعة منها وإنما هي صرف العبادة والتعبّد لله سبحانه وتعالى.

٢- أن السعي يمثل حركة الإنسان بين نقطتين محدّتين بداية ونهاية ليس للإنسان

دخل في تكوينهما كما ليس له دخل في ولادته وموته.

٣- أن السعي يمثل حركة الإنسان نحو الله وعلى جادة الشرع المستقيم، وأن أي

اتّجاه مخالف يُعدّ انحرافاً ورسم طريق آخر خارج عن مرضاة الله وسعادة

الإنسان.

٤- أن السعي يضع الإنسان أمام مستقبله المنتظر من الساعة والحشر التي يخرج منها من الأجدات.

٥- أن السعي يذكر الإنسان بحركة إبراهيم وهرولة هاجر وعطش اسماعيل وجهادهم المخلص الذي رفعه الله بحيث جعل أثره من شعائره سبحانه، ويذكر الإنسان بحركة الرسول ﷺ الذي وقف وحيداً على الصفا يوماً ليدعو الناس بأول كلمة له (قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا) ولم يكن هناك من مجيب ولا مناصر وها هي الآن مئات الآلاف من المجيبين والمناصرين لدعوته وحركته الرسالية.

٦- أن السعي بين الصفا والمروة قد كان كما أراد إبراهيم وإسماعيل ورسموا له ، ولكن عندما تسلطت حركة الشرك على أغلب المناسك أدخلت الكثير ممّا ينافي التوحيد وتلك المراسم التي رسمت لذلك المنسك وتلك الشعائر وظلت دهرًا من الزمن خالية من المحتوى الروحي مخلوذة بالأصنام إلى أن جاء الإسلام فأرجعها إلى ما كانت عليه من المراسم والقدسية بهذه الآية وطهرها الرسول ﷺ من الأوثان.

من هنا نعرف الدرس الآخر وهو أن المكان المقدس أو أيّ شعيرة لله إذا دنّست من قبل الآخرين أو إذا أدخل عليها ما ليس منها من قبل المنحرفين هذا لا يعني أن ذلك المكان أصبح غير مقدس أو أن تلك الشعيرة لم تكن لله وغير شرعية، بل يجب الفصل بين شرعية أصل الشيء وبين البدع التي أدخلت عليه أو التي حذفت منه في العمل المرسوم له، ففي هذه الحالة يجب التمسك بتلك الأماكن وتلك الشعائر ويجب في نفس الوقت تطهيرها من كلّ بدعة وتعديلها عن كلّ انحراف دخل عليها.

٧- حركة الساعي بين الصفا والمروة حركة مختلفة ما بين المشي والهولة وإن كان في الكل يستحب الهولة على أطراف الأقدام، وهذا يعني أن الحركة إلى الله لم تكن على وتيرة واحدة في السير، بل بعضها يحتاج إلى البطء في الحركة كما في قراءة القرآن وأداء الصلاة حتى يستوعب الإنسان فهم ما يقرأه ويؤديه، ومنها ما يحتاج إلى سرعة في الحركة كما في التصدق وأداء الحقوق حتى ينتفع المستحقون بها من دون معاناة في التأخير، وفي الكل يستحب السرعة في أصل المشاركة لكل عمل يقرب الإنسان إلى الله وينال منه مرضاته سواء كان أداؤه من النوع البطيء أو السريع ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (آل عمران: ١٢٣)، ﴿فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ﴾ (البقرة: ١٤٨).

س: هل شعائر الله من الأمور التوقيفية التي لا يجوز للمسلم أن يتعدى إلى غيرها بحيث يجعل أي عمل في خير هو شعيرة من شعائر الله؟ اذكر المحتمل من الجواب.

ج:

١- لو تتبعنا الجعل التشريعي لشعائر الله في القرآن لرأيناها تمثل جعلاً إلهياً، مع أن سنة الرسول ﷺ وأهل بيته سلام الله عليهم أجمعين لم يتعدوا ذلك الجعل ولم يوسعوه، فنعرف من ذلك أن شعائر الله من الأمور التوقيفية ذوات المصداق المحدد تعيينه من الله.

٢- عندما يقصد من شعائر الله المعنى اللغوي لها أي العلامة والمعلم من باب الاستعارة ولم يقصد معناها الشرعي، فهنا قد نتمكن أن نقول بالجواز؛ لأن كل شيء مجعول لله سواء جعله على نحو الوجوب أو الاستحباب فهو معلم من

معالم الله، فهنا يصبح حالها حال استعمال كلمة آية الله، فإنَّ كلَّ مخلوق هو آية
من آيات الله الدالة على وجود خالقه، فلا تمثل مصطلحاً شرعياً وإنما من باب
الاستعارة في المعنى اللغوي.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّوْا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَٰئِكَ عَلَيْنَا لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ (البقرة: ١٥٩-١٦٢)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيات؟

ج:



١- الكتمان: الإخفاء.

٢- اللعن: الإبعاد والطرده بغضب.

مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم إسلامي

● كتمان الحق

س: ما هي الأمور التي لو توفرت يصدق على الإنسان من خلالها أنه من الذين يكتُمون الحق؟

ج:

أولاً: أن يكون من الذين يعلمون الحق.

ثانياً: أن يترك إظهار الحق.

ثالثاً: أن تنحصر حاجة الغير إلى الحق فيه.

رابعاً: لا يوجد مانع شرعي أو عقلائي في إظهار الحق.

خامساً: أن يكون ما يكتمه من النوع الذي له مساس عقائدي في أصول الدين

أو فروعه ممّا دلّ عليه نقل أو عقل وليس من المسائل الشخصية.

س: في الآية المذكورة إذا كان ما أنزله الله بيّنات بنفسها وقد بيّنه للناس
فأين يحصل كتمانها من قبل البعض؟

ج:

أولاً: لا يعني التبيان أنه مفصل في كل فروعه ودقائقه بحيث يفهمه عامة الناس
وعلى جميع المستويات.

ثانياً: لا يعني التبيان أنه يتنه ومن دون واسطة في البيان كما هي إحدى
ضرورات وجود المعصوم من نبي أو إمام، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: قلت
له: أخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا﴾ الآية، قال عليه السلام:
«نحن نعني بها - والله المستعان - أن الواحد منّا إذا صارت إليه لم يكن له أو لم يسعه
إلا أن يبيّن للناس من يكون بعده» (١).

ثالثاً: أن من البيّنات أنه سبحانه قد وضح أن في البيّنات ما هو متشابه وما هو
محكم وما هو مجمل وما هو يحتاج إلى تأويل أو تفسير أو نقل أو عقل ومنه ما
لا يحتاج إلى كل ذلك كالصريح، فلمعرفة تفصيل المتشابه والمجمل والتأويل
والتفسير وصحيح النقل والعقل لا بد من الرجوع إلى الراسخين في العلم وأصحاب
الاختصاص بذلك فهم واسطة البيان والتبيان لعامة الناس، من هنا نعرف أن ما أنزله
الله بيان تام للناس ولكن يمرّ من دائرة أضيق إلى دائرة أوسع من الكتاب إلى
الأنبياء ثم الأئمة ثم الأوصياء ومنها إلى العلماء، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا
اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ (آل عمران: ٧)، ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾
(النحل: ٤٣).

س: ألم يكفي لعن الله للذين يكتُمون باعتباره الخسران الأكبر لهم، فلماذا أضاف الله لعن اللاعنين إلى لعنه ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾؟

ج:

أولاً: لبيان خطورة الكتمان، وأنها لم تكن حالة مبعوضة ينحصر بغضها بالله فحسب، بل كلٌّ من أراد أن يحمل الحق ويتعرّف عليه يبغض كتمانته ويبغض الكاتمين له؛ لأنه يعتبره جريمة وخيانة كبرى.

ثانياً: ليشرك الله الناس في عملية اللعن ليتعرفوا على الذين كانوا يكتُمون الحق وعلى الذين لا يزالون يكتُمونه ليعيشوا حالة الخطورة التي يتركها الكتمان. وبعبارة أخرى: أن اللعن أحد الأساليب التي تبعد الإنسان عن الوقوع في الجريمة والتي منها الكتمان.

س: ما هي النسبة بين ما أنزله الله من البينات وبين الهدى ﴿مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾؟

ج:

هنا يعتمد تعيين النسبة على تفسير البينات وما هو المراد منها، فإن كان يراد منها الكتب السماوية ومجموع آياتها فهنا يكون الهدى أعم مطلقاً من البينات؛ لأنَّ للهدى مصاديق كثيرة منها البينات، وإن كان يراد منها مطلق ما أنزله الله من البينات من الملائكة والكتب والأنبياء والأئمة والعقل والفترة فتكون نسبة التساوي بينهما؛ لأنَّ كلَّ ما أنزله الله من البينات فهو هدى وكلَّ هدى هو كلَّ ما أنزله الله. ولكن بقرينة النزول قد ينحصر معنى البينات بآيات الكتب السماوية بالإضافة إلى

استعمال القرآن في الفصل بين البيئات وبعض أفراد الهدى ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ (طه: ٧٢)، ولهذا قد نميل إلى أن تكون بينهما نسبة العموم والخصوص المطلق، أي الوجه الأول.

س: ما هو الفرق بين لعن الله ولعن الناس؟

ج:

لعن الله يعني استحقاق العذاب للملعون في الآخرة وعدم توفيقه وهدايته في الدنيا، وأمَّا لعن الناس هو طلب اللاعن من الله أن يبعد الملعون عن رحمته ورأفته وتوفيقه في الدنيا والآخرة. وبعبارة أخرى: أن لعن الله بمعنى إصدار الحكم على الملعون، ولعن الناس هو دعاؤهم الله بأن لا يرحم الملعون.

س: اذكر أهم خطرين يتركه الكتمان.

مركز تحقيقات كميونير علوم إسلامي

ج:

الأول: الخطر الاجتماعي

عندما يحصل الكتمان من شخص أو جماعة فإمَّا أن يقوم ذلك الشخص أو تلك الجماعة بطرح بديل مخالف للحق المكتوم، أو يقوم الآخرون بطرح البديل عن المكتوم مستغلين كتمان هذا الشخص أو تلك الجماعة، وفي الحالتين لا يكون البديل المطروح إلا الباطل والضلال؛ لأنه كما ورد: (ما بعد الحق إلا الباطل وما بعد الهدى إلا الضلال)، بمعنى أن المجتمع سيورث التيه والضلال حتى يصبح ما هو الباطل والضلال هو العقيدة الحقّة التي يعتقد بها ذلك المجتمع، وسيتوارث هذا النهج من الانحراف جيل بعد جيل، والله العالم كم من الجرائم والخطايا قد تفرّعت وترتبت على ذلك الكتمان الصغير، وليس من السهل استئصال العقيدة الفاسدة من

أذهان معتقديها، بل إن في بعض الأحيان يكون استئصال فكرة يحتاج إلى بذل جهود تصل إلى بذل الكثير من الأموال والنفوس وهتك الحرمات، فاعلم يا حامل الحق أن لذة أو جبن ساعة التي سببت الكتمان كم تورث من الأخطار الاجتماعية في الدنيا وعذاب الآخرة أكبر.

الثاني: الخطر العقائدي

عندما يحصل كتمان الحق معناه سوف يصل الانحراف والتحريف للشريعة والكتاب، وهذا يعني أن بقاء الشريعة مهتد، فإن لم يكن بقاء الكتاب المجيد مهتداً باعتبار أن الله حافظ له، ولكن السنة الصحيحة وواقع العمل بها سيكون مهتداً بالبقاء على حالته التي أرادها المشرع سبحانه، فكما أراد الله أن يحافظ على تشريعه بما هو واقعاً وصحيحاً ابتداءً وعلى هذا أرسل الأمناء من الأنبياء والرسل، كذلك يريد الله له الديمومة والبقاء والاستمرار على واقعيته من الصحة والتمامية، وكتمانها يمنع هذا النوع من الاستمرارية، بل ويفتح المجال أمام كل المترصدين أن يعبثوا به بما تشتهي أنفسهم مستغلين فرصة كتمان الكاتمين للحق في مسائل التشريع.

س: اذكر بعض الأمثلة لكتمان الحق.

ج:

١- أهل الكتاب الذين كتموا ذكر ما يتعلق بالرسول ﷺ والدين الحنيف في التوراة والإنجيل.

٢- بعض علماء المسلمين الذين كتموا ما أنزله الله من حيث التأويل وسبب النزول وغيرها من الأمور التي تتعلق بوضوح الآية وتفصيلات مفرداتها.

٣- بعض علماء المسلمين الذين كتموا ما قاله الرسول ﷺ بحق الأئمة الأطهار عليهم السلام.

٤- بعض علماء المسلمين الذين يعرفون حق الأئمة ولم يبينوه سواء الذين كانوا في زمانهم أو في خارجه.

٥- بعض علماء المسلمين الذين يمنعون كتب الحق ووصولها إلى الناس ليهدوا من خلال الاطلاع عليها ويكشفوا زيف وانحراف الآخرين.

٦- بعض علماء المسلمين الذين سكتوا عن بيان واجب الأمة مع ابتلاء الأمة الإسلامية بمسائل وأحداث عظيمة ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ (آل عمران: ١٨٧)، ورد في الحديث عن الصادقين « إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه »^(١).

٧- بعض علماء المسلمين الذين يشغلون الساحة الإسلامية بمسائل فرعية وأمور سطحية ويكتمون عن الأمة الدور الأهم والمسائل الكبرى التي يجب أن تشغل الأمة بها، ورد أن الإمام أمير المؤمنين ﷺ سئل عمَّن هم شر خلق الله بعد إبليس وفرعون؟ قال: « العلماء إذا فسدوا، هم المظهرون للأباطيل، الكاتمون للحقائق، وفيهم قال الله عز وجل: ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ »^(٢).

٨- عدم أداء الشهادة التي يتوقف إثبات الحق لشخص أو لجماعة على إظهارها ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «أكرموا الشهود فإن الله تعالى سيخرج بهم الحقوق، ويدفع بهم الظلم»^(٣).

(١) وسائل الشيعة ١٦: ٢٧١/٢١٥٤٦.

(٢) الاحتجاج ٢: ٢٥٨.

(٣) كنز العمال ٧: ١٢/١٧٧٣٣.

س: اذكر ما تعرفه عن توبة الذين كتموا الحق من خلال قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

ج:

كما تعطي هذه الآية الأمل إلى الذين اترفوا جريمة الكتمان في الرجوع إلى الله بالندم على ما اترفوه كذلك تستبطن صعوبة حصول التوبة النصوحة في مجال الكتمان من قبل أنفسهم؛ لأن التوبة النصوحة في هذا المجال تحتاج بالإضافة إلى الندم إصلاح ما أفسده الكتمان وتبيان الحق الذي كان يكتمه، وهذا النوع من التوبة إن كان سهلاً في بعض حالات الكتمان إلا أنه يصعب تحقيقه في الأغلب من الناحية العملية حيث يحتاج فيه التائب إلى أن يعترف على كل الأفراد الذين أفسد كتمانهم عقيدتهم ولو بجانب من جوانبها، وإذا كان الإفساد قد أصبح بدائرة لا يمكن معه حصر الأفراد لا بد من إعلان الحقيقة التي كان يخفيها لينقلها الحاضر إلى الغائب، وهذا ما يحتاج إلى أعلى درجات خلوص النية ونكران الذات والذوبان بالله لحصول مرضاته وغفرانه.

فهناك إذن موانع شيطانية ونفسية ودنيوية كبرى تحتاج إلى إرادة أكبر لتحطيم تلك الموانع ليفتح طريق التوبة أمامه ولو بالخطوة الأولى لها، ولهذا تجد الله يؤكد حضوره واستعداده المتميز لقبول توبة هؤلاء (أتوب عليهم) و (وأنا) و (التواب) و (الرحيم) التي هي مبالغة في القبول، واستقرئ تأريخ وحاضر الذين كتموا الحق وقارن عدد الذين كتموا الحق بعدد الذين تابوا منهم بإصلاح ما أفسده كتمانهم للحق والحقيقة وأعلنوا الحق فستجدهم قليلين.

وبهذا نعرف أنَّ أحد أسرار خطورة الكتمان تكمن في صعوبة الرجوع من قبل نفس الكاتمين للحق إلى الله بالمرسوم الذي رسمه الله لتوبتهم على الرغم من السهولة المتميّزة من قبل الله في قبول توبتهم، فكما يريد الله من الإنسان أن يفكر في بداية طريق الإقدام يريد منه أن يفكر في نهاية طريق الرجوع، فقد تكون السهولة في الدخول والاقترام فقط دون الخروج.

س: أن الكفار لم يلعنهم جميع الناس بل بعضهم، فكيف قال الله: ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾؟

ج:

فيه احتمالات عديدة منها:

- ١- أن يراد منها خصوص المؤمنين من باب إطلاق العام وإرادة الخاص.
- ٢- أن يراد منها من يعتدّ بِلَعْنَتِهِ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ.
- ٣- أن يراد منها جميع الناس يوم القيامة؛ لأنهم يوم القيامة على قسمين، أمّا المؤمنون فهم من اللاعنين للكافرين، وأمّا الكافرون فإنهم يوم القيامة يلعن بعضهم بعضاً.

﴿وَالهَيْكُلُ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ
بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَى بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: ١٦٣-١٦٤)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيتين؟

ج:

- ١- الواحد: المتفرد.
- ٢- الاختلاف: أ - الخلف. ب - ما يقع فيه التمييز وعدم المشابهة.
- ٣- الفلك: السفن.
- ٤- البث: التفريق.
- ٥- الدابة: كل ما يدب على الأرض.
- ٦- التصريف: النقل والتغيير.
- ٧- التسخير: التذليل.

• التفكير ومعرفة الله

س: لماذا يطرح الله نفسه بين الحين والآخر من آياته؟

ج:

من أجل أن يعرفنا الله نفسه ويعمق وجوده في نفوسنا.

س: ألم يكن في وجود العقل كفاية في أن يعرف الإنسان ربّه؟

ج:

للعقل دور مهمّ في أن يعرف الإنسان وجود ربّ له، أمّا التفصيلات من صفات الله وما هو دور كلّ صفة ودور الله في الوجود وما هي ذاته وما هي علاقة صفاته بذاته فليس للعقل قابلية الوصول إلى تفصيلات ذلك، ولهذا يطرح الله بعض صفاته من أجل ترشيد العقل وتطهيره عمّا لا يليق بساحة ذاته سبحانه.

س: إذا لم يكن بمقدور العقل الوصول إلى ذاته فلماذا أمرنا الله وسنّ نبيّه في التفكير وجعل التفكير بالله خيراً من عبادته سبحانه وتعالى حتى أنّ كثيراً من الروايات تذكر ذلك؟ اذكر المحتمل من الجواب.



ج:

التفكير في الله الذي تعنيه الروايات لا يعني التفكير في ذات الله وإنما التفكير بالله من حيث وجوده من خلال خلقه، والتفكير في أثر صفاته تعالى على الخلق وما هي علاقة صفاته مع الخلق وغيرها من الأمور التي يكون التفكير بها للوصول إلى معرفة علاقة صفاته بالخلق وما هو عطاء الصفات بعيداً عن الذات، وإلا فإن التفكير في ذات الله وكنه صفاته لا تزيد العقل إلا تهقراً ورهقاً، ولهذا فإن التفكير بهذا الاتجاه غير مرغوب فيه شرعاً.

ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «تفكروا في خلق الله، ولا تفكروا في الله فتهلكوا»^(١)، «تفكروا في كلّ شيء ولا تفكروا في ذات الله»^(٢)، «تفكروا في الخلق

(١) كنز العمال ٣: ١٠٦/٥٧٠٥.

(٢) كنز العمال ٣: ١٠٦/٥٧٠٤.

ولا تفكروا في الخالق، فإنكم لا تقدرون قدره»^(١)، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «مَنْ تفكَّر في ذات الله سبحانه أُلْحِد»^(٢)، وفي رواية أخرى: «تزنّدق».

س: لماذا نهت الشريعة عن إدراك ذاته عن طريق العقل الذي هو أفضل طريق لمعرفة كنه الأشياء والوصول إلى خفاياها وكشف أسرارها؟

ج:

العقل له القدرة على الوصول إلى ما يحيط بالأشياء لقابليته في إدراك الأشياء بأبعد حدودها، فهو لا يعرف الحدود في إدراكاته للأشياء فقط، ولكن لا يتوصّل إلى المطلق غير المحدود ولا يمكنه ادراك ما ليس كمثلته شيء، والله سبحانه وتعالى هو المطلق في ذاته وصفاته وليس كمثلته شيء، فتوجيه العقل بهذا الاتجاه في معرفة ذاته المقدّسة لا تريد العقل إلا رهقاً.

ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «لم تبلغه العقول بتحديد فيكون مشبهاً، ولم تقع عليه الأوهام بتقدير فيكون ممثلاً»^(٣). وعنه أيضاً: «الحمد لله الذي أعجز الأوهام أن تنال إلا وجوده، وحجب العقول أن تتخيّل ذاته في امتناعها من الشّبّه والشكل»^(٤).

س: ما هي أقسام المعرفة بالله من جهة الوصول إلى اليقين والإيمان بوجوده؟

(١) كنز العمال ٣: ١٠٦/٥٧٠٦.

(٢) غرر الحكم: ٨٢/١٢٨٤.

(٣) نهج البلاغة ٢: ١٥٥/٤٥.

(٤) التوحيد: ٢٧/٧٢.

ج:

تنقسم المعرفة بالله من هذه الجهة إلى قسمين:

١- معرفة الخواص: وهي معرفة الله التي تبتدئ من الله، فهي معرفة تنازلية تبتدئ من الله وتنتهي بالخلق فلا تخضعها الحاجة إلى دليل، وهذه أعلى المعارف التي يختص بها الأنبياء والأئمة عليهم السلام، ورد في دعاء عرفة للإمام الحسين بن علي عليه السلام أنه قال: «متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك، ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك، عميت عين لا تراك عليها رقيباً، وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيباً، إلهي أمرت بالرجوع إلى الآثار فارجعني إليك بكسوة الأنوار وهداية الاستبصار حتى أرجع إليك منها كما دخلت إليك منها مصون السر عن النظر إليها، ومرفوع الهمة عن الاعتماد عليها إنك على كل شيء قدير».

ورود عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام أنه قال: «بك عرفتك وأنت دللتني عليك ودعوتني إليك، ولولا أنت لم أدر ما أنت» (١).

٢- معرفة العوام: وهي معرفة الله من خلال أثره وخلقه، فهي معرفة تصاعديّة تبتدئ من الخلق وتنتهي بالخالق، وهذا هو الطريق الشائع للناس يعرفون الخالق من خلال المخلوق ويستدلون على العلة من خلال المعلول ويستدلون بالحادث على وجود المحدث، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «الحمد لله الدال على وجوده بخلقه، وبمحدث خلقه على أزيلته، وبأشباههم على ألا شبه له» (٢).

(١) الإقبال ١: ١٥٧.

(٢) الكافي ١: ١٣٩/٥.

س: ما هي الآثار الإيجابية التي تتركها معرفة الله على النفس؟

ج:

من جملة تلك الآثار:

أولاً: معرفة الله فيها نمو الروح، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «المعرفة نور القلب»^(١).

ثانياً: معرفة الله تعرفك العمل، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «لا يقبل الله عملاً إلا بمعرفة، ولا معرفة إلا بعمل، فمن عرف دلته المعرفة على العمل، ومن لم يعمل فلا معرفة له»^(٢).

ثالثاً: معرفة الله ترفع درجة الإنسان عند الله، ورد عن أحدهم عليه السلام: «بعضكم أكثر صلاة من بعض، وبعضكم أكثر حجاً من بعض، وبعضكم أكثر صدقة من بعض، وبعضكم أكثر صياماً من بعض، وأفضلكم أفضلكم معرفة»^(٣).

رابعاً: معرفة الله تبني الشخصية الصالحة، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إنكم لا تكونون صالحين حتى تعرفوا...»^(٤).

خامساً: معرفة الله تزرع القناعة في نفس الإنسان، ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «لو يعلم الناس ما في فضل معرفة الله عز وجل ما مدوا أعينهم إلى ما متع الله به الأعداء من زهرة الحياة الدنيا ونعيمها، وكانت دنياهم أقل عندهم مما يطؤونه بأرجلهم ولنعموا بمعرفة الله عز وجل وتلذذوا بها تلذذ من لم يزل في روضات

(١) غرر الحكم: ١/٤١.

(٢) الكافي ١: ٢/٤٤.

(٣) صفات الشيعة: ٢٨/١٥.

(٤) الكافي ١: ٦/١٨١.

الجنان مع أولياء الله. إن معرفة الله عز وجل أنس من كل وحشة، وصاحب من كل وحدة، ونور من كل ظلمة، وقوة من كل ضعف، وشفاء من كل سقم»^(١).

سادساً: معرفة الله تزيد الإنسان الخلق الرفيع، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «اعرف الناس بالله أعذرهم للناس وإن لم يجد لهم عذراً»^(٢).

سابعاً: معرفة الله تزيد الإنسان يقيناً وثباتاً، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «من كانت له حقيقة ثابتة لم يبق على شبهة هامة حتى يعلم منتهى الغاية، ويطلب الحادث من الناطق عن الوارث...»^(٣).

ثامناً: معرفة الله تبعد الإنسان عن ارتكاب المعاصي، ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من كان بالله أعرف كان من الله أخوف»^(٤).

تاسعاً: معرفة الله تزيد الإنسان بطولة وشجاعة وصلابة وثباتاً أمام الأعداء حين يفوض كبريات الأمور عليه سبحانه، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «ينبغي لمن عرف الله أن يتوكل عليه»^(٥).

عاشراً: معرفة الله مع التقوى فوز بالدرجات العليا في الجنان، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «لا يزكو عند الله سبحانه إلا عقل عارف ونفس عزوف»^(٦).

(١) الكافي ٨: ٢٤٧/٣٤٧.

(٢) غرر الحكم: ٥٠١١/٢٤٥.

(٣) الكافي ٨: ٢٤٢/٣٣٣.

(٤) جامع الأخبار: ٩٦.

(٥) غرر الحكم: ٣٨٦٠/١٩٦.

(٦) غرر الحكم: ٤٣٥/٥٣.

س: ما هو المراد من الواحد في قوله تعالى: ﴿وَالْهَكْمَ إِلَهُ وَاحِدًا﴾؟

ج:

أستعين بالجواب بما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «القول في أن الله واحد على أربعة أقسام، فوجهان منها لا يجوزان على الله عز وجل، ووجهان منها يثبتان فيه. فأما اللذان لا يجوزان عليه فقول القائل: واحد، يقصد به باب الأعداد، فهذا مالا يجوز لأن ما لا ثاني له لا يدخل في باب الأعداد، أما ترى أنه كفر من قال: إنه ثالث ثلاثة، وقول القائل: هو واحد من الناس يريد به النوع من الجنس، فهذا ما لا يجوز لأنه تشبيه وجل ربنا وتعالى عن ذلك. وأما الوجهان اللذان يثبتان فيه، فقول القائل: هو واحد ليس له في الأشياء شبه كذلك ربنا. وقول القائل: إنه عز وجل أحدي المعنى يعني به أنه لا ينقسم في وجود ولا عقل ولا وهم كذلك ربنا عز وجل»^(١).

مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

س: ماذا تستنتج من قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾؟

ج:

أولاً: أنها الكلمة التي جاء بها كل الأنبياء للناس، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٢٥).

ثانياً: أنها الكلمة التي تمثل أعلى الكلمات، ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: «ما قلت ولا قال القائلون قبلي مثل لا إله إلا الله»^(٢).

ثالثاً: أنها الكلمة التي تمثل خير العبادة، ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: «خير

(١) الخصال ١/٢:١.

(٢) وسائل الشيعة ٧/٢١١:٧/٩١٣٧.

العبادة قول لا إله إلا الله»^(١).

رابعاً: أنها الكلمة التي بها توزن الأعمال، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «وقوله: لا إله إلا الله يعني بوحدانيته لا يقبل الله الأعمال إلا بها، وهي كلمة التقوى يشغل الله بها الموازين يوم القيامة»^(٢).

خامساً: أنها الكلمة التي تضع نفسها في الطرف الأول من الشهادة، ورد عن الإمام الباقر ﷺ أنه قال: «ما من شيء أعظم ثواباً من شهادة ألا إله إلا الله؛ لأن الله لا يعدله شيء ولا يشركه في الأمر أحد»^(٣).

سادساً: أنها الكلمة الجامعة الفاتحة لكل خير والزاهقة لكل باطل، ورد عن الإمام أمير المؤمنين ﷺ أنه قال: «وأشهد ألا إله إلا الله... فإنها عزيمة الإيمان، وفاتحة الإحسان، ومرضاة للرحمن، ومدحرة للشيطان»^(٤).

سابعاً: أنها كلمة تنزهه ساحة ذاته سبحانه من أي شريك على أي مستوى كان، وتثبت وحدانيته من كل جهة، تثبت أنه واحد أحد فرد صمد، وتثبت أنه سبحانه وتعالى هو بذاته الرحمن الرحيم.

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ... لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾؟

ج:

١- كما عودنا الله أنه لم يترك أي دعوى متصلة به إلا وهو يطرح البراهين تلو

(١) الكافي ٢: ٥٠٦/٥.

(٢) علل الشرائع ١: ٢٥١/٨.

(٣) الكافي ٢: ٥١٦/١.

(٤) نهج البلاغة ١: ٢٧/٢.

البراهين على إثبات ما يدّعي، فلم تكن دعوى الله من الصفات التي يحملها دعوى في الهواء الطلق، بل هو الفعّال الذي قد سبق فعله دعواه، ثمّ دعا الإنسان للنظر في صدقٍ وحقٍّ في كل ما يدّعي، فكانت هذه الآيات والدلائل - في كلّ آية من الآيات والنعم والدلائل - دنيوية ودينية للدنيا والآخرة.

٢- صورة من صور الجمال ومنظر من مناظر الطبيعة الخلافة حيث السماء والأرض والليل والنهار والبحر والسفن التي تجري عليه والرياح والسحاب، ولا يريد الله أن ينقل إليك هذه الصورة من أجل أن تتمتع بجمالها الظاهري وألوانها الطيفية وهندستها في الشكل والتوزيع ووحدتها في التنسيق فحسب، بل أراد الله من الإنسان أن ينظر إليها ببصيرته كما يراها ببصره ليكتشف أسرار خلقه ومقدار ما خلق إليه وليطمئن بصدق دعوى الله عندما يقول: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، فالذي ينظر إلى حقيقة هذا المنظر وما يحمل من العناصر الواحدة المتشابهة لمكونات هذا الخلق مع وحدة الترابط والتآلف القويم بين القوانين الحاكمة لهذه المكونات لعرف باليقين أنّ الله واحد بالوحدة الذاتية والخالقية، ولو اطلع على معطيات الخالق إلى كلّ مخلوق وأثره على حياة الإنسان لعلم أنه سبحانه وتعالى هو الرحمن الرحيم للإنسان ولنفس العناصر التي تتكوّن منه الأشياء، ويعرف يقيناً أنّ الوحدة والرحمة التي يطرحها الله لنفسه ليست شعاراً بل هو مجسّد في ميدان الإيجاد والعطاء بأكثر من كونه شعاراً ممّا علم به الإنسان وما لم يعلمه.

٣- أنه عرض يجمع ما بين بساطة الدليل والعمق العلمي العالي الذي يحتويه الدليل، أمّا البساطة فيه فهي من جهة أنّ هذه الظواهر الكونية يعيشها كلّ إنسان وفي

كلّ يوم ويشاهدها وهي قريبة منه مكاناً وزماناً ويحسّ بها بما أودع الله في الإنسان من الحواس ليشرع الإنسان - أي إنسان - بوجود الله القريب منه الذي ينشر عليه من رحمته على طول كلّ فترة من فترات حياته.

وأما العمق العلمي التي تحمله هذه الظواهر الكونية حيث إنها قائمة على أساس علمي بكلّ دقائق وجودها وتشكيلاتها التي لم يكتشف الإنسان إلا القليل ممّا تحمله هذه الظواهر من الدقائق العلمية، ليشرع الإنسان أنّ العلم هو الآخر في خدمة الإيمان بالله، ليفتح الله أمام الإنسان أبواب العلم لاكتشاف الأسباب والمسببات التي تصل في نهاية سلسلة العلة والمسببات إلى علّة العلة وهو الله سبحانه وتعالى.

ولم يكن الطريقتان من البساطة التي ترفد عامّة الناس بالدليل والدقة العلمية التي ترفد الخاصّة من الناس بالدليل شيئاً مستحدثاً، بل لهما الدور الكبير في إيمان الناس بالله منذ التكوين الأوّل للناس.

وما نقرأه ونظّلح عليه من عبادة البعض للكواكب أو الشمس أو القمر أو غير ذلك فهو لم يكن نابعاً من جهل في الأسباب، بل هو حركة عقلية في الأسباب وجهل من ناحية المسبب الرئيسي لها، ولهذا تجد كلّما تقدّم الإنسان من الناحية العلمية واكتشف بعض الأسباب تضحّل عبوديته للظواهر الطبيعية ويزداد لجوؤه إلى الإيمان بالله وتبلور عنده فكرة تنزيه الله من كلّ شائبة لا تليق بساحته سبحانه وتعالى، وللكتب السماوية والأنبياء الدور الكبير في ترشيد العقل نحو بلورة فكرة الله وتنزيه ساحته من خلال تزويد العقل للكثير من التفاصيل المتعلقة بذاته، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا

أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ (الأنعام: ٧٨).

٤- أن الآية تعرض بين طبيعتها الأمور التالية:

- ١- تطرح الدليل على وحدته سبحانه من كل جهة، فكل مفردة من مفردات هذه الآية تعكس وحدة الخالق لاحتياج كل مفردة إلى صانع وموجد باعتبار أن كل معلول يحتاج إلى علة حتى تنتهي سلسلة العلل إلى العلة الواجبة التي تنتهي إليها سلسلة العلل، وهو الواجب بالذات، وهو الله سبحانه وتعالى.
- ٢- تطرح الدليل على أن الخالق عالم بذاته؛ لأن كل مفردة من مفردات هذه الآية من خلق السماوات والأرض وحركة الليل والنهار والرياح والسحاب قد وضعت على أساس علمي في منتهى الدقة.
- ٣- تطرح الدليل على أن الخالق العالم هو الرب المدبر؛ لأن كل مفردة لهذه المفردات غير منفصلة عن تدبيرها عنه سبحانه، من حركة الليل والنهار وتصريف الرياح وتسخير السحاب وإتزال المطر.
- ٤- تطرح الدليل على أن الخالق العالم المدبر لهذه المفردات هو قادر، حيث الحجم والكتلة والكثافة والسرعة التي تبلغ الملايين في وحداتها القياسية في الكثرة والكبر في كلياتها الظاهرة كما تبلغ الملايين في وحداتها القياسية في القلة والصغر في ذرات عناصرها المكونة لها.
- ٥- تطرح الدليل على أن الخالق العالم المدبر القادر هو مبدع؛ لاختلاف المفردات، فكل مفردة في طبيعتها التكوينية تختلف عن المفردة الأخرى في ماهيتها وعناصرها وأصل التركيب الجزيئي لها ووظيفتها، هذا مع وحدة التشابه في التركيب الذري لكل المفردات.

٦- تطرح الدليل على أن الخالق العالم المدبّر القادر المبدع هو حكيم، حيث تجد الدقة في توزيع القوانين المناسبة لكل مفردة بحيث تعمل عملها ضمن طبيعتها التي حُدّدت لها وضمن القانون الذي يتحكّم بها بحيث لو تعطلّ القانون بجزء قليل جدّاً منه عن عمله لاختل النظام الكوني.

٧- تطرح الدليل على أن الخالق العالم المدبّر القادر المبدع الحكيم هو مصوّر جميل، وهذا ما نجده واضحاً في الصور الظاهرية للمفردات في هيئتها وألوانها وتناسق مواقعها، ونجده كذلك في التراكيب والأشكال الهندسية لأصل عناصرها المكوّنة لها.

٨- تطرح الدليل على أن الخالق العالم المدبّر القادر المبدع الحكيم المصوّر الجميل هو متكفّل بالرزق؛ لأنّ كل ذي روح حيوانية أو نباتية نامية بريّة أو بحرية أو جويّة فهي تحتاج في نموّها إلى من يزوّدها بعناصر النمو والحياة، ولا متكفّل برزق هذه الملايين سواه.

٩- أنّ معرفة الله والاطلاع على صفاته لم تكن من المعارف الضرورية التي لا يحتاج ثبوتها، بل من المعارف النظرية التي تحتاج إلى دليل، ولهذا يعرض الله الآيات والأدلة على إثبات وجوده، كما أنّها لم تكن من المعارف التي تخضع للتقليد، بل للعقل دور وأساس أوّلي في اكتشاف ما تدلّ عليه هذه الآيات ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

س: لماذا حشر الله من بين هذه المفردات التي من صنعه فقال: ﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾ مع العلم أنّ الفلك من صنع الإنسان لا من صنعه سبحانه وتعالى؟ اذكر الوجوه المحتملة في ذلك.

ج:

أولاً: أن يجعل الإنسان يثبت وجود الله وبعضاً من صفاته من خلال النظر إلى الفلك التي تجري في البحر، في حاجتها إلى صانع عالم مدبر، فكذلك الكون وما فيه.

ثانياً: أن يشير الله إلى حقيقة وهي أن كل ما يأتي به الإنسان ويصنعه لم يكن الإنسان العلة التامة في صنع وفي كل ما يأتي به، بل هي الأخرى راجعة لله ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الصفات: ٩٦)، وذلك للأمر التالية:

١- أن الله هو الذي خلق الأشياء وقوانينها وجعلها طائعة لكل رغبات الإنسان وقضاء حاجاته في مختلف الميادين.

٢- خلق الله للإنسان بما يناسب استثماره لجميع عناصر الكون من العقل والإرادة، وخلق طبيعة الإنسان من الحاجة والسعي والاختيار والاستعداد وغيرها من الأمور التي تنسجم مع متطلبات الكون والحياة فيه.

٣- اختيار الإنسان وإرادته التي لا تنفصل عن الله ببعض مبادئها غير الإرادية والتي لا تنفصل عن مشيئته سبحانه وتعالى.

٤- أن دور الإنسان في كل ما أوجده من الأشياء المخلوقة لله دور المكتشف للأسرار التي أوجدها وأودعها الله في الأشياء لا دور المخترع والموجد.

س: ما هي الرابطة بين حياة الأرض وبتّ الدواب في قوله تعالى: ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَتَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾؟

ج:

أن حياة الأرض تكمن في عنصرين: الأول: وجود الماء، والثاني: قابليتها

لإخراج النبات ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ (الحج:٥)، فإذا تحقق هذان العنصران جاءت الحيوانات وحطَّ الإنسان على تلك الأرض ليستمدَّ حياته من الماء والنبات والحيوان، ومن هنا نعرف أنَّ الماء هو عنصر الحياة الأساسي لكلِّ مَنْ له نَفْسٌ، وهو العنصر الأساسي الذي يدخل في تكوين الخلية الحيَّة لكلِّ من النبات والحيوان والإنسان، ومن هنا نعرف كذلك الربط بين حياة الأرض بهذين العنصرين وبين بثِّ كلِّ دابة.

س: لماذا قيَّد السحاب بالتسخير مع أنَّ جميع آياته مسخَّرات من قبله سبحانه؟

ج:

قد يكون لظهور عملية التسخير في السحاب لعامة الناس للوجوه التالية:

١- بقاء السحاب بين السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ على الرغم من أنه أثقل من الهواء، فهو يجري على خلاف القانون الطبيعي.

٢- عدم ثبوته للمنطقة الواحدة وعلى حالة واحدة، بل يسوقه الله إلى مناطق يفاجئ الله بها أصحاب الاختصاص بالحسابات الجوية في كثير من الأحيان بنزول المطر أو عدمه.

٣- كميَّة السحاب الهائلة التي تتجمَّع بسرعة كما تنقشع وتنتقل بسرعة، كما تضمحلُّ بسرعة مع ثبوت الحالة الجوية لليوم الواحد.

٤- الأثر الإيجابي الهائل الذي يتركه السحاب على النبات والأرض ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُزِيلُ الرِّيحَ فَتَثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ﴾ (الروم:٤٨).

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَّبَرَأَ مِنْهُمُ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ (البقرة: ١٦٥-١٦٧)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيات؟



- ج:
- ١- الحب: ١- الإرادة. ٢- الإلصاق. ٣- ميل القلب.
 - ٢- الشد: ١- العقد القوي. ٢- الأسرع.
 - ٣- التبرأ: الابتعاد عما يكره الارتباط به.
 - ٤- الاتباع: اقتفاء الأثر.
 - ٥- التقطع: ١- الانفصال. ٢- زوال الأثر.
 - ٦- السبب: الحبل الذي يشد به الشيء بحيث يؤدي فائدته.
 - ٧- الحسرة: ١- أشد صور الندامة. ٢- الكشف. ٣- مالا منفعة فيه نتيجة ضعفه وتعبه.

س: ما هو المحتمل المراد من الأنداد في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا﴾؟

ج:

١- الأصنام والأوثان التي كان المشركون يعبدونها كوسائط لله أو غاية العبودية.

٢- مطلق المطاع من دون الله، بقرينة استعمال ضمير العقلاء (هم) في ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾ والآية التالية من الاتباع، واعتماداً على ما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «والله يا جابر، هم أئمة الظلمة وأشياعهم»^(١).

س: ما هي المحتملات التي ترد في ما هو المراد من قوله تعالى: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾؟



مركز تحقيقات كاميون علوم إسلامي

ج:

إذا كان المراد من (الأنداد) الأصنام، فهنا نقول:

- ١- المشركون يعتقدون بالأصنام فكراً وعقيدةً بدرجة يرون أنها تستحق العبادة، ويكون أحد نتائج هذا المعتقد أن ينجذبوا إليها انجذاباً قلبياً وتفاعلاً عملياً بحيث يلتصقون بها على أن يرجون منها ما يرجوا المؤمن من الله من العطاء في الرزق ودفع الضرر الدنيوي والتخلص من العذاب ونيل الثواب الأخروي.
- ٢- حب الله يجب عقلاً وشرعاً أن يتميز عن حب غيره في أهم شيئين في الوجود والكيفية التي يجب أن تملأ وعاء قلب المؤمن، فالمشركون جعلوا هذين الشيئين الوجود والكيفية المختصين بالله في الأنداد بدلاً عن الله.

٣- لا شك ولا شبهة أن الله عندما خلق الخلق فإنه يحبه، ويحب الله من خلقه أن يحبونه، المشركون يسرون بعكس الاتجاه تماماً ويقدمون لله على خلاف ما يأمله الله منهم تماماً، حيث الشرك أبغض ما يكون لله، فعلاقتهم بالله بأبغض ما تكون كما هي أعلى درجة حب الله لهم لأنه خلقهم.

إذا كان المراد من الأنداد مطلق الظالم، فهنا نقول:

١- بعض الشرائح الاجتماعية من الناس تنجذب إلى بعض الأقوياء أو الأثرياء أو أصحاب الرأي والنظرية من الناس ظناً منهم أن هذا النوع من البشر هو المخلص، حتى يتدرج هذا النوع من الجاذبية ويصل إلى حد الاعتقاد بأن المنقذ والمخلص هو هذا القوي، وأن المعطي والرازق هو هذا الثري، وأن باني الحياة المستقبلية هو هذا المنظر للحياة، وبالتالي يصبح المنجذب تابعاً لكل ما يريده المنجذب إليه وإن كان في طريق الظلم والفساد سواء مر ذلك بشعور منه أو من دون ذلك، فينتج من ذلك الصنمية والطاعة العمياء له في كل ما يقوله ويريده، قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (التوبة: ٣١).

٢- بعض الناس يلهث وراء الشخصية ويحاول أن يقلدها حتى في حركتها الفعلية الشخصية إما لجهل أو لنقص فيه، ويرى أن الحق ما يصدر من تلك الشخصية التي تأثر بها من دون مراجعة في تفكير، بل حتى لو راجع في تفكير ورآه مخالفاً فهو يحاول أن يؤول الحق ليكون إلى جانب تصرف تلك الشخصية، وهذا النوع من التأثير والجاذبية يوقع الكثير من الناس في أن يعبد تلك الشخصية عملياً من دون الله بدلاً من الرجوع إلى الله بعقلية مجردة عن أي تأثير ليضع تلك الشخصية على ميزان الله لا أن يضع العكس.

٣- بعض الناس ينتمي إلى عمل جماعي وبنفس النظر إلى صحّة انتمائه أو خطئه ولكن عند استمرار العمل مع تلك المجموعة قد يتحوّل الإنسان إلى كتلة من الولاء من دون مراجعة فيما هو المطلوب إسلامياً، وبالتالي يكون كما ذكرنا في النقطة الثانية إذ تتحوّل عنده تلك المجموعة من الناحية العملية إلى صنم يعبد من دون الله سواء مرّ ذلك بشعور منه أو لم يمرّ.

س: ما هو المعنى المحتمل لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾؟

ج:

١- لأنّ المؤمنين يحبّون ذات الله لذاته.

٢- لأنّ المؤمنين أكثر معرفة بالله.

٣- لأنّ المؤمنين لا يتخذون أي واسطة لعبادة الله، بل يعبدونه مباشرة.

٤- لأنّ المؤمنين يلتزمون بأوامر الله وينهون أنفسهم عمّا نهاهم الله عنه.

٥- لأنّ المؤمنين لا يتأثرون بالشخصيّة أو بتلك المجموعة إلّا بقدر ما أمرهم الله به.

٦- لأنّ حب المؤمنين لله يسير في طريق العقل والكمال وموازنة العلاقة في

جميع جوانب الحياة حسب الميزان المرسوم من قبل الله على الأرض، فالذي

يسير حسب ما يراه الله هو معنى الأشدّ حباً لله.

س: أن الذي يتخذ أنداداً من دون الله لا يعرف الله وبالتالي يكون سالباً

بانتهاء موضوعه أي لا وجود لله في قلوبهم حتى يحبّونه، فكيف شبّه

الله بأن حبّهم للأنداد كحب الله؟ اذكر الاحتمالات في ذلك.

ج:

١- لم يكن كلّ الوثنيين لا يعرفون الله، فإنّ بعض الوثنيين يعرفون الله ولكن يتخذون

إليه الوسيلة في العبادة ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ (الزمر: ٣).

٢- قلنا: لم يكن معنى الأنداد من دون الله منحصراً بالوثنيين، بل يشمل الظالم كذلك.

٣- أن التشبيه (كحب الله) لم يكن منحصراً في ميل أنفسهم وقلوبهم، بل قد يكون التشبيه بحب الله هو الحب الواجب عليهم أو كحب المؤمنين لله أو ما هو الصادر من مقدار الحب من الله لهم.

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ



بِاللَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ؟

ج:

من المعروف أن الدنيا دار عمل وليست دار حساب، فرؤيا العذاب هو يوم القيامة وبعد الحساب، ذلك اليوم الذي يعرف كل إنسان نتيجة عمله، ومن جملة ما يعرضه القرآن ما سيحصل في ذلك اليوم لهذه الشريحة التي اتخذت الأنداد طمعاً أو خوفاً أو إمعةً أو اعتقاداً وغيرها من الأسباب، بأن الأمور التي كانت تجري في الدنيا كبيرها وصغيرها فهي لا تجري إلا بإذن الله وتحت نظره وقدرته إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل، فلا تأثير لتلك الشخصية أو لتلك المجموعة التي اتخذها الإنسان من دون الله مقابل مشيئة الله وإرادته، كما لا يعني ترك الله أمور الدنيا تجري ضمن أسبابها الطبيعية أنها منفصلة عن الإرادة الإلهية ومشيتها، وهذا ما يجب أن يؤمن به كل إنسان في الدنيا حتى يتحرك وهو يرى الأسباب غير مستقلة في وجودها وتأثيرها عن الله ومشيته، فهو يطمع أن يرزقه الله من خلال تلك الشخصية وأن

يطيع الله من خلال طاعة تلك الشخصية أو تلك المجموعة، والفارق كبير بين الدافعين والحركتين.

وهذا ما سيراه كل أحد من الناس يوم القيامة وما يزيد المؤمنين إلا فرحاً لإيمانهم الذي كان في الدنيا، حيث كانوا يرون شمولية قدرة الله في الدنيا والآخرة، وما تزيد هذه الرؤيا للذين ظلموا إلا عذاباً لعدم إيمانهم بذلك في الدنيا، بل انخدعوا بالأسباب الظاهرية واتخذوها سلماً للوصول إلى أهدافهم بصورة مستقلة عن الله وبالتالي هم ظلموا أنفسهم؛ لأنهم أوردوها العذاب الشديد وظلموا تلك الشخصية أو تلك المجموعة التي تأثروا بها وانتموا إليها عندما أعطوها بأكثر مما تستحق.

وبهذا نعرف أن أصل الاتباع وأن الإنسان يكون متبوعاً عملية صحيحة وصحيحة ولكنها في نفس الوقت دقيقة إلى ما تحمل الدقة من معنى؛ لأنها قد تؤدي بالتابع إلى الهاوية في الدنيا والآخرة وذلك عند عدم مراقبة الله في تبعيته فيحوّل الحب إلى حب ذات الشخصية أو المجموعة فيواليهما بدلاً عن الله ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَا﴾ (الأحزاب: ٦٧).

• الاتباع مسؤولية التابع والمتبوع

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾؟

ج:

أن القوانين التي تحكم طبيعة يوم القيامة مختلفة تماماً عن قوانين الحياة الدنيا وسنتها، فمن الطبيعي يكون من نتائج هذا الاختلاف أن يتقطع الواقع الذي كان يربط بين جزئيات الحياة وكياناتها سواء في الماديات أو في المعنويات، فلا الأرض

والسماوات كما هي التي كانت في الدنيا ولا الروابط الاجتماعية كما هي التي كانت في الدنيا، فلا سبب ولا نسب ولا مشاعر ولا عواطف ولا إيثار ولا مواساة، بل هو يوم الخلاص، وعلى هذا فمن الطبيعي عندما يجد الإنسان في كتابه الكثير من الخطوط الحمراء التي تقوده إلى النار أن يدافع عن نفسه وأن يكون مشغولاً بإنقاذها وأن يتبرأ من كل محاولة تحاول أن تثبت عليه الخطوط الحمراء، ذلك عندما يوجه التابعون التهم إلى المتبوعين كمحاولة منهم للتخلص من بعض الخطوط الحمراء التي تثبت عليهم ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا...﴾ (النحل: ١١١).

وبغض النظر عن صحة تبرؤ المتبوع أو خطأه؛ لأن موضوع الآية هو تسليط الضوء على التابعين ليكشف الدقة في أصل مسألة الاتباع التي يجب أن يلتفت الإنسان إليها ليسير في الصحيح منها ويحذر الوقوع في مهالكها، فإن في الاتباع يأخذ التابع من المتبوع الفكر ومنهجية العمل وأخلاقية السيرة واتخاذ الموقف وتحليل الأحداث وتقييم الشخصيات التي لا تنفك جلها عن العقيدة أصولاً أو فروعاً التي يتمسك بها التابع، فلا تنفك عن الحلال والحرام، ولا تنفك عن الأخطار الذي ينتجها الاتباع.

ومن كل ذلك نعلم أن التابع مسؤول عن تبعيته في يوم تتقطع فيه الأسباب والدوافع التي دفعته لأن يكون تابعاً ويرى فيه العذاب واقعاً يقيناً كما يرى الجنة واقعاً يقيناً بعد أن كان يتعامل معها معاملة الشاك بوجودها.

س: ما هي أقسام الاتباع؟

ج:

يقسم الاتباع إلى قسمين:

١- الاتِّباع الممدوح شرعاً، وهو اتِّباع رسالة الله ورسوله والأئمة الأطهار عليهم السلام أجمعين واتِّباع العلماء العاملين المخلصين المجاهدين في سبيل الله الذين يعيشون فكر الإسلام وهمومه وهموم المتمسكين به من المسلمين في كل أرجاء العالم، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران: ٣١)، ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (يس: ٢٠-٢١).

٢- الاتِّباع المذموم شرعاً، وهو اتِّباع هوى الظالمين، وقادة الفساد، وأهل الفكر الضال، وحركات البدع، وعلماء السوء الذين يدورون حول الدين حيث ما درّت معاشهم، قال تعالى: ﴿وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ (هود: ٥٩)، ﴿إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَاراً﴾ (نوح: ٢١).

مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

س: لماذا تجري عملية التبرؤ من المتبوع دون التابع مع أن الاثنين يسيرون في خط منحرف واحد؟

ج:

لأنَّ التابع هو الذي انجذب إلى متبوعه لجهة من الجهات وسبب من الأسباب، وهو الذي قطع كل حياته أو جزءاً منها في اتِّباعه لهذه الشخصية أو المؤسسة أو لتلك الأمة، كل ذلك حصل من التابع ولم يكن بأمر من المتبوع، بل التابع هو الذي ألزم نفسه باتِّباع عمل المتبوع وفكره، فعندما يرى يوم القيامة كتابه مملوءاً بالخطوط الحمراء على عمله في حال كونه تابِعاً وأنَّ هناك جزاءً مضاعفاً على معصيته لكون عمله منحرفاً وعلى اتِّباع المتبوع في عمله؛ لأنَّه اتِّباع منحرف،

فوقوعه بمعصية الاتباع المنحرف هي التي أوقعته بالمعصية، فهنا لا بد أن يحاول تخليص نفسه بالدفاع عنها وليس له إلا بقذف اللوم على المتبوع وتوجيه الاتهام ضده من أنه هو الذي غرنا وهو الذي دعانا وهو الذي نظر لنا وهو الذي ادعى أن يخلصنا وهو ... وهو ...

هذا بالإضافة إلى أن المتبوع يرى الجزاء المضعف على عمله السيئ، بل يجد في كتابه ما لا يفعله وكل ذلك نتيجة ضلاله وإضلاله للغير، وعليه يكون من الطبيعي أن المتبوع هو الذي تصدر منه عملية التبرؤ من تابعه وليس العكس؛ لصيحة التابعين عليه ولصيحته على نفسه لما يرى من آثار أعمال الغير قد جاءت عليه.

نعم، لم يبق أمام التابعين إلا التمني المستحيل عندما يرون أنفسهم هم الذين صنعوا المتبوع باتباعهم إليه، فيتمنون رجوعهم إلى الدنيا لتصدر منهم عملية التبرؤ من هؤلاء المتبوعين كما تبرؤوا منهم في هذا الموقف العظيم ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرِكُهُ لَكُنَّا كَرَّةً فَنَتَّبَرَأُ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَأُوا مِنَّا﴾.

س: ما هي المقومات التي يجب أن تتوفر في شخصية الإنسان المسلم ليحرز سلامة اتباعه في يوم الآخرة؟

ج:

- ١- الوعي والتفكير والفهم المركز للعقيدة الإسلامية، فإن كثيراً من الأتباع الذين نشاهدهم يتبعون المتبوع بدافع مادي أو عاطفي أو لشبهة في فكرة أو ضغط من شيء ما، ومثل هذه الدوافع توقع الإنسان في الباطل ومهالك الدنيا والآخرة.
- ٢- الدراسة العميقة من قبل التابع لمتبوعه في مدى انسجامه مع كل وحدات الدين الإسلامي ومدى تفاعله وإخلاصه وتطبيقاته لها.

- ٣- المراقبة المستمرة من قبل التابع للمتبوع من حيث انطباق ما يصدر عنه على وحدات الدين وعدم انحرافه عنها أثناء حركته وعمله المستمر معه.
- ٤- عدم خضوع التابع إلى الألفة أو التطبع أو الرضا أو الإيمعة أو التعود على الصنمية مع كل ما يصدر من المتبوع، بل من المفروض في كل ما يشك فيه بوجود الخلاف للدين لا بد أن يرد أو يناقش أو يسأل عنه حتى يحصل على اليقين بعدم الخلاف ضمن الأسس الشرعية، وإلا فليترك التابع المتبوع مهما كان، فإن الله لا يطاع من حيث يعصى.

س: كيف تحصل عملية التبرؤ من قبل المتبوع عن تابعيه؟

ج:

- ١- بقول المتبوع، ذلك حينما يحاول أن يدافع عن نفسه عند توجيه التهم من قبل التابعين إليه وقذف اللوم عليه ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ (العنكبوت: ٢٥).
- ٢- مقام حال المتبوع، ذلك عندما يرى التابعون أن القدرة لله جميعاً وما حال المتبوعين إلا كأحد الناس الواقفين للحساب لا ميزة لهم تميزهم عن غيرهم من الضعف والحاجة والخوف والخشوع من أهوال ذلك اليوم والخزي الذي يلحق بهم والندم الصارخ الذي يصدر منهم باعتبارهم السادة والرؤوس التي خطت للأتباع طريق التبعية، فلسان حال وجودهم بهذا الشكل يكشف عن تبرئهم عن كل دعوى كانوا يدعونها في الدنيا والتي لا تزيدهم إلا هلاكاً ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (الزخرف: ٦٧).

س: إلى مَنْ التشبيه في اسم الإشارة (كذلك) في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ﴾؟

ج:

- ١- كتبرؤ بعضهم من بعض يريهم الله أعمالهم حسرات.
- ٢- كما يريهم الله العذاب يريهم أعمالهم حسرات.
- ٣- كما أسروا الندامة في أتباعهم في الدنيا يريهم الله أعمالهم حسرات في الآخرة.
- ٤- كما شاهدوا عند الحساب بعدم نفع المتبوع لهم يريهم الله أعمالهم حسرات.
- ٥- كما لم يضعوا الله والمعاد في حساباتهم في الدنيا ولم يراقبوا رضوانه يريهم الله أعمالهم حسرات.



٦- كما يريهم استحالة الرجوع والكرّة إلى الدنيا فيكون حسرة عليهم يريهم أعمالهم حسرات.

مركز تحقيقات كميّات علوم إسلامي

٧- كما كانت الفرحة تملأ نفوسهم في أتباعهم في الدنيا وحصلوا على حطامها كذلك اليوم، فإنّ قلوبهم ونفوسهم مملوءة ولكن من الحسرات والعذاب.

س: ما هي المحتملات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ﴾؟

ج:

أولاً: أن تكون الرؤية في أثناء الحساب، فهنا نقول:

- ١- إذا كانت أعمالهم هي الطاعات التي عملوها والتي لا يخلو إنسان منها في حياته نتيجة إنسانيته ومعايشته مع الناس، فإنّه تنبثق منه بعض الأعمال الصالحة، فهنا سوف يريهم الله أنه لا ترتب للثواب على ما قدّموه من هذا النوع من العمل؛

لأنها صدرت من غير قصد رضا الله ومراقبته والتقرب إليه، فهم سوف يرون مقدار الثواب العظيم الذي ترتب على أعمالهم لو كانت صادرة عن إيمان بالله وقصد القربة إليه، وسوف يرون دور الثواب في تخليص الإنسان من عذاب الله ومقدار النعيم الذي ترتب عليه، فهم سوف يعيشون الندم الكبير على ما فاتهم ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ سَيْتًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (النور: ٣٩)، ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ (الأنعام: ٣١).

٢- إذا كانت أعمالهم هي المعاصي والذنوب التي عملوها نتيجة اتباعهم وكانوا يفرحون باقترافها ويكونون بأعلى درجات السرور عندما ينتمي إليهم إنسان ويوسع دائرة الفساد عليهم، يتعاملون بالدنيا وكأنه لا جنة ولا نار ولا حساب، فعندما يرون يوم الحساب وما رتبته الله على أعمالهم هذه من الجزاء والعذاب سوف يعيشون حالة الحسرة والندامة الشديدة على ما فرطوا وخرقوا الموازين الإلهية حيث لا ينفع الندم ولا ما هو أشد منه ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ (يونس: ٥٤)، ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ (الزمر: ٥٦).

ثانياً: أن تكون الرؤية وهم في النار، فهنا يكون العذاب متكوّناً من شقين:

- ١- العذاب المتوجّه إلى البدن عن طريق النار.
- ٢- العذاب النفسي وهم يعيشون الحسرة والندامة على ما قدموه ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (سبا: ٣٣)، ﴿وَأَنْذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ (مريم: ٣٩)، وإن هذه الندامة أو تلك الحسرة جاءت

في وقت لا تنفع صاحبها شيئاً فلا تتغير من حكم الخلود في النار الذي قضى عليهم من قبل الله ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾.

س: ما هو الفرق بين الندامة والحسرة؟

ج:

١- الحسرة هي ندامة وزيادة في شدتها.

٢- الندامة يمكن إخفاؤها في الصدور وإذا ظهرت كانت حسرة.

س: لماذا عبّر الله بصيغة الجمع (حسرات) ولم يعبر بالمفرد (حسرة) مع أنّ حالة الحسرة هي واحدة؟ اذكر الاحتمالات في ذلك.

ج:

١- أنّ التعدّد قد يكون بتعدد الأعمال فلكلّ معصية حسرة، ولكلّ ما فات عليهم من ثواب الأعمال حسرة.

مركز تحقيقات كميونر علوم إسلامي

٢- أنّ التعدّد قد يكون بتعدد الصدمات التي يلاقونها من عدم إمكان رجوعهم إلى الدنيا، ومن براءة المتبوع عنهم، ومن جوء الحساب وحقيقته الذي كانوا يتعاملون معه بلامبالاة، ومن رؤيتهم للعذاب وغيرها من الأمور التي وجدوها على غير توقّعاتهم.

٣- أنّ التعدّد قد يكون ناظراً إلى حالتهم النفسيّة الطبيعيّة المستمرّة باعتبارهم من أهل النار، فهم كما يعيشون العذاب البدني يعيشون العذاب الروحي من الحسرات الدائمة بدوام وجودهم في النار.

٤- قد يتصوّر الإنسان البساطة عندما تأتي الكلمة مفردة (حسرة) ولفترة زمنيّة مؤقتة ثمّ تنتهي، ولكن جاءت بصيغة الجمع (حسرات) ليملاً عمق الألم في

تصوّر الإنسان عندما يسمع بهذا الجمع من الحشرات، فهي لم تكن حالة عابرة بل تبقى مستمرة ومتعدّدة، وهذا ما لا يتحمّله أحد من الناس فتؤثر أثرها التربوي في الردع عن الاتّباع المذموم.



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم إسلامي

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ • إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ • وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَوْكَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (البقرة: ١٦٨-١٧٠)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيات؟

ج:

- ١- الأكل: هو البلع عن مضغ.
- ٢- الحلال: ما يرفع عنه عقدة المنع والحظر لمن يجوز عليه الحظر والمنع.
- ٣- الطيب: ١- ما يستلذ به في العاجل أو الآجل. ٢- الملائم للمحل.
- ٤- الخطوة: بُعد ما بين قدمي الماشي.
- ٥- السوء: ١- كل قبيح زجر عنه العقل أو الشرع. ٢- كل شيء تنفر عنه النفس.
- ٦- الفحشاء: ١- من تجاوز وكثر في السوء. ٢- كل ما لا يوافق الحق.
- ٧- ألفينا: من الألفة والاستئناس والتطبع.

س: ما هي المحتملات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ • إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ﴾؟

ج:

- ١- عندما خلق الله الكون والحياة وما فيها من العناصر كلها لأجل خدمة الإنسان

وديمومة حياته المحدودة على الأرض، والتصريح الذي ورد في الآية يؤكد هذه الحقيقة بأن كل شيء في الكون هو مباح استخدامه من الأخذ والأكل للإنسان.

٢- أن هذا التصريح يؤكد على أن الله كريم وجواد وأن يديه مبسوطتان كل البسط للناس، فهو خلق كل شيء لأجلهم ثم يدعوهم بين الآونة والأخرى إلى أن يستثمروا عناصر الكون والحياة بكل ما أوتوا من قوة، فهو لم يبخل عليهم في شيء، وحاشا الله أن يكون كالذي يعمل ويكدح ويربح الكثير من أجل عياله ولكن بالنتيجة يبخل عليهم في الصرف والمأكل والملبس والمسكن، بل الله يدعو ويالحاح على الإنسان في أن يأكل ممّا في الأرض؛ لأنها خلقت لأجله ومن واسع رحمته ولطيف كرمه وجوده، فالأصل لحياة الإنسان في الإسلام هو اللذة والسرور لا البؤس والألم.

٣- أن هذا التصريح يدعو إلى استخدام عناصر الكون والحياة ولكنه مشروط بشرط العدالة والحكمة والذوق السليم من دون تبذير ومخالفة؛ لأنّ التجاوز في الأخذ والأكل في غير محله لم يكن طيباً وملائماً للمحل، بل فيه الضرر الذي يبعد ذلك العنصر عن كونه حلالاً وممّاً يوجب الحذر العقلي والشرعي عند تناوله وأكله بهذه الصورة، فاستخدام العناصر بهذه الصورة من الإفراط أو التفريط يعدّ خطوة من خطوات الشيطان لما فيه الضرر الكثير على الإنسان، وإنّ اتباع أيّ خطوة من خطوات الشيطان لا يحصل عليه المتبع إلا الضرر والسوء والفحشاء لانحصار نتائج عمله في ذلك، كمن يأكل ما يزيد على الحاجة باتباع الشهوة، ويأخذ ما يزيد عن حاجته أنانيّة وحرصاً، وكلّ من زيادة الشهوة والأنانية

والحرص وغيرها تعدّ خطوة من خطوات الشيطان لما فيه الهلكة.

٤- لم يكن الأكل على الأرض واستخدام عناصر الكون يمرّ برغد من العيش ومن دون منغصات، وهذه هي سنّة الحياة التي يختلف الأكل فيها عن الأكل في الجنة، ومن جملة المنغصات هي وجود الشيطان الذي يعرقل مسير الإنسان نحو الحلال والطيب من الأكل، فهو يدعو الإنسان إلى استعمال السوء وأخذه وأكله وإلى كلّ ما لا يجعل الشرع فيه لذة، ولم يتركه عند هذا الحدّ بل يتبعه بخطوات ليستدرجه إلى أن يزيد في استعمال السوء والتعدي ليوقعه في أدنى درجات الفحشاء ليستقطه فيما فيه الضرر والمهالك التي يصل عندها الإنسان فتجعله لا يعرف من الحياة إلاّ النهب والسلب والتعدي والأنانية ولا موقع لعقيدة وإيمان في قلبه ولا حساب لمعاد ولا رجوع إلى الله، فعند ذلك يشعر الشيطان بالراحة ويترك الإنسان ليؤدّي دوره في الحياة بالسوء والفحشاء بما يزيد على الشيطان سوءاً، وقيام الشيطان بهذا الدور مع الإنسان علته واضحة لكلّ أحد، وهو أنّ الشيطان عدوّ واضح للإنسان، وما على الإنسان إلاّ أن يتخذ عدوّاً في أيّ تحرك يرى الشيطان فيه.

٥- أنّ الأكل لا يكون حلالاً طيباً إلاّ إذا كان منسجماً مع متطلبات العقيدة والإيمان التي تؤثر أثرها في زيادة الخير، ويجعل الخير يحمل لذته الأصلية فيكون طيباً من الأكل عند تناوله، ويزيده الكثير الكثير ممّا نعلمه وممّا لا نعلمه عندما يرى الله أنّ خيره يصرف في طريقه المرسوم الذي رسمه للناس، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنَ رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ (المائدة: ٦٦).

ورد عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام في تفسير هذه الآية أنه قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ» من أنواع ثمارها وأطعمتها ﴿حَلَالاً طَيِّباً﴾ لكم إذا أطعمتم ربكم في تعظيم من عظمه، والاستخفاف بمن أهانه وصغره ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ ما يخطو بكم إليه، ويفرّكم به من مخالفة من جعله الله رسولاً أفضل المرسلين، وأمره ينصب من جعله الله أفضل الوصيين، وسائر من جعل خلفائه وأوليائه ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ يبين لكم العداوة، ويأمركم إلى مخالفة أفضل النبيين ومعاندة أشرف الوصيين»^(١).

٦- أن هذا التصريح يدعو الإنسان لأن يسلك طريق الحلال في الكسب ليكون نتاجه طيباً، لأن الكسب الحلال مقدّمة للأكل الطيب.

٧- لا بأس بأن يمتنع الإنسان عن تناول بعض الحلال الطيب من الأطعمة، ولكن المحذور في أن يربط هذا المنع وينسبه إلى الشارع، والشارع يبت بحرمته ومنعه، فإن من يفعل ذلك فهو أتباع لخطوات الشيطان وبهتان على الله.

س: ما هو المعنى الشرعي للحلال الطيب؟

ج:

هو ما يجوز تناوله شرعاً فلا أثر للعقاب عند تناوله، فيشمل الواجب والمستحب والمباح من الأحكام الشرعية، ولا يشمل المكروه، لأن المكروه وإن كانت فيه رخصة في تناول إلا أنه لم يكن حلالاً في الأصل ولوجود ملاك المبعوضة الإلهية فيه فلا يكون طيباً.

س: ما هو المعنى الشرعي للإباحة؟

ج:

- ١- المعنى الأخص للإباحة: هي ما تساوى فيه الفعل والترك في نظر المولى سبحانه، فلا أثر للثواب والعقاب في فعل المباح.
- ٢- المعنى الأعم للإباحة: هي ما يطلق على كل شيء فيه الترخيص في ارتكابه من قبل الله، فيشمل كلاً من المستحب والمكروه والإباحة بمعنى الأخص؛ لوجود الترخيص في الجميع، وهنا يوجد ترتب الأثر من الثواب أو توجيه اللوم عند ارتكاب بعض أفرادها كالمستحب والمكروه.

س: إذا كانت الإباحة ما يتساوى فيها الفعل والترك عند الله ولم يترتب عليها ثواب ولا عقاب، فلماذا جعلت الإباحة قسماً من أقسام الحكم الشرعي؟ اذكر المحتملات في ذلك.

مرکز تحقیقات وپوز علوم اسلامی

ج:

- ١- لأنه كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «ما من شيء إلا وفيه كتاب أو سنة»^(١) وعليه لا بد من جعل المباحات من الأحكام الشرعية لأنها من الأشياء.
- ٢- أن وجود مثل هذا الحكم أمر ضروري؛ لأنه من الأشياء التي لا يوجد دليل على وجوبه ولا على حرمة ولا على استحبابه ولا على كراهيته فأين نضع الحكم الشرعي لمثل هذه الأشياء التي لم يثبت لها شيء من الأحكام الشرعية؟ فلا بد من وجود حالة خامسة تسد الفراغ وتعطي حرية الحركة للإنسان عندما يجعل الإباحة هي الأساس في تعامله مع الأشياء حتى يأتي الدليل المضاد.

٣- أن المكلف بإمكانه أن يجعل المباح حكماً شرعياً يرتب الله عليه الأثر من الثواب بعنوانه الثانوي، فيكون واجباً إذا تعلق به نذر أو يعين، ويكون مستحباً إذا قرن الفعل المباح بنية القربة إلى الله تعالى، وأن يتعامل مع المباح على أنه وسيلة لتقوية الجوانح والجوارح ليصل إلى الغاية منه وهي التقوية لعبادة الله والسعي لطاعته، وبهذا النوع من النية والدافع يرتب الله عليه الثواب وإن كان في الأصل مباح، وعليه يكون المباح صورة من صور رحمته سبحانه وتعالى للعباد بأن يدخلوها من أبسط أبوابها وذلك من خلال فعل المباح.

س: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ﴾ هل يراد من الأمر هنا هو الأمر الحقيقي الذي يصدر من العالِي إلى الداني؟ اذكر المحتملات في ذلك.

ج:

١- أن يكون المراد من ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ أي يدعوكم لما فيه السوء والفحشاء عن طريق الوسوسة.

٢- أن يكون المراد من ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ هو المعنى الحقيقي وهو الطلب من العالِي إلى الداني ذلك عندما يستسلم الإنسان استسلاماً كلياً للشيطان، فيكون للشيطان عند ذلك سلطاناً عليه يوجهه عن طريق الوسوسة حيث شاء ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ (النحل: ١٠٠).

س: ما هي المحتملات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾؟

ج:

١- أنها خطوة من خطوات الشيطان التي تجري على الإنسان في الموارد التي يبدي

الإنسان فيها رأيه وهو لا يعلم أساس هذا الرأي ولا يعرف ما يحيط به من الظروف والإشكاليات التي توقعه في العسر والحرَج التي لا يريد الله أن يوقع الإنسان نفسه في مثل هذه المواقع، فسقوط الإنسان نفسه في مثل هذه المواقع هو سقوط فيما لا يرضاه الله.

٢- أن هذا التصريح المذكور ينظم آله اللسان من أن يتلفظ صاحبه بأمر لا يعلم بها، فهي دعوة إلى القول بعلم ودراية حتى يتخلص من إشكاليات الدنيا والآخرة.

٣- أنها دعوة لردع الذين يفتنون الناس ويرسمون لهم منهجاً حياتياً وبرنامجاً عقائدياً من دون الاعتماد على دليل أو حجة، أو يوجد دليل وحجة ولكن فيهما الكثير من الضعف وعدم الإحاطة والاستسهال في الطرح، فيكون مرجعها أن يقولوا على الله ما لا يعلمون.

٤- أنها دعوة لردع الذين يتهمون الرسول ﷺ والمؤمنين بغير علم وإحاطة بهم والسماع منهم، وبالتالي يكون القول عليهم هو قول على الله.

٥- أنها دعوة لردع الذين يبحثون في ذات الله وصفاته ثم يخرجون بنتائج سلبية كتجسيم الله أو يفصلون بعض الصفات عن الذات أو يجعلونها بما لا تنسجم مع الذات الإلهية نتيجة جهل بوجه من الوجوه، فتكون النتيجة أن يقولوا على الله ما لا يعلمون.

٦- أنها دعوة لردع الذين يقولون: هذا حرام وهذا حلال من دون علم ومراجعة إلى دليل، بل بما تُملي عليهم نفوسهم ومزاجهم فيكون أحد مصاديق الذين يقولون على الله ما لا يعلمون، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام عندما سئل عن حق الله

تعالى على العباد أنه قال: «أن يقولوا ما يعلمون، ويقفوا عند ما لا يعلمون»^(١).

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَوْكَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾؟

ج:

١- يعدّ الله في هذا التقرير المذكور في الآية أن تقليد الآباء في الأمور الشرعية خطوة من خطوات الشيطان؛ لأنهم لم يكونوا ممن يراجعون الشريعة ولم يكونوا من أصحاب الاختصاص، وبالتالي هم يخطؤون كثيراً، فيكون البعد عن المراد الشرعي هي النتيجة الطبيعية التي يحصلون عليها.

٢- البقاء على الماضي الذي صار نتيجة الألفة والعادة ومن دون مشاركة عقلية ومن دون تفتيش وفحص وتدقيق لشخصية الماضي وما أنتجه، يعدّ الله خطوة من خطوات الشيطان؛ لأنه تجميد للعقل ومنع من السير نحو التكامل.

٣- لا قيمة للألفة والأدب الموروث إذا تعارض مع حكم شرعي وأنها خطوة واضحة من خطوات الشيطان، وتجد هذا النوع من الأدب الموروث واضحاً في بعض المجتمعات الإسلامية القروية والعشائرية الذين يقلّدون في أمور دنياهم وما له مساس بالحكم الشرعي بيد شيخ العشيرة.

٤- أن البقاء على التقليد السلبي والألفة والتطبع به من غير مراجعة يعدّ حالة خطيرة، وتكمن خطورتها في صعوبة التخلّي عنها عند اكتشافها بأنها مخالفة للشرع، بل يحاول أن يوطّرها بإطار آخر سواء كان ذلك التأطر يمرّ عن طريق الشرع أو

عن غيره ليحاول من خلاله البقاء على ما كان عليه حتى يبتعد عن اكتشاف الخطأ الذي قضى مدة من عمره وهو سائر عليه.

٥- أن الموروث يكون حسناً فيما إذا كان لشخصيات أو لفكر تسبق الزمن حتى الاستقبالي كشخصية الرسول ﷺ والأئمة الأطهار عليهم السلام وكالفكر والشرع الإسلامي، فلا خطأ في الشخصية ولا في الفكر، لا ماضياً ولا حاضراً ولا مستقبلاً، وبهذا تكون الألفة والأخذ منهم يعدّ أكمل الطرق وأتمها عقلاً وشرعاً؛ لأنه أخذ ممّا أنزله الله الذي هو فوق العقل وفوق كلّ طريق لا تمتّ إليه سبحانه وتعالى بصلة، ولا يعني الأخذ منهم أي كلّ ما ورد عنهم، وإنما يجب المراقبة لما يدسّ فيه من الواضعين الذين يدخلون سموم وضعهم في الأحاديث.



مركز تحقيقات کامپوٹر علوم اسلامی

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً
صُمُّ بَكُمْ عُمِّي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: ١٧١)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:

١- ينعق: الصياح للزجر.

٢- الدعاء: ١- هو نداء ولكنّه للقريب. ٢- طلب الفعل من المدعو ولا يشترط فيه العلو لاختلافه مع معنى الأمر بهذا اللحاظ.

٣- النداء: هو دعاء ولكنّه للبعيد وبصوت عالٍ.

س: اذكر المحتملات التي ترد في المثل الذي يضربه الله في هذه الآية

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ
بَكُمْ عُمِّي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾؟

ج:

١- أن مثل المؤمنين الذين يدعون الكفار إلى الحق كراعي الغنم الذي يدعو غنمه

للسير أو الوقوف أو الرجوع، فإن الغنم لا يفهمون ما يقوله الراعي ولكن

يسمعون منه صوتاً فقط فيستجيبون له حسب إرادته بعد تمرين طويل للغنم،

فهنا شبه الله الكفار بالأنعام، ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ

إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (الفرقان: ٤٤).

٢- أن مثل الكفار في دعائهم لغير الله كمثل من ينعق ويصيح وهو بين الجبال فلا

يجد إلا صدى صوته يرجع إليه، ولجهله يظن أن أحداً يدعو، فتكون النتيجة

أَنَّ الله مَثَلُ دَعْوَةِ الْكُفَّارِ لغيره كَمَنْ يَنْعِقُ فَلَا مَسْتَجِيبَ إِلَّا صِدَاةٌ؛ لِأَنَّ الدَّعْوَةَ لغيرِ الله سِوَاهُ كَانَتْ الْأَصْنَامُ أَوْ غَيْرَهَا فَهَمْ لَا يَمْتَلِكُونَ تَدْبِيرَ الْأُمُورِ وَلَمْ يَتِمَكَّنُوا مِنْ صَنْعِ شَيْءٍ مَقَابِلَ مَشِيئَةِ اللَّهِ، وَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الصُّورَةُ غَيْرَ وَاضِحَةٍ فِي الدُّنْيَا نَتِيجَةٌ لِتَوَسُّطِ الْأَسْبَابِ فِيهَا فَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ سَتَكُونُ وَاضِحَةً حَيْثُ الْكُفَّارُ سَيَنْعِقُونَ بِأَعْلَى أَصْوَاتِهِمْ وَيَسْتَفِيثُونَ فَلَا يَفَاثُونَ وَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مَنْ يَصْنَعِي إِلَيْهِمْ إِلَّا صَدَى أَصْوَاتِهِمْ.

٣- أَنَّ دَعْوَةَ الْكَافِرِينَ لِلنَّاسِ لِيَصَدَّقُوهُمْ حَتَّى يَسِيرُوا عَلَى سِيرِهِمْ لَمْ تَكُنْ دَعْوَةً مَتَّصِلَةً بِالسَّمَاءِ وَلَمْ تَكُنْ قَدْ بَنِيَتْ عَلَى أُسَاسٍ مَتِينٍ وَلَمْ تَرُدْفِ بِأَدَلَّةٍ عَقْلِيَّةٍ وَلَمْ تَكُنْ تَتَمَاشَى مَعَ فِطْرَةِ الْإِنْسَانِ، وَبِالتَّالِيِ لَمْ تَسْتَجِبْ لَهَا إِنْسَانِيَّةَ الْإِنْسَانِ، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ دَعْوَةَ الْكَافِرِينَ وَإِنْ تَنْجِحَ فِي مَوْقِعٍ مِنْ مَوَاقِعِ الْحَيَاةِ بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْآخِرِ نَتِيجَةٌ مَا تَمْتَلِكُهُ مِنْ وَسَائِلِ الْإِرْهَابِ وَالْقُوَّةِ إِلَّا أَنَّهَا لَا تَتْرِكُ أَيَّ أَثَرٍ فِي قِنَاعَةِ عَقْلِ الْإِنْسَانِ وَعَوَاطِفِ قَلْبِهِ إِلَيْهِمْ، وَلِهَذَا فَهَمْ مَهْمَا خَطَّطُوا وَمَهْمَا نَظَرُوا لِمَسِيرِ الْإِنْسَانِ وَمَهْمَا نَعَقُوا فَإِنَّهُمْ لَا يَمْتَلِكُونَ وِلَاةَ النَّاسِ لَهُمْ؛ لِأَنَّ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ لَمْ يَكُنْ نَابِعاً مِنَ السَّمَاءِ الَّتِي هِيَ أَعْرَفُ مِنْ غَيْرِهَا بِمَا يَحْتَاجُهُ الْإِنْسَانُ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ كِرَاعِي الْغَنَمِ الَّذِي لَا يَعْرِفُ حَقِيقَةَ الْغَنَمِ وَلَا يَفْهَمُ لَغَتَهَا وَبِالتَّالِيِ لَمْ يَكُنْ أَمَامَهُ إِلَّا النِّعِقُ وَلِغَةِ السُّوْطِ وَلَمْ يَحْصُلْ إِلَّا عَلَى شَكْلِ الْإِسْتِجَابَةِ وَنِدَائَاتِ التَّأْيِيدِ، فَلَوْ رَفَعَ الْكَافِرُونَ الْإِرْهَابَ عَنِ النَّاسِ وَتَرَكَوهُمْ لِلْعَقْلِ وَالْبِرْهَانِ وَالْحَوَارِ فَلَا تَجِدُ لَهُمْ مُؤَيِّدًا وَمُنَاصِرًا، وَإِنَّ الَّذِي كَانُوا يَتَصَوَّرُونَهُ مِنْ تَأْيِيدِ النَّاسِ لَهُمْ مَا هُوَ إِلَّا دَعَاءٌ وَنِدَاءٌ جَرَّهْمُ السُّوْطِ وَالْإِرْهَابِ وَالسُّلْطَةَ إِلَيْهِ.

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿صُمُّ بَكُمْ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾؟

ج:

لا شك ولا شبهة من أن هذا المقطع من الآية هو يمثل حقيقة الكافرين سواء كانوا داعين للكفر أو مدعويين للحق، فهم في الحالتين يصرون على الانحراف وعدم الاستجابة للحق، فهم وإن كانوا يمتلكون الإدراك بامتلاك آياته من السمع والنطق والبصر إلا أنهم يغلقونها أمام الحق وبالتالي لا يعقلونه. فإذن هذا المقطع أمّا أن يكون كاشفاً عن السبب للحالة التي هم عليها والتي ضرب الله بها المثل، وإمّا أن يكون هذا المقطع مثالاً آخر وهو المثل الثابت الذي يكشف عن حقيقتهم الثابتة التي لا تتغير والتي يمثلهم بها الله في أكثر من آية.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۗ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَن اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (البقرة: ١٧٢-١٧٣)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيتين؟

ج:

- ١- الحرمة: المنع سواء كان تكليفاً أو تكوينياً.
- ٢- الميتة: من الحيوان ما انفصلت نفسه عن جسده حتف أنفه.
- ٣- الدَّم: السائل المعروف.
- ٤- اللحم: اللزوم، فإن أجزاء اللحم يلزم بعضها بعضاً.
- ٥- الخنزير: الحيوان المعروف.
- ٦- أُهْلَ: رفع الصوت، فإهلال الذبيحة رفع الصوت بالتسمية.
- ٧- الاضطرار: كل فعل لا يمكن الامتناع عنه.
- ٨- البغي: ميل النفس إلى شيء مع الطلب.
- ٩- العاد: المعتدي.

س: ما هي المحتملات التي ترد في الربط بين العبادة والشكر في قوله

تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾؟

ج:

- ١- أن الخطاب موجه إلى خصوص المؤمنين الذين لا يعبدون إلا إياه سبحانه، فهم

قد تجاوزوا مرحلة ضرورة العبادة والتعبّد إليه، فهو سبحانه وتعالى يدعوهم إلى مرحلة الشكر التي هي أعلى من مرحلة العبادة.

٢- أنّ العبادة هي الطاعة العملية لله، وأنّ أرقى أنواع الشكر هي الطاعة العملية لله، فكلّ من عبده الله مخلصاً له الدين فقد شكره.

٣- أنّ الضرورة العلمية التي دعتكم وأوجبت عليكم أن تحضروا العبادة إليه هي بنفسها تستدعي وتوجب حصر الشكر إليه، لأنّه خالق النعم ومعطيها وموصلها إليكم، وأنّ غيره من المعطي المباشر ما هو إلا واسطة في إيصال نعم الله لا علة في الوصول.

٤- أنّ الضرورة العلمية التي دعتكم لأن تخلصوا بعبادتكم إليه رافضين كلّ أنواع الشرك الخفي في عبادته، هي نفس الضرورة تدعوكم لأن يكون شكركم خالصاً له من دون دخل للغير في شكره، وهذا لا يعني أنّك لا تشكر الغير، فإنّ «من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق» كما ورد ذلك في الحديث، ولكن شكر المخلوق باعتباره الموصل للحق وواسطة في النقل لا سبباً وعلّة تامة للوصول، فالموصل للنعم هو الله بواسطة المخلوق، فالمطلوب بالذات هو شكر الله وشكر المخلوق مطلوب بالعرض، وكلّه شكر لله مادام الكلّ مأموراً به من قبل الله.

٥- أنّ من لوازم العبادة لله هي الشكر لله، لأنّ من الدوافع المهمّة التي تدفع العابد لعبادته هو كون صدور النعمة التي أنعمها الله عليه وعلى الناس أجمعين كانت منه سبحانه، فمن جملة الأشياء التي تسبق العبادة هو اعتقاد العابد بأنّ كلّ النعم محصورة منه ومصدرها هو سبحانه فلا تتمّ العبادة الخالصة إلا بالشكر إليه.

س: ما هي المحتملات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ﴾؟

ج:

١- أن هذا الخطاب جاء بعد ذكر الطيبات التي جعلها الله مباحة لكل الناس، وأن الإباحة بعنوانها الأولي ليس لها أثر شرعي من ترتب الثواب ؛ لأنه سنة الحياة للناس في قضاء حاجاتهم قائمة على تناول المباحات التي جعلها الله للناس من باب رحمته العامة، فلم يكن تناولها مظهراً من مظاهر طاعته. نعم، عندما يتعلق بالشيء الحكم الشرعي الذي يحتاج في امتثاله القرب إلى الله من فعلٍ أو تركٍ فهذا يكون الفعل أو الترك لذلك الشيء مظهراً من مظاهر العبادة والإيمان بالله، فالإباحة بمعناها الأخص يشترك فيها الكافر والمؤمن لأن الكل يتناول منها للضرورة القائمة عليها سنة الحياة كما قلنا، فمن جملة الأحكام التي تميّز المؤمن عن غيره هي الحرمة، فإن المؤمن ينتزج عنها لكونها مبغوضة لله ومنهياً عنها من قبله سبحانه فيتركها امتثالاً له، وهذا النوع من الترك للحرمة يختص به المؤمنون دون غيرهم، ولهذا جعل خطاب الحرمة موجّهاً للمؤمنين.

٢- لا قياس بين ما أحله الله من النعم وما حرّمه من النعم على الإنسان، فإنّ الحلال من النعم لا يعدّ ولا يحصى بينما الذي حرّمه الله يعدّ شيئاً قليلاً وبالإمكان إحصاؤه، ولهذا أخذ الله يعدّد بعض أمثلة المحرّم، وواضح أنّ هذا العدد من المباح للإنسان مع هذا العدد المحرّم عليه يعكس باب رحمته الواسعة ولطفه بعباده ولطيف كرمه وجوده.

٣- أنّ تحريم النماذج المذكورة من قبل الله لا تكون محرّمة من جميع الجهات، بل هي محرّمة من جهة واحدة وهي تناولها للأكل فقط بجميع أجزائها، وذكر لحم

الخنزير دون كُله المحرّم كبقية ما ذكره إمّا من باب أنّ اللحم هو المقصود الغالب من تناول الخنزير، وإمّا أن يكون إشارة إلى كثرة الضرر التي تكمن في لحمه نسبة إلى بقية أجزائه كما اكتشف العلم الحديث ذلك.

٤- أنّ علّة تحريم مثل هذه النماذج لعلمه سبحانه بضررها عند الأكل على بدن الإنسان وروحه التي يخفى على الإنسان أن يكتشفه بسرعة لأنّه خفيّ، فعلى الرغم من التطور العلمي فإنّه لم يكتشف من ضرره إلاّ الشيء القليل، وحرم الله مثل هذه النماذج امتحاناً منه لطاعة عباده ليميّز الشاكرين عن غيرهم.

ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «... إن الله تبارك وتعالى لم يحرم ذلك على عباده وأحلّ لهم ما سوى ذلك من رغبة فيما أحلّ لهم، ولا زهد فيما حرّم عليهم، ولكنّه عزّ وجلّ خلق الخلق فعلم ما يقوم به أبدانهم وما يصلحهم فأحلّ لهم وأباحه، وعلم ما يضرّهم فنهاهم عنه وحرّمه عليهم...»^(١).

٥- أنّ هذا النموذج من المحرّم مختصّ بأكل هذه المأكولات مراعاة لسياق الآيات السابقة التي ذكرت رزق الله لمأكول الإنسان من الحلال الطيب ممّا في الأرض.

س: اذكر المحتملات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلٌ بِهِ لغيرِ الله﴾.

ج:

١- وهو أن يكون المذبوح الذي لم يُذكر عليه اسم الله من قبل الإنسان المسلم، أي لم يكن ذبوحاً شرعياً.

٢- وهو أن يكون المذبوح قد ذبح لجهة ودافع غير الله، كما لو ذبحت الذبائح

(١) علل الشرائع ٢: ٤٨٣/١.

للأصنام أو لأي معتقد لا يمتّ إلى الله بصِلّة.

٣- وهو أن يكون المذبوح قد ذبح على أيدي لا تمثل الله بأيّ جهة حتّى لو ذكر اسم الله عليه، كما لو كان الذابح كافراً بالله.

س: ما هي المحتملات في حكمة تحريم ﴿وَمَا أَهْلٌ بِهِ لِيُغَيَّرِ اللَّهُ﴾؟

ج:

١- أن الله لم يترك وحدة من وحدات الكون والحياة صغيرها وكبيرها إلا ولها دلالات وآيات تذكرك بوجوده، والأكل وحدة من الوحدات التي يمارسها الإنسان يومياً فلا يتركها الله إلا ويذكره بوجوده ومنعميته عليه ليجمعه في جميع حركاته مرتبطاً به، (وما أهلّ به لغير الله) يفقد هذه القيمة وهذا النوع من الترابط بين العبد وربّه.

٢- الأثر الروحي على الإنسان الذي يتركه أكل المذبوح لله وأكل المذبوح لغيره، حيث الأوّل يجعل الإنسان يعيش الاطمئنان الروحي؛ لأنّ أكله يجري ضمن المرسوم الإلهي وأنّ الله راضٍ على أكله وأنّه مرتبط به من خلال كلّ الخلدات النفسية المختصة والمتعلّقة بالأكل التي تعترى الإنسان وهو يأكل الطعام ممّا يجعل الأكل حلاً طيباً بالفعل بحيث يستلذّ الأكل ويؤثر أثره في جميع أجزاء بدنه وروحه، وكلّنا يعلم اليوم ما للحالة النفسية والروحية من تأثير على أكل الأكل، فما أروع الحالة الروحية عند الأكل وهي أن تشعر الأكل بوجوده وهو في هذه الحالة بين جنبات الله ورضاه، وما أتعسها للأكل عندما يأكل لما أهلّ لغير الله، فهو وإن تخلّص ربّما من الخبث المادي إلا أنّ الخبث الروحي يضلّ يلاحقه فلا يشعر بتلك اللذة الروحية التي ترفق الأكل.

س: أن آية التحريم لهذه الموارد الأربعة قد دوّنت في سورتين مكيتين (الأنعام: ١٤٥)، (النحل: ١١٥)، ودوّنت في سورتين مدنيتين (البقرة: ١٧٣)، (المائدة: ٣)، وهذا يعني أن هذا النوع من التحريم قد تكرر نزوله في أربعة أماكن متعدّدة ومختلفة، وهي عند أوائل بعثة الرسول ﷺ وعند أواخر بقائه في مكة، وعند أوائل هجرته إلى المدينة وعند أواخر عمر الرسول ﷺ وهو في المدينة، والسؤال هو: ما هو وجه الحكمة في هذا التكرار؟ اذكر المحتملات في ذلك.

ج:

- ١- أن يعكس الله درجة اهتمامه بالحرمة في هذه الأشياء الأربعة.
- ٢- أن يكون لبيان تأكيد على معرفة أضرارها الماديّة والمعنويّة في خصوص هذه الأشياء الأربعة.
- ٣- أن يقطع الحجّة على الكثير من الناس في مستقبل الزمان الذي يعلمه الله بأنّ أكلهم سيحتوي على هذا النوع من التناول، وأنّ أكثر أكلهم سيكون من الخنزير أو الميتة وما أهلّ لغير الله، فهو لقطع الحجّة البالغة على متناوليه في مستقبل الزمان.
- ٤- احتياج بداية الدعوة التي كانت في شبه الجزيرة إلى هذا التكرار؛ لأنّ أغلب أهلها مبتلون بهذا النوع من الأكل من خلال الصيد أو رعيهم للأغنام وما تنتجه الحالة البدائيّة من العيش الصحراوي، فالتكرار جاء مناسباً لتعميق الحرمة في نفوس أوائلك الأوائل لتهديب حالة الأكل وتحجيم ما تعودوا عليه من الأكل سابقاً.

س: في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ نحن نعرف (إنما) هي أداة حصر، وأن لجملة الحصر يوجد حكمان أحدهما حكم المنطوق وللآخر هو حكم المفهوم، وحكم المنطوق هو إثبات ما يتناوله الحصر الموجود في منطوق الخطاب، وهنا هو حرمة الأشياء الأربعة، وإن حكم المفهوم هو نفي الحرمة لغير هذه الأشياء الأربعة، ومما يؤكد حكم المنطوق والمفهوم قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الأنعام: ١٤٥)، كيف يتم التوافق بين هذا التحديد والتعيين وبين ما هو موجود من المحرمات الكثيرة من الأطعمة التي تذكرها السنة النبوية؟ اذكر الاحتمالات في ذلك.

ج:

١- أن يكون هذا الاستعمال يطرح النموذج الأعلى الذي يركز الله فيه حرمة الأنواع من الأطعمة، وبهذا لا يمنع من وجود محرّم غير ما ذكر ولكن لا تصل حرمة تلك الأشياء كهذه، حيث إن ارتكاب هذه المحرمات الأربعة يعدّ من الكبائر مثلاً دون غيرها من الأطعمة المحرّمة.

٢- أن يكون هذا الاستعمال من باب ذكر المثال وخصوصاً إذا علمنا أن هناك محرمات أخرى يقيناً فوجودها يشكل قرينة تصرف ظاهر الحصر (إنما) عن عملها.

٣- أن يكون هذا الاستعمال هو طبيعة القرآن في أنه لا يتدخل في الأمور التفصيلية، بل يقتصر الذكر على الأمور الكلية ويترك الأمور الجزئية وتفصيلها ليتم توضيحها من خلال السنة النبوية.

٤- أن يكون هذا التعداد ناظراً لحالة خاصة ولقضية خارجية وهي أن علماء أهل الكتاب أفتوا بحرمة بعض الحلال وبحلية بعض الحرام من الأطعمة على أهل ملتهم من دون دليل أو حجة سماوية، والله يريد من خلال هذه الآية وأخواتها الموجودة في عدة سور أن يكذبهم ويضعفهم أمام جميع الناس بما أنهم يمثلون السماء إلا أنهم يحللون ويحرمون بما لم يحرمه ولم يحلله الله لا في كتاب ولا من تدوين نبي أو وصي نبي، بل هو إفتاء من عند أنفسهم ينسبونه كذباً وزوراً إلى الله، وأن هذه المحرمات الأربعة في القرآن هي بنفسها محرمة في جميع الشرائع فلا يكون أحد أفرادها محللاً كما يزعم أهل الكتاب.

س: اذكر المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

ج:

١- أن الاضطرار: هو أن يقع الإنسان في ظرف تحتاج نفسه إلى ارتكاب أحد المحذورين شرعاً بحيث لا يمكنه الامتناع عن الارتكاب بسبب داخلي كالجوع أو خارجي كالإكراه.

٢- أن ارتكاب أحد المحذورين هما إما أن يرتكب شرب الخمر الحرام مثلاً أو يموت بسبب منع نفسه من ارتكاب الحرام المتوقفة حياته عليه، وتلف النفس مع وجود المنقذ لها حرام أيضاً.

٣- عند التزاحم بين المحذورين يقدم الإنسان المضطر الأهم على المهم، وهنا المحافظة على النفس من التلف والموت أهم من ارتكاب حرمة شرب الخمر مثلاً، فهنا لا بد من شرب الخمر للحفاظ على ما هو أهم وهو حفظ النفس من التلف، ومن هنا قد وافق العقل الشريعة في جواز ارتكاب المحرم في حالة الاضطرار.

٤- أن الاضطرار إلى المحرم لا يرتب الأثر من الإثم، وأن السؤال والعقاب مرفوع من قبل الله على ما ارتكبه المكلف وهو في حالة الاضطرار.

٥- أن يكون سبب الاضطرار من غير بغي ولا اعتداء، بمعنى أن للاضطرار أسباباً ومقدمات هي التي أوقعت الإنسان في أن يكون مضطراً، فلو كان الاضطرار نتيجة البغي أو التعدي على حقوق الآخرين مثل أن يكون سبب الاضطرار لسرقة أو لظلم أو لاعتداء على العرض أو لسفر معصية وهو أو لخروج على إمام عادل وغيرها من المقدمات والأسباب التي أوقعت في الاضطرار، ففي هذه الحالة يبقى الحكم وأثره المترتب عليه من الإثم على حاله.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «الباغي: الذي يخرج على الإمام، والعادي: الذي يقطع الطريق»^(١)، وعنه أيضاً: «الباغي: الظالم، والعادي: الغاصب»^(٢)، وعنه أيضاً: «الباغي: باغي الصيد، والعادي السارق، ليس لها أن يأكلا الميتة إذا اضطرًا، هي حرام عليهما، ليس هي عليهما كما هي على المسلمين»^(٣).

(١) الكافي ١/٢٦٥:٦.

(٢) تفسير العياشي ١/٧٤:١٥١.

(٣) الكافي ٧/٤٣٨:٣.

٦- أن يكون البغي والتعدّي بنفس ما اضطرّ إليه، يجب على المضطرّ ألا يبغى ويتعدّى في تناول ما اضطرّ إليه، بل يجب عليه أن يتناول الحدّ والمقدار الذي ينقذ نفسه من الموت لا أكثر، فإنّ الزيادة تُعتبر تعدّياً، فيحاسب عليها المضطرّ ويترتب عليها الإثم.

س: لقد ذكرتم في النقطة الرابعة من توضيح الاضطرار أنّه لا ترتيب للأثر على المحرّم، وأنّ الإثم والسؤال والعقاب مرفوع عن المضطر، كيف يتم رفع هذا الأثر من التكليف من قبل الله؟

ج:

- ١- أن يكون من باب رحمته ولطفه ألا تسجّل ملائكته أو يمحو الله ما ارتكبه المكلف من المخالفة في أثناء اضطراره، فيأتي يوم القيامة فلا يجد شيئاً مكتوباً لما ارتكبه من الحرام أثناء اضطراره.
- ٢- أن يجد المكلف في يوم القيامة ما ارتكبه مكتوباً في كتابه، ولكنه لم يجد ما يترتب عليه من الأثر السيئ والإثم مدوّناً ومكتوباً في كتابه.
- ٣- أن يكون ما ارتكبه المكلف من الحرام وهو في حالة الاضطرار لا وجود له في الدنيا أصلاً، أي أنّه عند الاضطرار لا وجود للمحرّم أصلاً حتى نقول بترتب الأثر عليه أو لا؛ لأنّ من شروط التكليف هي قدرة المكلف عليه، ومع الاضطرار لا قدرة، فيكون أصل التكليف مرفوعاً عن المكلف، فيكون ترتيب الأثر من الإثم والسؤال والعقاب سالباً بانتفاء موضوعه.

س: لو اضطرّ الإنسان إلى ارتكاب ما فيه الحدّ أو التعزير فهل يحدّ أو يعزّر على فعله هذا؟ اذكر المحتمل من الجواب.

ج:

لا يحدّ ولا يعزّر ويرفع عنه ترتّب الأثر الدنيوي من العقاب، ورد عن محمد بن عمرو بن سعيد أنّه قال: إنّ امرأة أتت عمر، فقالت: يا أمير المؤمنين، إني فجرت، فأقم عليّ حدّ الله عزّ وجلّ، فأمر برجمها، وكان عليّ أمير المؤمنين عليه السلام حاضراً، فقال: «سلها كيف فجرت؟». فسألها، فقالت: كنت في فلاة من الأرض، فأصابني عطش شديد، فرفعت لي خيمة فأتيته، فأصبت فيها رجلاً إعرابياً فسألته ماء، فأبى عليّ أن يسقيني إلا أن أمكّنه من نفسي، فولّيت منه هاربة، فاشتدّ بي العطش حتّى غارت عيناى وذهب لساني، فلمّا بلغ مني العطش، أتته فسقاني ووقع عليّ، فقال عليّ عليه السلام: «هي التي قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾، هذه غير باغية ولا عادية. فخلّ سبيلها». فقال عمر: لولا عليّ لهلك عمر^(١).

س: لو لم يتناول المضطرّ شيئاً من المحرّمات المتوقّف عليها حياته حتّى مات فهل يعدّ آثماً، أم تعدّ هذه الحالة درجة من الإيمان العالي؟

ج:

مما حرّمه الله على الإنسان وجعله من الإثم الكبير هو قتل النفس ظلماً، وهذا ما يصدق على مورد السؤال، وذلك للأسباب التالية:

١- أنّه عند مورد الاضطرار لا يوجد فيه محذور شرعي حتّى يجتنبه، بل يكون في هذه الحالة المصداق الواضح للقاعدة العامّة القائلة: عند الضرورات تباح المحظورات.

٢- أنّه قتل نفسه من دون مبرّر شرعي، وهذا هو عين القتل العمدي.

٣- إذا كان الذي أمامه يعتقد أنه حرام حتى في حالة الاضطرار وعلى هذا فضل قتل نفسه على تناول الحرام، فقد حصل على إثمين كبيرين وهو مخالفته لحكم الله الذي رفع الحرج من تناوله في الحالة المذكورة، والإثم الآخر هو قتل نفسه. ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «مَنْ اضْطَرَّ إِلَى الْمَيْتَةِ وَالدَّمِ وَلَحْمِ الْخَنْزِيرِ فَلَمْ يَأْكُلْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ حَتَّى يَمُوتَ فَهُوَ كَافِرٌ»^(١).



مركز تحقيقات کامپوٲر علوم اسلامي

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا
 أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا
 يُزَكِّيهِمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ • أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِأَهْدَى
 وَالْعَذَابُ بِالْمُغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ • ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ
 بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ (البقرة: ١٧٤-١٧٦)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيات؟

ج:

- ١- البطن: ١- الغامض من الأرض. ٢- ما يقابل الظاهر.
- ٢- الاختلاف: الذهاب على جهة التفريق في الجهات، فأصله من اختلاف الطريق.
- ٣- الشقاق: ١- الشق والانفصال. ٢- الاختلاف.

س: ما هي المحتملات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿مَا يَأْكُلُونَ فِي
 بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾؟

ج:

- ١- أن تكون هذه العبارة تعكس درجة مبغوضية الله الكبرى للكتمان.
- ٢- أن الذين كتموا الحق وما أنزله الله من الكتاب مقابل ما حصلوا عليه من الأموال
 أو الجاه أو البقاء على المراكز والمواقع أو البقاء في الحياة الدنيا لفترة أطول
 وغيرها من أسباب الكتمان سيحاسبون عليها، وسيعاقبون عليه أشد العقاب،
 وسيبدل النعيم واللذة التي حصلوا عليها في الدنيا بنار وعذاب أليم في يوم
 القيامة.

٣- أن كلَّ وحدة من وحدات العصيان التي حصلوا عليها نتيجة كتمانهم بما أنزل الله ستتحول يوم القيامة إلى وحدات وقطع من النار تقدّم إليهم على شكل وجبات طعام يأكلونها.

٤- أن ما حصلوا عليه في الدنيا مقابل كتمانهم الحق سيتحول إلى وقود نار متّقدة تخرج من جوفهم، وكلّما تأخّروا في الكتمان كلّما ازداد وقودهم وازدادوا سعيراً.

س: ما هي المحتملات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾؟
ج:

١- أنه نوع من العذاب، حيث في ذلك الموقف الخطير والمصير الأخير للإنسان وأن كل شيء بيد الله والذي يكون الإنسان فيه في أشد الحاجة إلى نظرة عطف ورحمة من الله، وإذا به سبحانه لا يكلمهم ولا يلتفت إليهم أصلاً.

٢- أنهم يسمعون كلمات الثناء على الفائزين بالجنة ولم يسمعوا منه سبحانه كلمة مدح وثناء واحدة لعدم استحقاقهم لذلك.

٣- أن يوم القيامة يوم حبّ اللقاء مع الله والنظر إليه وحب كل شيء يصدر منه لكل أحد بعد ما عرف الجميع أن الله هو مصدر كل الخير والرحمة التي كانوا يتمتعون بها في الدنيا، وأنها معرفة حقيقية تختلف عن معرفة الدنيا بالله، فيصبح الكل في تشوّق إلى وجه الله والتعلق به ونيل رضاه والتقرب والتودّد إليه، كشخص كان يساعد شخصاً آخر طول حياته من دون أن يعرف ذلك الشخص، تصوّر ماذا يكون شعور ذلك الإنسان لو وقف أمامه ويقول له: أنا ذلك الشخص الذي كان يساعدك على طول هذه المدّة؟! والكاتمون للحق في ذلك الموقف

الذي يتعرّفون به على الله وما أنعم عليهم فيكونون في أعلى درجات الشوق إلى رؤيته وكلامه وإذا بهم يتفاجؤون بأن الله غاضب عليهم معرض عنهم ولا يكلمهم، فماذا يكون حالهم من العذاب الروحي والحقارة والخزي وما سيلحقهم من العذاب الذي لا يمكن مقاومته ولا الصبر عليه لأي أحد ولو لحظة واحدة فكيف بالخلود فيه؟!.

س: ما هي المحتملات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾؟

ج:

- ١- لا يصل إلى الذين كتموا الحق كرم الله وجوده في تنمية أعمالهم الصالحة التي يضاعفها الله من عطائه لوجود مانع لتنمية الأعمال وهو الكتمان.
- ٢- لا يقبل الله دينهم، فيبقون على ما هم عليه من دون تركية أمام الشافعين فلا تشملهم الشفاعة.
- ٣- أن من لطف الله ورحمته جعل بعض الأعمال الحسنة مطهرة للأعمال السيئة إلا معصية الكتمان لا يطهرها ولا يزكّيها شيء إلا التوبة بإعلان الحق.

مركز تحقيقات كميونر علوم إسلامي

س: ما هي المحتملات التي تذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَا أَضْبَرَهُمْ

عَلَى النَّارِ﴾؟

ج:

- ١- ما أجرأهم على النار من خلال جرأتهم على سبب دخول النار وهو الكتمان، فهو إما استفهام استنكاري وتوبيخ لهم، أو نقل التعجب لنا منهم حتى يعمق خطورة الكتمان في نفوسنا فلا تقدم عليه، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَا أَضْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ أنه قال: «ما أجرأهم على فعل ما يعلمون

أنه يصيرهم إلى النار» (١).

٢- ما أدوم بقاءهم على النار من خلال بقائهم واستمرارهم على الكتمان ويتعاملون مع المعاد بلامبالاة.

٣- ما أصبرهم على فعل ما يعلمون أنه سيصيرهم إلى النار؛ لأن الذي يقدم على الكتمان وهو يعلم بعدم جوازه شرعاً فهو قد أقدم على عذاب النار، والإقدام العمدي على النار يعني وجود الاستعداد لتحمل عذاب النار، والله يعلم أن العذاب في ناره لا يتحملة أي أحد مهما تخيل من امتلاكه للاستعداد.

٤- أن هذا القول يستبطن أن الذين يكتمون الحق وما أنزله الله إن لم يتوبوا فمصيرهم النار مهما كانت لهم من أعمال حسنة، وأن مجازاتهم على الأعمال الحسنة إما ستكون لهم في الدنيا حيث يملي لهم في الرزق والترف والعافية، وإما يرفع عنهم عذاب البرزخ، وإما أن ترفع عنهم الخلود في النار إذا كانت لها قيمة عند الله، ولكن على جميع الاحتمالات أن النار لا يتخلصون منها وأنها مصيرهم الحتمي.

س: ما هي الاحتمالات التي ترد فيما هو المشار إليه من اسم الإشارة (ذلك) في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ...﴾؟

ج:

- ١- ذلك الحكم بالنار الذي حكماه على الذين كتموا الحق.
- ٢- ذلك العذاب الذي نقلناه لكم وهو أن يأكلوا في بطونهم ناراً.
- ٣- ذلك الضلال الذي وقعوا فيه وهو الكتمان.

٤- ذلك التشديد من عدم التكلم والتركية والعذاب الأليم للكاتبين.

● الاختلاف

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾؟

ج:

أن الله نزل الكتاب، وأنه أي كتاب أنزله الله على عباده سواء كان الزبور أو التوراة أو الإنجيل أو القرآن، وأن أي كتاب قد نزله الله كان يمثل الحق والنور ولا يوجد أي تضارب أو اختلاف لا في نفسها ولا فيما بينها، لأن الكل منزل من الحق تعالى الذي هو الحق من جميع الجهات، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢).

نعم حصل الاختلاف بعد النزول ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ (البقرة: ٢١٣)، ولما كان الاختلاف قد أدى إلى التضارب وأن يكفر بعضهم بعضاً بحيث صاروا في شقاق بعيد عن الاتفاق بينهم فهم بهذا قد ابتعدوا عن الحق؛ لأن ما هو موجود في الكتب لا يدعو إلى الاختلاف والتفريق، بل يدعو إلى الوحدة في جميع جهاتها، ومن هنا نعرف أن سبب الاختلاف الذي حصل بعد النزول ناتج عن هوى النفس الذي يكون بعيداً كل البعد عن الله وعمّا أنزله الله من الكتاب. ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «أيم الله ما اختلفت أمة قط بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها إلا ما شاء الله»^(١).

(١) شرح نهج البلاغة ٥: ١٨١.

س: ما هي المحتملات في ما هو المراد من (بعيد) في قوله تعالى: ﴿لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾؟

ج:

١- بعيد عن الحق، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «ما اختلفت دعوتان إلا كانت إحداها ضلالة»^(١).

٢- بعيد عن الاتفاق وقد استحكم فيهم الاختلاف، بحيث وصل بهم الأمر أن يكفر بعضهم بعضاً، وأن يحلّل بعضهم قتل البعض الآخر، ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: «لا تختلفوا فإنّ من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا»^(٢).

٣- بعيد تأتي بمعنى التعدي والزيادة، فيكون المعنى على هذا الاستعمال لفي شقاق زائد وقد تعدي حدود الشقاق، فإنّ الخلاف حالة طبيعية بين البشر لكن في الحالة لا يتعدى فيها حدود الخلاف من المحافظة على الانسجام والوحدة والحب، فإذا انقلب الخلاف إلى التباغض والتنافر والعداوة دخل في الاختلاف والشقاق الممنوع شرعاً و عرفاً، وكلّما ازداد الشقاق والاختلاف كلّما اقترب الطرفان إلى جادة البعد والتنافر القلبي إلى أن يصل إلى مرحلة لا تحمد عقباها، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «لا تختلفوا فتختلف قلوبكم»^(٣).

س: بيّن بعض أنواع الاختلاف الذي حصل بين أهل الكتاب بعد التنزيل.

(١) نهج البلاغة ٤: ٤٣/١٨٣.

(٢) كنز العمال ١: ١٧٧/٨٩٤.

(٣) المستدرک ٦: ٥٠٧/٧٣٧٩.

ج:

- ١- اختلاف اليهود في التوراة، وكانت نتيجته أن يكون للتوراة عدّة نسخ مختلفة.
- ٢- اختلاف النصارى في الإنجيل، وكانت نتيجته أن يكون للإنجيل عدّة نسخ مختلفة.
- ٣- اختلاف اليهود مع النصارى ممّا أدى إلى أن ينكر اليهود أصل وجود كتاب الله وهو الإنجيل.
- ٤- اختلاف النصارى مع اليهود ممّا أدى إلى أن ينكر النصارى أصل وجود كتاب الله وهو التوراة.
- ٥- اختلاف اليهود والنصارى مع المسلمين ممّا جعلهم ينكرون أصل وجود كتاب الله وهو القرآن.
- ٦- اختلاف المسلمين فيما بينهم حول كتاب الله وهو القرآن في ألفاظه أو معانيه أو تفسيره أو تأويله ممّا أدى إلى أن ينفصلون إلى عدّة مذاهب وفرق.

س: اذكر بعض أسباب الاختلاف والشقاق.

ج:

- ١- الأمراض القلبية التي تختزن في نفس الإنسان من الحقد والحسد والأنانية والتعصب وغيرها من الأمراض التي تكوّن خبث السريرة، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَانٌ عَلَى دِينِ اللَّهِ، وَمَا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلَّا خَبْثُ السَّرَائِرِ، وَسُوءُ الضَّمَائِرِ، فَلَا تَوَازَرُونَ وَلَا تَنَاصِحُونَ، وَلَا تَبَادُلُونَ

ولا توادون»^(١).

٢- عدم العلم والإحاطة الكاملة لا بالموضوع المختلف عليه ولا بدوافع الشخصية التي يختلف معها، فعلى الرغم من عدم الإحاطة والجهل هذا ترى البعض منهم يخوضون بالجدل ويدافعون ويتصدون ويتهمون وبالتالي تتسع دائرة الاختلاف والشقاق، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «لو سكت الجاهل ما اختلف الناس»^(٢).

٣- سوء الظن بالطرف المخالف، ويحاول أن يفسر كل قول يصدر منه وكل حركة يتحركها على ما يتصوره من الدافع السيئ الذي لا وجود له عند الطرف المخالف، وبذلك يرى الأخ المؤمن المخالف له في الرأي وكأنه عدو لدود، وماذا ننتظر من سوء الظن هذا إلا الاختلاف والضعف والتعصب الأعمى ولا تقارب ولا انشراح صدر ولا حوار بناء ولا محاولة استيعاب الآخرين، بل يبقون في شقاق بعيد، وهذا ناتج قطعاً من عدم معرفة الروح الأخلاقية للقرآن وللأنبياء والأئمة سلام الله عليهم أجمعين وهم يرسمون خط التعامل مع المخالفين لهم في الرأي، أو يفهمها ولكن يفصل بين الفهم والعمل بما يفهم.

٤- عدم دراسة الماضي ليأخذوا منه الدروس والعبر مما وقع فيه الآخرون نتيجة اختلافهم، فكم من الآيات القرآنية تحذر من الوقوع في الاختلاف؟ وكم من قصة ينقلها القرآن ليعرف الجميع نتائج الاختلافات السيئة؟ وكم من حديث من المعصوم ورد وهو يحذر من الاختلاف؟

(١) نهج البلاغة ٢: ٢٢٢/١١٣.

(٢) كشف الغمة ٣: ١٤١.

ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «احذروا ما نزل بالأمم قبلكم من المثلات بسوء الأفعال وذم الأفعال فتذكروا في الخير والشر أحوالهم، واحذروا أن تكونوا أمثالهم. فإذا تفكرتم في تفاوت حالهم، فالزموا كل أمر لزم العزة به شأنهم، وزاحت الأعداء له عنهم، ومدت العافية به عليهم، وانقادت النعمة له معهم، ووصلت الكرامة عليه حبلمهم من الاجتناب المفرقة، واللزوم للألفة، والتحاؤ عليها، والتواصي بها. واجتنبوا كل أمر كسر فقرتهم، وأوهن مننتهم، من تضاغن القلوب، وتشاحن الصدور، وتدابير النفوس، وتخاذل الأيدي. وتدبروا أحوال الماضين من المؤمنين قبلكم... فانظروا كيف كانوا حيث كانت الأملاء مجتمعة، والأهواء مؤتلفة، والقلوب معتدلة، والأيدي مترادفة، والسيوف متناصرة، والبصائر نافذة، والعزائم واحدة، ألم يكونوا أرباباً في أقطار الأرضين، وملوكاً على رقاب العالمين؟! فانظروا إلى ما صاروا إليه في آخر أمورهم، حين وقعت الفرقة، وتشتت الألفة، واختلفت الكلمة والأفئدة، وتشعبوا مختلفين، وتفرقوا متحاربين، قد خلع الله عنهم لباس كرامته، وسلبهم غضارة نعمته، وبقي قصص أخبارهم فيكم عبراً للمعتبرين»^(١).

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ
آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ
ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ
وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي
الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٧٧)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:

١- البر: ١- الاتساع والوسعة. ٢- مطلق الخير.

٢- قِبَلَ: الناحية والجهة. *مكتبة جامعة القاهرة*

٣- السبيل: الطريق، وابن السبيل هو المنقطع به، وسمي ابن للملازمة.

٤- السائل: الذي يسأل الناس حاجته.

٥- الرقبة: مؤخرة أصل العنق.

٦- الوفاء: بلوغ الإتمام، فالوفاء بالعهد أتمه ولم ينقض حفظه.

٧- البأساء: البؤس والحرمان.

٨- الضراء: مطلق الضرر.

٩- الحين: وقت بلوغ الشيء وحصوله، وهو مبهم المعنى في نفسه.

س: ما هي الاحتمالات الواردة في سبب نزول هذه الآية ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ...﴾؟

ج:

- ١- أن هذه الآية نزلت بعد تحويل قبلة المسلمين من بيت المقدس إلى الكعبة.
- ٢- حصل اللفظ والجدال من اليهود والنصارى حول تحويل قبلة المسلمين في أنه لِمَ تفرّد الرسول ﷺ بهذا التحويل دون الأنبياء السابقين؟ وكيف نتحوّل من قبلتنا بعد أن قضينا هذا العمر ونحن نصلي إلى قبلتنا التي توجّهنا إليها؟ وما هو حال قبول صلاة آبائنا الذين قضوا عمرهم وهم يصلّون إلى قبلتنا؟ وغيرها من الاشكالات التي أحدثها اليهود والنصارى ممّا صار حديث الساعة آنذاك وأشغل الكثير من الناس، فنزلت هذه الآية.
- ٣- حصول الكلام الكثير بين المسلمين فيما بينهم من جهة وبينهم أمام اليهود والنصارى من جهة أخرى ممّا أدى لأن يكون هذا الحديث هو حديث الساعة آنذاك وصار جلّ اهتمامهم المفضّل على أي عمل عبادي، فنزلت هذه الآية.

س: وضّح المحتملات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾.

ج:

- ١- ليس البر والطاعة فيما عليه اليهود من توجّههم إلى المغرب كقبلة، وليس البر والطاعة فيما عليه النصارى وهم يتوجّهون في قبلتهم إلى المشرق.
- ٢- ليس البر كلّهُ ينحصر في توجيه القبلة إلى جهة ما للصلاة حتّى يرافق هذا الحديث في التوجه وحدات عبادية أخرى كما هو مذكور في الآية.

٣- ليس البر والطاعة أن يكون شغلكم الشاغل هو الحديث حول القبلة بحيث يقطعكم عمًا هو أهم منه وهو مجموع ما ذكر في الآية.

٤- ليس البر والطاعة أن تشغلوا أنفسكم بالتنظير لمسألة من المسائل وأنتم تاركون العمل ومنفصلون عمًا هو مذكور في الآية.

٥- أن هذه الصيغة والخطاب يعكس الأدب الرباني في عملية الدعوة والتغيير، حيث ترى الآية تتكلم وتخطب الكل سواء أهل الكتاب أو المسلمين، فهي تنبّه الكل على الخطأ المشترك من دون أن تخذش بكرامة أحد ولا بدين أحد ومن دون أن تحس أن الواقعيين بهذا الخطأ هل هم اليهود أو النصارى أو المسلمون أو هم جميعاً أو بعض منهم؟ وتدعو الكل إلى ما دعاهم بما هو الموجود والمشارك والأهم في كتبهم من الوحدات المذكورة في الآية.

ومن هنا يمكن أن نقول: إن الاحتمال الأول المذكور أعلاه قد يكون هو المقصود حقيقة ولكن الله أستبطنه ولم يظهره ليعلمنا أدب التخاطب في عملية تغيير الناس بالطريق الذي لا يجرح كرامتهم فيما يعتقدونه ماداموا هم لم يستعملوا أسلوب التجريح والقدح ومادامت مخالفتهم وحديثهم حول جهة القبلة لم تكن نابعة من بغي وحسد وعداوة وعناد، ولهذا يمكن اعتبار هذه الآية هي مكتملة للآية السابقة التي حكى عن الخلاف وذمته، فهذه الآية تعلم الإنسان الداعية كيف يدعو الآخرين المخالفين له بالعقيدة والرأي بأسلوب لا يثير الحساسية لدى الآخرين ولا يثير الفرقة عندهم وبالنتيجة يبقى الشاق على حاله من البعد.

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾؟

ج:

١- أنه تثبيت لما هو الأهم، فإن الحديث عن القبلة شيء مهم ولكن الخطأ فيه أن يكون الحديث بها هو الأمر الشاغل، فجاء الله بهذا المقطع من الآية ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾ لتصحيح ما وقعوا فيه من الغفلة وتنبية الإنسان المؤمن على عملية التوازن في الاهتمامات وتقديم الأولويات.

٢- يمكن أن يكون هذا التنبيه عاماً لما هو المرتكز العام لشريعة الله ومنهجيته في رسم الخطوط العامة لعمل الإنسان في الحياة وهو ألا يصب الإنسان المؤمن جميع اهتماماته على مصب واحد وفي اتجاه واحد من السير وإن كان ذلك الشيء حسناً ومراداً شرعاً، فمثلاً ليس تمام البر أن تولوا جميع اهتمامكم في مسألة اليتامى ويكون هذا هو شغلكم الشاغل وتتركوا بقية المفردات العبادية ولا تهتموا بها أو يكون الاهتمام بها ثانوياً، ولكن البر أن توزعوا اهتمامكم بصورة متساوية على جميع المفردات التشريعية، وهذا النوع من التوزيع في الاهتمام لهو أمر واضح الأهمية من إحياء جميع المفردات التشريعية في نفوسكم وفي نفوس أفراد الأمة الإسلامية.

وإن إحياء مفردة تشريعية فقط تعني تعرض بقية المفردات التشريعية للجمود والاضمحلال، وينعكس أثر عدم التوازن هذا في خلخلة حياة المجتمع في أغلب الاتجاهات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ونحن نرى اليوم كم هو الفرق في الاهتمام بين مفردة (المساكين) وبين مفردة (حين البأس) فإنك ترى أفراداً ومؤسسات وجماعات يتحركون نحو المفردة الأولى دون المفردة الثانية

مما ولد الضعف عند المسلمين أمام أقل قوة في العالم، فإن قوة الشخصية الإسلامية واستعدادها وصدقها وتقواها تظهر عندما يكون لها دور فعلي في كل مفردة من مفردات الشريعة الإسلامية.

٣- أن هذه العبارة ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾ تثبت حقيقة الأبرار وطريقتهم في الحياة من الإيمان والعمل والأخلاق والمقومات والصفات الحسنة الذي سيعطيه الله العنوان المستقل في كثير من الآيات ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ (المطففين: ١٨)، فمن أراد أن يتلبس بهذا العنوان العالي عليه أن يجسد المفردات التي تذكرها هذه الآية وأن يحملها فكراً وروحاً وعملاً، ومن أراد أن يبحث عن الأبرار سيجدهم هم أولئك الذين يعملون ويتصفون بهذه المفردات التي تذكرها الآية بكل صدق وإخلاص.

س: اذكر الست عشرة مفردة التي جمعتها الآية في خطابها.

ج:

- ١- الإيمان بالله.
- ٢- الإيمان باليوم الآخر.
- ٣- الإيمان بالملائكة.
- ٤- الإيمان بالكتاب.
- ٥- الإيمان بالنبين.
- ٦- أيتاء المال لذي القربى.
- ٧- أيتاء المال لليتامى.
- ٨- أيتاء المال للمساكين.

- ٩- أيتاء المال لابن السبيل.
- ١٠- أيتاء المال للسائلين.
- ١١- أيتاء المال لـ (في الرقاب).
- ١٢- إقامة الصلاة.
- ١٣- أيتاء الزكاة.
- ١٤- الوفاء بالعهد.
- ١٥- الصبر في البأساء والضراء.
- ١٦- الصبر في خصوص البأس والقتال.

س: اذكر المحتملات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾.



مركز تحقيقات کامپیوتر علوم اسلامی

ج:

- ١- وآتى المال وأنفقه على الرغم من حبّ الإنسان للمال وحرصه على جمعه.
- ٢- وآتى المال وأنفقه حباً بالإنفاق بحيث إن نفسه وقلبه تحب الإنفاق وتطبعت نفسه على الكرم والجود والعتاء.
- ٣- وآتى المال وأنفقه على حب الله للإنفاق، فهو ينفق لكون الإنفاق محبوباً عند الله، سواء كان واجباً أو مستحباً وسواء كان الإنفاق ثقیلاً عليه أو لم يكن كذلك، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «...وأما علامة البار فعشرة: يحبّ في الله، ويبغض في الله، ويصاحب في الله، ويفارق في الله، ويغضب في الله، ويرضى في الله، ويعمل لله، ويطلب إليه، ويخشع خائفاً مخوفاً طاهراً مخلصاً مستحياً مراقباً،

ويحسن في الله» (١).

٤- وآتى المال وأنفقه لحب المنفق ذوي القربى واليتامى والمساكين وغيرهم ممن يحملون زاده للآخرة.

٥- وآتى المال وأنفقه لحب المنفق من آمن بالله واليوم الآخر من ذوي القربى واليتامى والمساكين وغيرهم، فهو لم ينفق لمطلق هؤلاء الذين تذكروهم الآية بل ينفق المال على المؤمنين منهم خاصة.

٦- وآتى المال وأنفق ما وقع حبه عليه، فإن للمنفق أموالاً متعددة فهو حين الإنفاق اختار ما وقع عليه حبه ومالت إليه نفسه فأنفقه لذوي القربى واليتامى والمساكين وغيرهم.

٧- أن هذا الخطاب يوحي بأن المبادرة كانت من المنفق وأن البادئ بالإنفاق هو المنفق، بمعنى أن الإنفاق هو فعل يصدر من المنفق لا أن تكون حالة رد فعل ينتظرها المنفق لتصدر منه، فإن المنفق هو الذي يبادر في البحث عن ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وغيرهم من المحتاجين، لا أن ينتظر في أن يطرق عليه أحد من هؤلاء المحتاجين الباب فيقدم له المساعدة وخصوصاً إذا لاحظنا ونحن نعيش اليوم في المدن الكبيرة التي لا يتشخص فيها الغني المنفق ولا المحتاج المستحق المتعفف، فالله سبحانه وتعالى يريد من الغني أن ينطلق بنفسه للبحث عن المحتاجين من أمثال هؤلاء ليكون الإتيان في محله، ويمكن أن يفلح الغني في أن يعثر أثناء بحثه على مصداق أو أكثر فينفق عليه بما مكّنه الله ووفقه لذلك، وقد لا يمكنه البحث ولا يمكنه تغطية

جميع ما ذكر إذا أراد وأحب أن يصل ماله إلى جميع الأصناف التي ذكرت في الآية، فهنا لا بد أن يلتجئ إلى أصحاب الاختصاص بذلك وهم الخيرون من أصحاب المؤسسات الخيرية التي تمثل أفضل وأوسع طريقاً لتوزيع المال على جميع أصناف المستحقين وأفرادهم مع المحافظة على كرامتهم.

ومن هنا فإن الخطاب المذكور يمكن أن يكون هكذا: وآتى المال على حبه أن يصل الإتيان إلى جميع الأصناف التي ذكرتهم الآية، ولما لم يكن ذلك متوفراً لأكثر المنفقين فلا بد أن يهتموا بالمؤسسات الخيرية المختصة أو أن تهتم الدولة الإسلامية بذلك؛ لأنه أحد مسؤولياتها المهمة التي تقع على عاتقها، فالنتيجة كما يدعو الخطاب إلى الإنفاق يدعو إلى تنظيم عملية الإنفاق.

س: ماذا تعني هذه الوحدات المذكورة في قوله تعالى: ﴿ذَوِي الْقُرْبَىٰ

وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ﴾؟ *تحقيقاً كما في توير علوم إسلامي*

ج:

قد مرَّ الحديث عن هذه الوحدات في تفسير آية ﴿وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (البقرة: ٨٣).

س: مَنْ هو ابن السبيل الذي تذكره الآية ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾؟

ج:

ابن السبيل: هو الشخص المسافر المنقطع به العودة إلى وطنه ونفد ماله في بلد السفر وإن كان غنياً في بلده، وكان سفره مباحاً لا سفر معصية، ولم يمكنه الاستدانة أو بيع شيء من ماله، فهنا تقدم له يد العون بما يكفل عودته إلى بلده من أجرة الطريق ونفقته الشخصية من مطلق الصدقات أو من خصوص الزكاة؛ لأنه أحد

أصناف المستحقين للزكاة في الآية.

س: مَنْ هم السائلون التي تذكرهم الآية ﴿وَالسَّائِلِينَ﴾؟

ج:

السائلون: هم الذين يسألون الناس حاجاتهم أو حاجة الإسلام والمسلمين كأصحاب المؤسسات الخيرية الذين يسألون الناس لتأمين حاجة الفقراء والمساكين واليتامى من المأكل وبناء المساكن والمستشفيات وإنشاء المعامل لهم وتوفير فرص العمل إليهم من خلال جمعهم للتبرعات والحقوق المالية، أو الذين يهتمهم تقوية المؤسسات الإسلامية في العالم الذين يسألون الناس لبناء المساجد وإنشاء المكتبات ومراكز التوعية ونشر الإسلام وإحياء الحركة الإسلامية في المناطق المحرومة من تلك الحركة.

س: ما هي المحتملات التي ترد في ما هو المراد ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾؟

ج:

١- أن يبذل المال في مورد عتق العبيد وتحريرهم، لمن يرغب في العتق سواء كان العبد في شدة أو لم يكن كذلك، أو لمن أرهقهم أسيادهم تعذيباً، أو لمن أرهقهم أسيادهم تنكيلاً، وقد يكون عند التعذيب والتنكيل يعتق العبد قهراً من مولاه دون الحاجة إلى بذل المال لمولاه.

٢- أن يبذل المال في مورد عتق العبد المكاتب، وهو العبد الذي تكاتب مع مولاه على تحرير بعضه أو كله مقابل مقدار من المال، وقد سعى العبد في العمل لتحرير نفسه ولكن لم يوفق إلى جمع ما طلب منه، فهنا يبذل إليه ما يكمل المقدار المكاتب عليه من مطلق الصدقات أو من خصوص مال الزكاة؛ لأنه

أحد الأصناف المستحقين للزكاة في آية الزكاة.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام عندما سئل عن مكاتب عجز عن مكاتبته وقد أدى بعضها، أنه قال: «يؤدى عنه من مال الصدقة، فإن الله عز وجل يقول: ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾»^(١).

٣- أن يبذل المال للمحتاج الذي تعلقت به كفارة عتق رقبة ولم يجد، مع دراسة سبب الكفارة والظروف التي أحاطت به التي جعلته يقع بما فيه كفارة عتق الرقبة.

٤- أن يبذل المال لفك الأسارى والمسجونين ظلماً، بل وكل رقبة جعلتها الحوادث والأقدار رهينة عندها بحيث لا يمكنها التخلص منها إلا بشيء من المال الذي يمتلكه المحسنون، هذا إذا نظرنا إلى وحدة الملاك الموجودة في الكل.

س: أن مسألة الرق والعبيد من الخيوار التي لم تكن محببة لدى الإسلام، فلماذا أقرها وقنن لها؟

ج:

عندما جاء الإسلام لم يكن مجيئه معلقاً بالسماء ومن دون النظر إلى الواقع الذي يعيشه الإنسان من التقاليد والعادات الاجتماعية والاعتقادات الفكرية، بل جاء وهو ناظر إلى كل ذلك وما زاد على ذلك، وسواء كان ذلك السلوك مختصاً بمنطقة النزول وهي شبه الجزيرة العربية، أو هو ظاهرة نوعية للإنسان على الأرض، فعند مجيء الإسلام رأى الواقع على نوعين من السلوك والاتجاه:

السلوك الأول: ما كان حسناً وخيراً وصحيحاً فسار معه الإسلام في اتجاهين:

١- الإمضاء المباشر كإمضائه للأشهر الحُرْم التي يمنع فيها القتال.

٢- الإمضاء مع تدخل في تنظيمها وتهذيبها كالزواج والطلاق والإنفاق ونظام القبيلة وغيرها من الأمور التي كانت تجرى قبل الإسلام وما دور الإسلام إلا تهذيبها وتنظيمها ضمن مسارها الصحيح لها.

السلوك الثاني: ما هو قبيح وضرر وخطأ فسار ضده الإسلام في ثلاث اتجاهات:

١- المنع المباشر لعبادة الأصنام ولعب القمار والسرقة والظلم وأكل لحم الخنزير وواد البنات وغيرها من الأمور التي سلط عليها الإسلام الحرمة والمنع المباشر من دون المرور بالمرحلية.

٢- المنع والحرمة وهو يمرّ بمرحلية من السعة والشمولية في الحرمة كحرمة شرب الخمر.

٣- المنع عن طريق الإقرار كمسألة الرق وظاهرة العبيد، فالإسلام له دخل في المنع وليس له دخل في إيجاد الرق والعبيد، بل هو من صنع الإنسان، فكان الإقرار والتقنين له الأثر الكبير في منع هذه الظاهرة ومحوها من الوجود، ومن هنا نعرف أن الإقرار بشيء لا يعني الرضا به وحبّه، بل هو أحد الأساليب التي تستعمل في عملية التغيير، ولهذا لو تتبعت قوانين الرق في الإسلام لوجدتها موضوعة للتحرير لا للرق.

س: قلتم: (لو تتبعت قوانين الرق في الإسلام لوجدتها موضوعة للتحرير لا للرق) اذكر بعض هذه القوانين.

- ١- عدد الكفارات الكثيرة التي تبتدئ بعق الرقبة.
- ٢- حث الإسلام على العتق التبرّعي ورتّب عليه الثواب العظيم.
- ٣- المحافظة على كرامة العبد وجعل العتق الطريق المنحصر لأي خدش لكرامته وإنسانيته من تعذيب أو تنكيل من قبل مولاه.
- ٤- حصر الإسلام خدمته وعبوديته للمولى فقط وأما علاقته مع غير المولى فهي علاقة الإنسان الحر.
- ٥- له حق المكاتب والمشاركة مع المولى على عتقه كأى إنسان حرّ له حق المشاركة مع الآخرين.
- ٦- له حق التملك فيما ملكه مولاه، وهذا يعني أنّ بإمكان العبد أن يكون من أغنياء أهل البلد.
- ٧- له حق الشكوى والمرافعة للحاكم وهذا يعني أن يأخذ الحاكم له الحد والتعزير عند الاعتداء عليه.
- ٨- تحديد صلاحية المولى في عملية سلطته على العبد، فلا شأن للمولى في أن يتدخل في حياة العبد وشؤونه الخاصة التي لا تزامم خدمته له.
- ٩- مواهب العبد وكفاءته محفوظة في الإسلام بمعنى له حق الوجود والترقي في سلم المسؤوليات.
- ١٠- مراقبة عقيدة العبد والمولى، فإذا كان العبد مسلماً لا يمتلكه المولى الكافر وأنه يتحرّر منه قهراً.
- ١١- جعل لهم قسماً من الحقوق الشرعية المألّية كما هي الآية التي بين أيدينا، واستحباب الوصية المألّية بهم ومطلق الصدقات، ليمتلكوا حتى يتمكنوا من شراء أنفسهم وتحريرها.

س: لماذا ذكر الله الزكاة بقوله: ﴿وَأَتَى الزَّكَاةَ﴾ الذي هو إنفاق للمال في رسمه الخاص مع أنه تعالى ذكر إيتاء المال وذكر موارد توزيعه في رسمه العام الذي تكون الزكاة جزءاً منه؟

ج:

١- قد يكون ذكر الزكاة إشارة إلى الواجب الشرعي من الإيتاء، وإن إيتاء المال على حبه إشارة للمستحب من الإيتاء، وفائدته أن يذكر الله الإنسان بأن يجمع في اهتماماته بين الواجب والمستحب، فرب إيتاء مستحب تترتب عليه من النتائج الإيجابية ما لا يترتب على الإيتاء الواجب، كمن يأتي بماله الواجب إلى مسكين فسد رمقه لأيام، ويأتي بماله المستحب لمسكين فيستر على عرضه من الانزلاق نتيجة الحاجة وهناك أمثلة كثيرة في الحياة.

٢- إذا لاحظنا الزكاة من حيث مصاديق المستحقين لها فإنها أكثر مما ذكرته الآية من المستحقين المال على حبه، وخصوصاً إذا قلنا بأن المعنى بالزكاة هو مطلق الصدقات المطلوبة أو مطلق المفروض المالي على الإنسان المؤمن، فيكون ذكر الزكاة بهذا اللحاظ من باب إرادة العام وهو إيتاء الزكاة بعد ذكر الخاص وهو إيتاء المال على حبه.

٣- قد تكون بعض المفردات التي ذكرها الله في الآية لم تكن مذكورة في بقية الكتب السماوية وإنما هي من مختصات الإسلام، وبما أن الخطاب في الآية موجه لكل أهل الكتاب، فأراد الله بذكر إيتاء الزكاة ما هو مشترك الوجود في كل الكتب السماوية.

٤- أن ذكر إيتاء الزكاة هو للاختصار وعدم الوقوع في التطويل، فبعد أن ذكر بعض

أصناف المستحقين للزكاة ذكر نفس الزكاة بدلاً من ذكر بقية المستحقين للزكاة من العاملين والمؤلفة قلوبهم والغارمين وفي سبيل الله، فذكر الزكاة إرادة لبقية المستحقين الذين لم يذكرهم الله في هذه الآية.

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾؟

ج:

هم الذين يعاهدون الله على شيء كالتوبة والنذر واليمين، أو يعاهدون الناس على شيء من أمور الحلال الشرعي، فهنا يجب الوفاء بما ألزموا به أنفسهم عليه.

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾؟

ج:

هم الذين يزدادون إيماناً بالله وأملأ به عندما يمرّون في حالة البؤس والحرمان والجوع والمرض والتعذيب والسجن من أجل الإسلام وكلّ حالة تجلب لهم الضرّ والبأس، فيعتبرونه القدر الإلهي الذي كتبه سبحانه لهم والقضاء الذي حتمه عليهم ليكون نوعاً من الابتلاء والامتحان الإلهي الذي يجب أن يجتازونه بكلّ نجاح، فلا يأس من رحمته ولا تزلزل في عبادته ولا اهتزاز في عقيدته ولا كسل يشلّ حركته نحو الله، فهم في حالة واحدة في السراء والضراء من الإيمان والعمل، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «الحامدون الذين يحمدون الله على كل حال في الشدة والرخاء»^(١).

وهذه الوحدة العبادية - أعني: قوله تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ -

يمكن أن تكون وحدة مستقلة عن غيرها من الوحدات التي عدّها الله في آيته، ويمكن أن تكون ضمن الوحدات التي يجب النظر إليها في إتيان المال من قبل المنفقين من المؤمنين، فيكون مقطع الآية هكذا: (وأتى المال على حبه للصابرين في البأساء والضراء).

ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «أربع من كنوز البر: كتمان الحاجة، وكتمان الصدقة، وكتمان الوجع، وكتمان المصيبة»^(١)، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «ثلاث من أبواب البر: سخاء النفس، وطيب الكلام، والصبر على الأذى»^(٢).

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَحِينَ النَّبَاسِ﴾؟

ج:

أي والصابرين حين القتال، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إنه كئنا إذا احمرّ البأس اتقينا برسول الله ﷺ فلم يكن أحد منا أقرب إلى العدو منه»^(٣)، احمرّ البأس: أي اشتدّ الحرب والقتال.

فالصابرون هم المجاهدون الذين يؤدّون المقاتلة والمواجهة الفعلية في ساحة المعركة، وهم القادة الذين بيدهم أمر الجهاد ويقودون الحركة الجهادية من خارج دائرة ساحة المعركة، وهم أهل البلاد الذين يدعمون الحركة القتالية ويمدّونها بالمال والسلاح والرجال، فالكلّ مأمور بالصبر والثبات والقوّة والوقوف بحزم والاستعداد للتضحية ووحدة الصف، وعدم التنازل والركون إلى هزّات الخوف والاضطراب

(١) معدن الجواهر: ٣٩.

(٢) وسائل الشيعة ١٢: ١٢٥/١٥٨٣٦.

(٣) شرح نهج البلاغة ١٩: ١١٦/٢٦٦.

النفسي والاختلاف وغيرها من الأمور التي يجب تقوية ما يشترك في تقدم القتال، ومنع تلك الأمور التي تقف كحجر عثرة أمام الاستمرار في الجهاد وتشترك في ضعفه وتقهقره، وكلّ المطلوب الذي ذكر يأتي وتتركز ضرورة وجوده بعد صدور قرار الحرب الذي صدر من الحاكم الشرعي وبدء القتال الفعلي؛ ولهذا قيّد الله قوله بحين ﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾.

ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «فوق كلّ ذي برّ برّ حتى يقتل الرجل في سبيل الله، فليس فوقه برّ» (١).

وهذه الوحدة من الوحدات العبادية هي الأخرى قد تكون مستقلة عن غيرها من الوحدات التي عدّها الله في الآية وأفردها بالذكر ليعكس أهميّة الجهاد والمقاتلة وإنّ الصبر عليه له حسابه الخاص عند الله، فهو ليس كالصبر على مطلق البأساء والضراء من حيث الأهميّة وترتب الثواب، وقد تكون ضمن الوحدات التي يجب النظر إليها في إتيان المال من قبل المحسنين من المؤمنين لاحتياج الجهاد والمجاهدين إلى الدعم المالي، فيكون مقطع الآية هكذا: (وأتى المال على حبه للصابرين حين البأس).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرِّ بِالْحُرِّ
وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَعُ بِالْمَعْرُوفِ
وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ
فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿ وَالَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: ١٧٨-١٧٩)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيتين؟

ج:

١- كتب: ١- مطلق الثبوت. ٢- الوجوب والفرض.

٢- القصاص: ١- اتباع أثر الجاني. ٢- المجازاة بالمثل.

٣- الحر: ١- من لم يجر عليه حكم الشيء. ٢- خالص الشيء.

٤- العبد: من حكم عليه بالرقية.

٥- الأنثى: ما يقابل ذكر الرجل.

٦- العفو: محو الأثر.

٧- المعروف: هو ما رآه العقل حسناً ولم ينه عنه الشارع.

٨- الأداء: الإعطاء.

٩- التخفيف: ما يقابل الثقل، ومعناه يظهر عند الاستعمال، وله موارد استعمالية منها:

أ- باعتبار إضافته للوزن بالقياس إلى الآخر، درهم خفيف نسبة إلى الدرهم الآخر.

ب- باعتبار إضافته للزمان بالقياس إلى الآخر، فرس خفيف السرعة نسبة إلى

الفرس الآخر.

ج- باعتبار ما يستحليه الناس.

١٠- الاعتداء: تجاوز الحد.

١١- أولي الألباب: أصحاب العقول الخالصة، والألباب مأخوذ من لب الشيء.

وخالصه من الشوائب.

● حياة القصاص

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ

الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرِّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى﴾؟

ج:

١- أوجب وفرض الله على المؤمنين القصاص بالمعنى الخاص وهو القود في

خصوص القتلى، أي إذا قتل إنسان إنساناً فهنا من حق ولي الدم أن يقود القاتل

مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

للموت والقتل.

٢- أوجب وفرض الله القصاص بالمعنى العام وهو الاتباع والمعاملة بالمثل في

جميع الاعتداءات التي تحصل والتي من جملتها القتل، وعليه اشترط القرآن

المثلية ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ﴾ أي إذا قتل الحر حراً فيقاد به، ﴿وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾ أي إذا قتل

العبد المملوك عبداً مملوكاً يقاد به، ﴿وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى﴾ أي إذا قتلت امرأة امرأة

تقاد بها، وشرط المثلية هذا لا يكون في خصوص القتل فقط وإنما يشمل غيره

﴿وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ (المائدة: ٤٥).

٣- أن المثلية والمساواة التي هي شرط القصاص لا تجري في الكيفية وإنما في

الكم والنوع والجهة، فمثال الأول لو قتل إنسان إنساناً آخر بالسلاح فالإعدام

بواسطة الحبل يكفي في حصول قتل القاتل، ومثال الثاني لو أن إنساناً قطع

نصف الأذن اليمنى لشخص فيقطع نصف أذن القاطع اليمنى لا كلها ولا اليسرى.
 ٤- أن القصاص الذي يطرحه القرآن بهذا الشكل يمثل الحالة الوسطية في الجزاء،
 فقد تأخذ بعض الشعوب العفو أو الدية كحالة ثابتة للحكم على القاتل، وقد
 تأخذ بعض الشعوب الحكم على الأكثر حين القتل أو تأخذ بعدم المماثلة
 والمساواة في إجراء حكم القتل، فجاء الإسلام يمثل الحالة الوسطية في أحكام
 القتل من القصاص والمماثلة في القتل والعفو بالدية أو غيرها، وهذا النوع من
 التنظيم والترتيب هو الذي يعتبر الحالة الوسطية التي تمثل العدل في الجزاء
 والقانون الجنائي، فلا إفراط في العفو ولا تفريط في القتل، ولا إفراط وتفريط
 بالعفو والقصاص، ولا قصاص دائم لوجود العفو، ولا عفو دائم لوجود
 القصاص، ولا قتل لأبرياء لوجود المثلية والمساواة في القصاص، ولا عفو دائم
 يتيح الفرصة للجريمة أن تتحرك بحريتها في الوسط الاجتماعي.

٥- أن كرامة الإنسان محفوظة عند الله ولا فرق في احترام النفس بين الحر والعبد
 والذكر والأنثى، فكل من يعتدي على أحدهما قتلاً أو جرحاً يقاد به و يقتص
 منه، وما يرفعه الإسلام من المساواة ليس شعاراً مجرداً عن الحقيقة، بل هو
 سلوك عملي رتب عليه الإسلام قوانينه في مجالي الاحترام والاعتداء.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله أتى بامرأة لها شرف في
 قومها قد سرقت، فأمر بقطعها، فاجتمع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ناس من قريش
 وقالوا: يا رسول الله، لقطع امرأة شريفة مثل فلانة في خطر يسير؟! قال: نعم،
 إنما هلك بنو إسرائيل لأنهم كانوا يقيمون الحدود على ضعفائهم ويتركون

أقوياءهم وأشرفهم فهلكوا»^(١).

س: ما هو التعريف الاصطلاحي للقصاص؟

ج:

القصاص: استيفاء أثر الجناية من قتل أو قطع أو ضرب.

س: هل القصاص حالة مستحدثة في الدين الإسلامي، أم له وجود في بقية

الديانات السماوية؟

ج:

للقصاص وجود في جميع الديانات السماوية وبعد حصول أول جريمة قتل بين ابني آدم حينما قتل قابيل هايل ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنْ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ (المائدة: ٣٢)، ﴿ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴾ (الكهف: ٧٤)، فموسى ﷺ يعترض على ما فعله النبي (الخضر) وكان وجود القصاص حالة مرتكزة عند كل الأنبياء والمؤمنين، وأنها حالة ضرورية الوجود لا يحتاج إلى إثبات وجودها شيء، وكذلك وجود القصاص عند عيسى بن مريم ﷺ ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ وَقَفِينَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ

(١) المستدرک ١٨/٧: ٢١٨٣٤.

التَّوْرَةَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى
وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿المائدة: ٤٥-٤٦﴾.

س: هل قصاص النفس في القرآن يجري في كل قتل؟

ج:

القتل على نوعين في القرآن من حيث قصد القاتل وهما:

١- قتل العمد، وهو قصد القاتل بإزهاق الروح المحترمة عمداً وظلماً، وفيه يكون

وليّ الدم مختيراً بين قود القاتل أو العفو بأخذ الدية أو بعضها أو بدونها.

٢- قتل الخطأ، وهو إزهاق الروح المحترمة من دون قصد العمد في ذلك، وفيه

يكون وليّ الدم مختيراً بين أخذ الدية أو العفو عن شيء منها أو كلها، قال تعالى:

﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ

يَصَّدَّقُوا﴾ (النساء: ٩٢). *مكتبة كالمبيوتر علوم إسلامي*

س: ما هو المحتمل المراد من قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ

فَاتَّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾؟

ج:

١- أن هذا الخطاب جاء بعد تبيان الحق الأولي للإنسان المعتدى عليه سواء كان

قوداً أو غيره وهو القصاص، وهذا الحق يكون محفوظاً للإنسان سواء مارسه

بالفعل أو لم يمارسه لمانع من الموانع، وهو محفوظ له سواء في حياته أو بعد

مماته؛ لأنّ هذا النوع من الحق يورث وينتقل إلى الورث ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً

فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَاناً فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً﴾ (الإسراء: ٣٣)، فبعد

بيان الحق الأولي وهو القصاص جاء هذا الخطاب ليبين الحق الثاني للمقتص له

وهو العفو عن القاتل أو المعتدي بصورة عامة.

٢- أن العفو حق جعله الله تحت اختيار المقتص له لا أنه مكره أو شيء مفروض عليه، كما أن أصل القصاص ليس مفروضاً على الولي، وبهذا يراعي الإسلام مشاعر الإنسان ودوافعه في القصاص أو العفو ويجعله مختيراً بينهما بحسب ما يراه الولي من الضرورة حسب ما يعيشه الولي من الظروف الاجتماعية التي قد يقدم القصاص فيها على العفو وقد يكون العكس مع موازنته بما يرغب الشارع المقدس فيه إلى العفو ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (الشورى: ٤٠).

٣- أن للعفو شكلين:

الأول: العفو عن القصاص بعوض كالدية كاملة إذا كان قتلاً أو نصفها إذا كان القصاص يعادل نصف الدية كقطع يد أو خلع عين مثلاً، وهنا يشترط قبول المعتدي.

الثاني: العفو عن القصاص من دون عوض، وهذا هو الراجح في الشرع عند عدم الضرر، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «مَنْ عَفَا عَنْ دَمٍ لَمْ يَكُنْ لَهُ ثَوَابُ الْجَنَّةِ»^(١)، وعنه أيضاً: «مَنْ أُصِيبَ بِجَسَدِهِ بِقَدْرِ نِصْفِ دَيْتِهِ فَعَفَا كَفَّرَ اللَّهُ عَنْهُ نِصْفَ سَيِّئَاتِهِ، وَإِنْ كَانَ ثَلَاثاً أَوْ رِبْعاً فَعَلَى قَدْرِ ذَلِكَ»^(٢).

٤- إذا حصل العفو بعوض، فهنا ينبغي على الذي له الحق ﴿فَاتَّبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ﴾ ألا يتشدد في الطلب، ولا ينبغي للذي عليه الحق أن يماطل في الأداء ﴿وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ﴾

(١) كنز العمال ١٥: ١٣/٣٩٨٥٤.

(٢) كنز العمال ١٥: ١٤/٣٩٨٦١.

بِإِحْسَانٍ»، فَإِنَّ هَذَا النُّوعَ مِنَ التَّعَامُلِ مِنَ الطَّرْفَيْنِ فِي التَّشْدِيدِ وَالْمَعَامَلَةِ يَزِيدُ الضَّغِينَةَ وَيَبْقَى الْاِخْتِلَافُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ وَرَبَّمَا يَحْصُلُ التَّعَدِّيُّ إِلَى أَشْيَاءٍ أُخْرَى لَا تَحْمَدُ عَقْبَاهَا.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «فِيَنْبَغِي لِلَّذِي لَهُ الْحَقُّ أَلَّا يَعْسُرَ أَخَاهُ إِذَا كَانَ قَدْ صَالَحَهُ عَلَى دِيَّةٍ، وَيَنْبَغِي لِلَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ أَلَّا يَمْطُلَ أَخَاهُ إِذَا قَدَّرَ عَلَى مَا يُعْطِيهِ، وَيُؤَدِّي إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ»^(١).

٥- أَنْ الْعَفْوَ سِوَاءَ كَانَ بِعَوْضٍ أَوْ بِغَيْرِهِ فَهُوَ لَا يَخْرُجُ عَنْ كَوْنِهِ تَخْفِيفًا مِنْ اللَّهِ يَرْجِعُ عَلَى نَفْسِ الْمُعْتَدِي فَقَطْ، وَلَكِنْ يَبْقَى الثَّقَلُ الْأَكْبَرُ لِلْقَصَاصِ، وَتَبْقَى الْحَيَاةُ قَائِمَةً بِالْقَصَاصِ، وَيَبْقَى الْقَصَاصُ هُوَ الْمَوْتُ الَّذِي يَزُودُ الْحَيَاةَ بِعُنَاصِرِهَا مِنَ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ الْاجْتِمَاعِيِّ.



س: مَا هِيَ الْمَحْتَمَلَاتُ الَّتِي تَرُدُّ فِي مَا هُوَ الْمَشَارُ إِلَى فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾؟

ج:

١- (العفو عن المعتدي)، قد يكون العفو بالعوض أو بدونه هو عملية تخفيف على المعتدي قد جعل من قبل الله ومن نتاج رحمته سبحانه.

٢- (القصاص)، قد يكون كتابة القصاص من قبل الله تخفيفاً على العباد من باب رحمته، لأنه إذا أُجْرِيَ الْقَصَاصُ فِي الدُّنْيَا وَكَانَ رَادِعاً لِلْمُعْتَدِي وَتَابَ وَأَصْبَحَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَسَوْفَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِ، أَمَّا إِذَا بَقِيَ الذَّنْبُ بِدُونِ قَصَاصٍ فَسَوْفَ يُطَالَبُ بِهِ فِي الْآخِرَةِ وَسَوْفَ يَحْصُلُ الْمُعْتَدِي عَلَى الْعَذَابِ

(١) الكافي ١/٣٥٨٧.

الأيمن الذي لا يقاس بعذاب الدنيا وقصاصها، فكتابة القصاص من قبل الله هو تخفيف للعذاب نسبة لعذاب الآخرة، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «لا يمرّ السيف بذنب إلا محاه».

٣- (عفو ولي الدم)، قد يكون العفو تخفيفاً لأولياء الدم، حيث بالعفو تمحي عن العافي الكثير من الذنوب وتخفف عنه الكثير من الأوزار يوم القيامة ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (الشورى: ٤٠)، ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ (النحل: ١٢٦).

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَنْ اغْتَدَى بِعَدَى

ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؟



ج:

١- ﴿فَمَنْ اغْتَدَى بِعَدَى ذَلِكَ﴾ أي بعد ما أعطى ولي الدم عفو القتل عن القاتل ثم اغتدى فقتله ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فيقتل ولي الدم لقتله القاتل، لأن القاتل بعد العفو عنه يصبح نفساً محترمة لا يجوز قتلها من قبل ولي الدم، وله عذاب كذلك في الآخرة لمخالفته عفو القتل.

٢- ﴿فَمَنْ اغْتَدَى بِعَدَى ذَلِكَ﴾ أي القاتل إذا اعتدى بالإضافة إلى القتل بما يوجب التعزير مثلاً ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي يقدم التعزير ثم القتل.

٣- ﴿فَمَنْ اغْتَدَى بِعَدَى ذَلِكَ﴾ أي القاتل إذا اعتدى بقتل أو بغيره ولم يؤدبه العفو ولم يتب إلى الله ولم يتق الله من معاصيه ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة.

٤- ﴿فَمَنْ اغْتَدَى بِعَدَى ذَلِكَ﴾ أي ولي الدم أو الحاكم الشرعي الذي أجرى القصاص في أنه تعدى بأكثر ما يستحقه المقصود منه ولم تجر المساواة والعدل في

حقه أو مثل بجسده ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الدنيا حيث يوجد جزاء على مخالفته للعدل وهو من حق المقصوص منه، وله عذاب أليم في الآخرة؛ لأنه لم يحترم قانون الجزاء في الإسلام ولم يُراعِ حرمة الله في الحكم والتطبيق.

٥- ﴿فَمَنْ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أي بعد ما كتب القصاص على المعتدي ونظمت الحالة القانونية له وأنه بيد الحاكم الشرعي فلا اعتداء بعد ذلك على المعتدي كيفما شاء ولا اعتداء على غير القاتل من الناس كما هي بعض العادات والتقاليد عند العشائر الذين إذا قتل منهم شخص هددت عشيرة القاتل بأكملها رجالها ونسائها وسفكت الدماء بدل الدم الواحد، فعلى الجميع احترام القانون الإلهي وعلى الجميع ألا يتجاوزوا الحاكم الشرعي الذي يجري القانون؛ لأنه أسلم طريق لجريان العدل والتخلص من الانفعالات التي تصدر من هنا وهناك.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا بِخَمْسَةِ أَسْيَافٍ: سَيْفٍ مِنْهَا مَغْمُودٌ سَلَّهُ إِلَىٰ غَيْرِنَا وَحَكْمَهُ إِلَيْنَا، فَأَمَّا السَّيْفُ الْمَغْمُودُ فَهُوَ الَّذِي يَقَامُ بِهِ الْقِصَاصُ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَجْهَهُ: ﴿النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ الآية، فَسَلَّهُ إِلَىٰ أَوْلِيَاءِ الْمَقْتُولِ وَحَكْمَهُ إِلَيْنَا»^(١).

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في ما هو المراد من قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾؟

ج:

١- القصاص بأي شكل ضرورة يفرضها العقل والواقع وقد جرى على الأرض في المجتمعات قديماً ويجري حديثاً سواء كتبه الإسلام على المؤمنين أم لم يكتبه،

والمجتمع فيه الصالح والطالح وفيه العادل والظالم وفيه العالم والجاهل وفيه من يمتلك العادات الحسنة وفيه من يمتلك العادات السيئة وفيه القوي والضعيف، فعندما يترك القصاص بيد هذا المجتمع الذي تتحكّم عليه النزوات والشهوات معناه سيتحوّل القصاص إلى آلة من آلات الظلم والإرهاب، وحالة من حالات التعدي على الآخرين التي تهدّد الكيان الاجتماعي وتجعله يعيش حالة القلق والخوف والخنوع والاضطراب وعدم الاستقرار، وبمعنى آخر تجعل المجتمع يعيش حالة الموت من الحرية والإبداع والتفكير.

وأما وجود القصاص من قبل الله الذي يعني أنّ من خلاله قد وزّع حقّ القصاص على كلّ فرد من المجتمع، فعندما يُعتدى على شخص مهما كان يكون له حق المطالبة بالقود وغيره حتّى لو كان ذلك الشخص المعتدي يمثل أعلى المراكز في المجتمع، ومن حقّه أن يجزّه إلى أي محكمة من محاكم العدل والإنصاف، وبهذا سيشعر كلّ فرد هو حاكم بنفسه يحمل القانون أين ما ذهب والذي يجعله يعيش حالة الاطمئنان والاستقرار والقوّة والحماية.

فالقصاص هو نوع من السلاح الذي يمتلكه كلّ فرد يستعمله ضدّ المعتدين، فلا فرد ضعيف في المجتمع؛ لأن الله منحه حق استخدام القانون، ولا فرد ظالم في المجتمع لملاحقة القانون له، وهو معنى الحياة الاجتماعية التي يمنحها وجود القصاص الإلهي، ورد عن الرسول ﷺ أنّه قال: «أَيُّهَا النَّاسُ أَحْيُوا الْقَصَاصَ وَأَحْيُوا الْحَقَّ وَلَا تَفَرَّقُوا وَأَسْلَمُوا تَسْلَمُوا»^(١).

٢- معنى القصاص اتباع المقتص نفس أثر القاص، وهذا يعني أنّ من أبرز الصفات

وأهمها في جريان حكم القصاص هي المثلية والعدل والمساواة، ولهذا استعمل الله لفظ القصاص في خطابه هذا ليلفت أنظارنا إلى أهمية العدل والمساواة والمثلية في إجراء الأحكام والجزاء؛ لأن القصاص من الله هو العدل الذي يريد أن يظهره على الأرض وفي كل جهة من جهات نظامه ومنهجيته، فكل شيء مباشر منه سبحانه ومظهر من مظاهر العدالة الإلهية، ويريد أن يكون قضاؤه في الأحكام والقصاص، بل وكل شيء يصدر بواسطة الإنسان يمثل منهجية السماء وأن يكون منسجماً مع الكون والحياة المبنية على العدل والمساواة، فالعدل والمساواة دعوة إلى مجانسة عناصر الحياة وانسجام بين كل ما هو صادر من الله، فالحياة بدون العدل والمساواة لم تكن حياة كاملة ومنسجمة مع الكون والحياة، بل هي حياة الوحوش والغابات، ففي القصاص - أي العدل والمساواة - طعم الحياة الحقيقية. ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ﴾ (النحل: ١٢٦).

٣- حافظ الله على العدل والمثلية والمساواة في تطبيق القصاص من خلال ما بشره القائم عليه من الحكام من الثواب الجزيل في الآخرة ومن خلال ما واعد عليه من الجزاء الشديد من العذاب عند الزيغ عنه ولو قليلاً، وهذا النوع من الطمع في الآخرة والخوف من العذاب لا يلتزم به أحد إلا المؤمنون، فالعدالة والمثلية والمساواة التي هي من ملازمات القصاص وقوام حياته لا يجسدها إلا المؤمنون، ولا تبرز على الواقع العملي إلا إذا أُجري القصاص على أيدي المؤمنين، ولهذا جاء الخطاب موجهاً إلى المؤمنين، فالمؤمنون هم الذين يعطون الحياة للقصاص من خلال تطبيقه على ما يريد الله منهم، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «إن أمير المؤمنين عليه السلام أمر قنبر أن يضرب رجلاً حداً فغلط

قنبر فزاده ثلاثة أسواط، فأقاد عليؑ من قنبر بثلاثة أسواط»^(١).

٤- أن القصاص حق من الحقوق التي تنتقل بالوراثة إلى الوارث، فلا يموت بموت صاحبه، فيمكن أن نقول: إن في القصاص نوعاً من أنواع الحياة بهذا اللحاظ وهو بقاؤه حياً على الرغم من موت صاحبه الأولي.

٥- أن القصاص ينقذ القاتل حين يهّم بقتل شخص؛ لأنه عند هّمه بقتل شخص سوف يتذكر القصاص الذي يلاحقه فيمتنع عن قتله فلا يقاد به، وبهذا امتلك حياته بامتناعه من القتل، والقصاص أنقذ حياة الشخص الذي هّم القاتل بقتله، والقصاص أنقذ الناس من القتل؛ لأنه حصر القتل على القاتل لا كما عليه بعض الدول الظالمة التي إذا قُتل منها شخص تهّد دولة كاملة وتشعل الحرب عليها ويذهب ضحيتها الآلاف من الأبرياء.

ورد عن الإمام زين العابدينؑ في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ أنه قال: «... لأن من هّم بالقتل فعرف أنه يقتص منه فكفّ لذلك عن القتل كان حياة للذي كان هّم بقتله، وحياة لهذا الجاني الذي أراد أن يقتل، وحياة لغيرها من الناس إذا علموا أن القصاص واجب لا يجسرون على القتل مخافة القصاص»^(٢).

٦- لا تتصوّروا يا أصحاب العقول أن القصاص نوع من أنواع الإرهاب والوحشية والبشاعة لما فيه القتل أو القطع؛ لأنه صحيح أن القصاص فيه الموت وقطع الأعضاء الذي يجري على العدد القليل جداً من الناس لكنّه من أجل أن يحافظ

(١) وسائل الشيعة ١٧:٢٨/١٧٠٦/٣٤١٠٦.

(٢) وسائل الشيعة ٢٩:٥٤/٣٥١٣٦/٣٥١٣٦.

على الأكثرية الساحقة منهم، ففي القصاص حياة لكونه ضماناً لحياة أكثرية الناس، وإنَّ المصلحة العامة قائمة بالقصاص الذي وضع لأجلها، وأنه لا مجال للمشاعر العاطفية التي تتولد عند مشاهدة قتل القاتل وإنَّما المجال للعقل الذي يتحرَّك ليفكر بالنتائج الإيجابية في إطارها الاجتماعي العام، ولهذا جاء الخطاب موجَّهاً لأصحاب العقول لا لأصحاب العواطف المجرَّدة عن أي حركة عقلية في هذا المجال.

ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «فرض الله الإيمان تطهيراً من الشرك ... والقصاص حقناً للدماء»^(١)، وتشم في اختصاص الخطاب لأولي العقول أي المكلفين دون الأقل منهم عمراً، فإنَّ القصاص لا يعينهم.

٧- أنَّ القتل لا ينحصر سببه بالأموال والمشاكل الماديَّة والتشنَّجات العاطفية، بل قد يتعدَّى سببه إلى الاختلاف العقائدي المرتبط بعالم الغيب كما نرى بعض السلطات الظالمة تعدم وتسجن بعض الناس لإيمانهم بالله وسعيهم ودعوتهم إلى الله، وكما نرى بعض الصراعات الطائفية التي تحدث هنا وهناك بين الحين والآخر بين المسلمين والهندوس وبين الصهاينة والمسلمين وبين المسيحيين والمسلمين ... وهكذا.

والإسلام بهذا اللحاظ العقائدي لم يفرِّق بين الفرد الموحد لله والمجتمع الموحد لله، فإنَّ قتل فرد أو جماعة لأجل ما يحملون من عقيدة التوحيد هو فساد في الأرض وهو قتل للناس جميعاً؛ لأنَّ القاتل يريد في كلِّ الأحوال مواجهة حقيقة واحدة وهي اكتساح عامل الغيب ومحاولة قلعه من صدور الناس

وقلوبهم وأفكارهم ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ
النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (السائدة: ٣٢٢).

وإنَّ حقيقة الحياة الاجتماعية في نظر الإسلام لا تتحقق إلا بعامل الغيب
وتوحيد الله عند كل الناس، فالإيمان بالله واليوم الآخر عماد الحياة في نظر
الإسلام، فقتل هذا العامل في نفوس الناس معناه مواجهة لحقيقة الحياة
وعمادها الذي يريد الله أن يثبتته على الأرض، وإنَّ إزاحة هذا العامل معناه
إزاحة سعادة الناس القائمة على الإيمان بالله ومطلق الغيب، فإذا ترك القاتل
الذي يسير بهذا الاتجاه من دون قصاص معناه تهديد للقيمة التي ترفد المجتمع
بعناصر الحياة الحقيقية وبالتالي لا يكون بديلاً إلا الفساد في الأرض والتجرؤ
على الإنسانية بأعلى مستوياتها ولا تبقى قيمة لمقدسات الفرد أو المجتمع.

وبهذا نعرف دور القصاص الذي يلاحق مثل هذا النموذج من القاتلين ليفتح
المجال أمام عامل الغيب لأن يسري مسراه الطبيعي في قلوب الناس وأفكارهم
ليعيشوا جوهر الحياة وحقيقتها التي أرادها الله من الفرد والمجتمع على حدِّ
سواء.

٨- أن هذا الخطاب يعكس فصاحة البيان وبلاغته في أروع صورها، ويعكس
الإعجاز في القرآن لاختصار الخطاب بما تتم فيه الفائدة وإقراراً لأهمّ المسائل
وهو القصاص الذي ينبعث من الوحشية والقتل والتقطيع ليعطي الحياة بألفاظ
عذبة تدخل إلى السامع لها في أجواء الراحة.

س: لقد سلطتم الضوء في النقطة الأخيرة من جواب السؤال السابق على
الإعجاز البلاغي للقرآن من خلال هذه الآية. اذكر النقاط البلاغية

الموجودة في هذا الخطاب ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي
الْأَلْبَابِ﴾.

ج:

أولاً: التطابق بين القصاص والحياة، فإنَّ الأوَّل يقابل الثاني.

ثانياً: فصاحتها في ثلاثم الألفاظ وعذوبتها وسلامتها ورسانتها في الأسلوب،
وإيجاز في العبارة، وقد أجمعت بين جمال اللفظ وسمو المعنى.

ثالثاً: اشتمالها على جعل الضد متضمناً لضده أي الحياة والموت.

رابعاً: تعريف القصاص بلام الجنس ليشمل كلَّ أنواع القصاص من القتل
والجرح والضرب.

خامساً: جعل الحياة نكرة (حياة) وهذا فيه احتمالان:

١- للاستشعار بأنَّ في القصاص حياة عظيمة

٢- أنَّ القصاص لم يكن سبباً لمطلق الحياة بل لنوع منها ولدائرة فيها.

سادساً: جعل القصاص ظرفاً للحياة، لبيان أنَّ القصاص يحمي الحياة من
الآفات الاجتماعية.

سابعاً: أبرز الحياة بشكلٍ جعلها هي الأساس وأنَّ القصاص وسيلة إليها.

ثامناً: إطلاق القصاص الذي يعني أن في كلِّ قصاص حياة.

تاسعاً: شمولها على التسلية لأولياء المقتول.

عاشراً: اشتمالها على التخويف والارتداد لمن تسوَّل له نفسه الوقوع بالجريمة.

الحادي عشر: تحريض المجتمع الذي تقوم به الحياة على حفظ الأفراد.

الثاني عشر: أسلوب عذب يشارك في قلع أكبر الجرائم من نفوس الناس.

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾؟
ج:

١- المجتمع عندما يعيش وجود القصاص يتقي الجريمة والمعصية، فيكون القصاص أحد طرق الردع والتربية التي يرجى منها حصول المجتمع على التقوى، وإذا حصل المجتمع على التقوى حصل على بركات الله وزادهم من خيرات الأرض، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «لو حفظتم حدود الله سبحانه لعجل لكم من فضله الموعود»^(١).

٢- لعلكم تتقون الله من خلال محافظتكم على إجراء القصاص وتطبيقه في الحياة الاجتماعية، ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: «حدّ يقام في الأرض أزكى من عبادة ستين سنة»^(٢).

٣- أيها العقلاء الذين وقعتم في الجريمة ليجر القصاص عليكم لعلكم تحصلون على التقوى، ورد في (صحيح مسلم): أن امرأة أتت نبي الله صلى الله عليه وسلم وهي حبلى من الزنى، فقالت: يا نبي الله، أصبت حدّاً فأقمه عليّ. فدعا نبي الله وليها، فقال: «أحسن إليها، فإذا وضعت فأتني بها»، ففعل، فأمر بها نبي الله فشكّت عليها ثيابها، ثم أمر بها فرجمت، ثم صلى عليها. فقال له عمر: تصلي عليها يا نبي الله وقد زنت؟! فقال: «لقد تابت توبة لو قُسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى؟!»^(٣).

(١) غرر الحكم: ٣٩٧٣/٢٠٠.

(٢) المستدرک ١٨: ٩/٢١٨٤٣.

(٣) الكافي ٧: ٣/١٧٤.

٤- أنَّ القصاص حكم من الأحكام الشرعية، فكما تحيون بقيّة الأحكام الشرعية من خلال ممارستكم العملية لها رجاء لحصول التقوى من خلال إحيائها والعمل بها، فإنَّ القصاص لا يختلف عن بقيّة الأحكام الشرعية، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «إقامة حدّ خير من مطر أربعين صباحاً»^(١).

س: ما هي أهم الإشكالات التي طرحت حول وجود القصاص في الإسلام؟
ج:

أولاً: أنَّ القتل بالقتل ممّا يستهجنه الإنسان وينفر عنه طبعه ويعدّ حالة متخلّفة قد تجاوزها الزمن لدى الشعوب الراقية والقانون المتطوّر للعقوبات المناسب للتكوين الجديد للمجتمعات.

ثانياً: إذا كان القتل الأوّل الذي حصل من قبل المعتدي يُعدّ فقداً لفرد فإنّ القتل من قبل القصاص هو فقد لفرد كذلك، فتكون النتيجة فقداً على فقد.

ثالثاً: أنَّ القصاص ناتج عن القسوة وحب الانتقام، وهذه الصفة يجب إزالتها من الناس بطريق التربية العامّة، ويؤخذ القاتل أيضاً بعقوبة التربية، وذلك يحصل بما دون القتل من السجن أو الأعمال الشاقّة.

رابعاً: أنَّ المجرم إنّما يكون مجرماً إذا كان مريض العقل والنفس فالواجب أن يوضع القاتل المجرم في المستشفيات العقلية ويعالج فيها.

خامساً: أنَّ القوانين المدنية تتبّع الاجتماع الموجود، ولمّا كان الاجتماع غير ثابت على حال واحد كانت القوانين كذلك، فلا وجه لثبوت القصاص بين المجتمعات للأبد.

(١) الكافي ٧: ١٧٤/٣.

سادساً: يمكن أن تكون هناك عقوبات تعطي نفس نتيجة القصاص وتجمع بين حق المجتمع في المحافظة على أفرادهِ وبين حق ولي الدم وذلك كالحبس المؤبد أو الحبس مدة طويلة.

سابعاً: أن الإسلام دين الرحمة والعطف والرأفة والتحبب والشفقة، وإن القصاص بالقتل وتقطيع الأعضاء منافع لهذا الخط العام للإسلام.

س: ما هو المحتمل من الجواب على ما طرح على القصاص من الإشكالات التي ذكرتم بعضها؟

ج:

١- أن الإنسان بفطرته يحب البقاء، ويطرد كل ما يسلب عنه الحياة ويمحو وجوده في الحياة، وعليه لا يستهجن الإنسان فيما إذا شاهد إنساناً يريد قتله يقيناً، بل يدفع عنه القتل حتى لو كان يقتل الآخِر الذي يريد أن يقتله إذا انحصر طريق التخلص منه بالقتل، وهذا دافع فطري عند الإنسان كما هو دافع غريزي عند الحيوان.

٢- أن الإسلام عندما جاء وهو ناظر إلى حقيقة الإنسان لما يحمل من قابلية الفجور والتقوى ولما يحمل من الأضداد، وإن قابلية الفجور إذا طغت لا يسيطر عليها عقل ولا إيمان بغيث، بل تحتاج إلى رادع ملموس بمستوى ما يهّم به الشرير ويدفعه إلى عمل الجريمة، ومهما طغى الفجور ووصل إلى أي درجة فعندما يرى أن ما يريد فعله بالناس يُفعل به مثله هنا سيكون الرادع الفعلي الذي يملأ تصوّره ويسيّطِر على جميع حساباته التي ملأها تخيُّله وانفعالاته التي تتولد عنده نتيجة عدم قدرته على مواجهة المشكل، فكان القصاص الذي يحدّد

وينظم ويمنع بصورة منسجمة مع هذا الجانب من واقع الإنسان، فالذي يمنح القصاص معناه جاهل بنفسه وما تحمل من القوى والاستعدادات المضادة.

٣- أيّ شعب وقانون راقٍ هذا الذي تتحدّثون عنه وهو يعطي الحرية للقاتل! هل هو القانون الذي تغافل عن حقوق المجتمع وواجباته عليه من توفير الأمن والأمان له بحيث جعل أفراده لا يأمن أحدهم على حياته إلا وهو يحمل السلاح؟! وهل رقي القانون في أن يجري على الشعب الذي تحدث فيه جريمة القتل على عدد الساعات؟! أو ليس هذا الرقي من القانون هو الذي منح القادة السياسيين أن يشنوا أوسع الحروب وحشية وإرهابية ودماراً؟! فإنّ الرقي ليس هو الرقي الصناعي ولا الرقي الذي يفقد الأخلاق وقيمة الإنسانية السامية، وليس الرقي أن يسلب ضوء الاهتمام على جانب من الرقي ويترك الجوانب المهمة الأخرى منه، فإنّ التنظير العملي لشيء لا يأتي ولا يجري في العالم البعيد عن الواقع، فإنّ الذي جرّأ السلطات الظالمة على أن تقود الإنسانية إلى الدمار من خلال الحرب هو شعور السلطة مهما أخطأت فهي محميّة من المحاسبة وأنّ وجود المحاكم لم يكن هم المعنويون بها، فلو كان كلّ عنصر من عناصر السلطة يشعر كغيره من الأفراد أنّه محاسب على دم يراق من هنا وهناك بسببه وأنّه يقاد به فلا يتجرّأ أحد منهم على أن يقدم على هذا الدمار الشامل للإنسانية.

ونحن إذ نعيش اليوم بداية محاسبة السلطة الجائرة التي بدأت الحرب وزرع شعور ملاحقة القانون لها ويقاد رئيسها إلى المحكمة بعنوان مجرم حرب، فلو طبّق هذا القانون بصورة عادلة ومساواة لرأيتم أثره الإيجابي في تقليص وتحديد جانب الحروب التي تهدّد الإنسانية بين الحين والآخر، فهو وإن جاء

متأخراً ولكنه يعدّ خطوة لا بأس بها للاعتراف بأهميّة القصاص الذي جاء به الإسلام منذ العصر الأوّل لوجود الإنسان وحملة جميع الديانات كما بيّنا ذلك، وتكمل خطواته عندما ينزل إلى الشارع الاجتماعي ليشعر بوجوده كلّ الأفراد حتى يكون رادعاً وعاملاً تربوياً يقطع حصول الجريمة من أساسها، وعندما لا يصل الإجماع عند أحد من أفراد السلطة التي يتسلّط من خلالها على رقاب الناس التي هي أمانة بيده.

٤- أن القتل يستهجنه كلّ إنسان ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾ (البقرة: ٢١٦).

ولكن من العدل والإنصاف ألاّ تنظر بالدافع العاطفي هذا إلى طرف واحد وهو قتل القاتل، بل الاستهجان يحدث بالطرف الآخر كذلك وهو عندما تطلع على تحرك القاتل وهو يقتل الطفل البريء والرجل البريء والمرأة البريئة الضعيفة فرداً أو أفراداً ومجاميع، بل لو اطلعت على القاتل وهو يجري عملية القتل بتلك الصورة البشعة وبذلك الانفعال الإجرامي وتلك اللامبالاة بالإنسانية ومشاعرها وأحاسيسها واللامبالاة بالآثار السيئة الذي يتركه قتل المقتول لرأيت أن الاستهجان لعمل القاتل يصل إلى ذروته، فكيف أجاز القانون الراقي أن يترك الاستهجان الأكبر من دون اهتمام وبهتّم بالاستهجان الأصغر؟! وهل يتساوى الشعور بالاستهجان بين قتل الأبرياء وقتل قاتلهم؟! وهل أن فقد نفس أو نفوس من الأبرياء هو كفقدهم القاتل الشرير؟! أيهما أكثر استهجاناً أن أقطع الإصبع المصاب بالسرطان لأحافظ على بقيّة الجسم من سريان المرض أم أتركه ليسري المرض إلى جميع البدن فيقتله؟! وهل يعدّ فقد الإصبع كفقده البدن؟!.

٥- لو فرضنا وجود مجتمع وقانون راقٍ يعتمد عامل التربية، ويخضع القاتل كذلك

إلى عامل التربية دون القتل، فنقول:

أولاً: نحن لم نحكي عن مجتمع نموذجي مفترض الوجود، وإنما نحكي عن كل المجتمعات والإنسان أين ما يكون؛ لأنّ كلامنا في القانون الكلي الشامل لكل الناس والمجتمعات.

ثانياً: أنّ الإسلام لم يترك القصاص لوحده في أن يكون هو السيّد والمتفرد في الجزاء، بل وضع إلى جانبه العفو الذي هو عنصر من عناصر التربية، وإنّ الإسلام هو القائم على هذا الأساس من التربية الفردية والاجتماعية الذي يسبق الوقوع في الجريمة، وإنّ وقوع المجرم في الجريمة يكشف عن عدم تأثير عامل التربية العامّة فيه، وإنّ أكثر الجرائم تحصل من السجناء تكشف عن أنّ التربية الخاصّة بالمجرمين لا تكفي إن لم يلاحقهم العامل الأعلى لمنع جريمة القتل وغيرها وهو القصاص. لأنّ المجرم هو الآخر يحبّ وجوده في الحياة ويخاف من كلّ شيء يحاول سلبها عنه، فإذا رأى المجرم ومن يضر في سريره الخبيثة قتل الآخرين أنّ هناك جزاءً مثله يسلب حياته كما يسلب حياة الآخرين سوف لا يتقرّب على فعل القتل. فلا منافاة بين الوجودين التربية والقصاص، بل كلّ تربية.

نعم، من حيث التصوّر والإمكان يمكن أن نتصوّر وصول المجتمع إلى الحالة المثالية التي عندها لا تحتاج السلطة إلى السجون وقوانين الشدّة فيرفع عنها كلّ ذلك، ولكن نقول: حتّى لو وصل المجتمع إلى هذه الحالة المثالية المفترضة فإنّنا نحتاج إلى أن تبقى مثل هذه القوانين ولو على مستوى الإنشاء؛ لأنّها تساهم في ضمان ديمومة هذه الحالة المثالية المفترضة واستمرارها، ونبقى نقول: إنّ هذه

الحالة ممكنة في عالم التصور فحسب ولا يمكن أن تتحقق على الأرض لما هو موجود من القوى المضادة من الشيطان وحب الدنيا والنفس الأمارة بالسوء التي هي خارجة عن دائرة السلطة ولا يشدّ عنها فرد من أفراد المجتمع، فتبقى حالة الصراع بين القوى المضادة التي يمتلكها الإنسان هي الحالة القائمة في دنيا الأرض.

٦- لو فرض المحال وهو أن كل قاتل هو ذو مرض نفسي أو عقلي كما يقول صاحب الإشكال الرابع، فسوف يمكنني أن أضع للقاتل قانوناً يطّلع عليه الجميع، وهو أنه لا قتل للقاتل وإنما القاتل يمتلك نوعاً من المرض النفسي أو العقلي فيجب على السلطات أن توفر له العناية التامة والمراعاة الخاصة كأبي مريض، تصور هل تنتهي جريمة القتل بتقديم هذا العذر أم على العكس من ذلك؟! وتصور كم من المجرمين سبّروا جريمتهم وثبتت براءتهم بعد أن قتل العديد من الناس بهذه الحجة؟! وتصور كم من المجرمين سيقدم المال ليكتب له الشفاء من المرض النفسي حتى لا يمر بتلك المستشفيات العلاجية المدعاة؟! أعتقد أن صاحب الإشكال الرابع هو بنفسه يحتاج إلى مثل هذا العلاج وإلى تلك المستشفيات.

٧- أن الإسلام دين الرحمة والشفقة الواسعة كما تقولون، ولكن فيه الشدة والعنف، ومن الخطأ أن ينظر إليه بالاتجاه الواحد، كما من الخطأ على الإسلام أن يسير باتجاه واحد مع ما تملكه البشرية من الأضداد والاستعداد للشر، فالإسلام قائم على أساس من التوازن والوسطية في التعامل والعلاقات، والإسلام الذي هو دين الحكمة لا يضع الشيء إلا في محله، فليس من الحكمة أن يستعمل

الرحمة في الموضع الذي يجب عليه التشديد واستعمال القوة، وهذا من الأمور العقلانية، فإنك ترى أرقى الحكومات التي تدعي الحرية والديمقراطية في نظامها ومعاملتها مع شعوبها إلا أنها لا تتخلى عن سجونها، بل هي تزداد يوماً بعد يوم ولم تنازل عن الإعدام التي سنته في قوانينها لعدم وجود المنافاة بين دعوى الحرية والديمقراطية وبين وجود السجون؛ لأن كل شيء حسب مورده، وهذا لا يعترض عليه عاقل ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (الأنعام: ١٥١)

س: ما هي الشروط التي يشترطها القرآن والسنة في قصاص النفس؟

ج:

- ١- التساوي والمماثلة في الحرية أو الرق، الحر بالحر والعبد بالعبد والأنتى بالأنتى.
- ٢- التساوي في الدين، فلا يقتل مسلم بكافر.
- ٣- ألا يكون القاتل أباً، بل على الأب القاتل الكفارة والدية والتعزير.
- ٤- كمال العقل، فلا يقتل المجنون.
- ٥- أن يكون المقتول محقون الدم.

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ
وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ
عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ﴿ فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا
فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (البقرة: ١٨٠-١٨٢)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيات؟

ج:

١- حضر: وجود الشيء بحيث يشعر الإنسان به بأحد حواسه.

٢- الوصية: ١- الوصل. ٢- العهد.



٣- بدّله: وضع شيء مكان شيء آخر.

٤- الموصي: الذي يوصي بشيء تحتية كالميراث علوم إسلامي

٥- الجنف: الميل والانحراف والخطأ.

● الوصية

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا

حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ... ﴾ ؟

ج:

أولاً: حقيقة الوصية: هي تملك عين أو منفعة حلالاً شرعاً تبرّعاً، أو تسليط

على التصرف ممّا لا يعتبر تدخلاً بشؤون الآخرين، من قبل الموصي العاقل بعد

وفاته إلى الموصى له الحي . وقد مرّ تعريف الوصية في وصية يعقوب عليه السلام.

ثانياً: أن هذه الوصية مختصة بالمال؛ لأنَّ ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ أي إن ترك مالا وهو:

١- غير الإرث؛ لأنَّ الإرث ليس للموصي التدخل فيه بوصية ولا بغيرها، وإنما

توزيعه يتم حسب ما رسمه الشارع، ورد عن محمد بن مسلم عن الإمام

الباقر عليه السلام أنه قال: سألته عن الوصية يجوز للوارث؟ قال: «نعم»، ثم تلا هذه

الآية ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾^(١).

٢- أن يكون المال معتداً به من حيث الكثرة ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ لا أن يكون مالا بسيطاً،

ورد عن عمار بن مروان عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: سألته عن قول الله ﴿إِنْ

تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ﴾ قال: «حق جعله الله في أموال الناس لصاحب هذا الأمر»،

قلت: لذلك حد محدود؟ قال: «نعم»، قال: قلت: كم؟ قال: «أدناه السدس

وأكثره الثلث»^(٢)، وتحديد الأكثر هنا حتى لا يجحف بحق الورثة.

وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه دخل على مولى له في مرضه وله سبعمائة درهم

أو ستمائة، فقال: ألا أوصي؟ فقال عليه السلام: «لا، إنما قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾

وليس لك كثير مال»^(٣).

ثالثاً: أن ذكر الوصية عند حضور الموت للإنسان يعني:

١- من باب لحاظ الوقت الأخير للإنسان الذي فيه يعرف الإنسان جميع ما له وما

عليه، وإلا فوصية الإنسان تكون على عدد ما يراه مهماً أن يوصي به لعدم علمه

(١) الكافي ٧: ١٠/٥.

(٢) المستدرک ١٤: ١٤٣/١٦٣٢٧.

(٣) فقه القرآن ٢: ٣٠١.

بلحظات الموت، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «ما حقّ امرئ مسلم له شيء يريد أن يوصي فيه يبيت ليلتين إلا وصيته مكتوبة عنده»^(١).

٢- إذا حضر الموت، أي إذا ظهرت علامات الموت وعرف الإنسان أنها آخر ساعاته في الدنيا، لكبره أو لمرضه أو لحدث وقع عليه.

٣- إذا حضر الموت، أي إذا أُخبر بأنه سيموت من قبل قصاص عدل أو ظلم أو من قبل طبيب يطمئن بخبره.

٤- إذا حضر الموت، أي جاءه الموت بعد أن طلبه الإنسان بنفسه واختياره، كمن يذهب إلى عملية جهادية استشهادية أو إلى ساحة القتال.

وابتداء: أن الوصية فيها ما يتعلّق به الواجب سواء لله أو للناس فهنا الواجب مقدّم على غيره، وإذا لم يتعلّق به واجب، بل كان من باب المعروف والإحسان، فهنا يقدم في التوزيع الأقرب فالأقرب وليس وجود إنساني أقرب إلى الإنسان غير الوالدين وخصوصاً إذا كانا عاجزين محتاجين للمعروف.

خامساً: ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾، هو الثبوت الشرعي على المتّقين، وهنا نقول:

١- إذا كان المقصود الثبوت الشرعي للوصية على كلّ إنسان فهنا أن حكم الوصية مستحب وليس بواجب، وقد يكون صرف ما ظاهره الوجوب ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ﴾ إلى الاستحباب:

أ- إمّا بقرينة ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ فإنّ لسان الوجوب أن يكون حقّاً على جميع المسلمين لا خصوص المتّقين الذين يخافون التقصير.

ب- أو أن نلتزم بإجماع العلماء منذ عصر المعصوم على الاستحباب والذي يكون

هذا الاتفاق كاشفاً عن وجود مدرك وإن كنا فاقدين له.

ج- أو أن نلتزم بما ورد عن الرسول ﷺ والأئمة الأطهار عليهم السلام أجمعين، وهو كثير كما ترى وجوده المتناثر بين البحث الذي فيه الترغيب على الوصية والحث على كتابتها الذي يشكّل قرينة منفصلة تصرف الآية عن ظاهرها في الوجوب إلى الاستحباب.

د- الاستحباب لا في جميع الأحوال فإذا حضر الإنسان الموت ورأى أن سكوته من دون وصية سوف يضيع حقوق الآخرين من القروض والأمانات المتعلقة به أو ما يؤدي إلى تلفه إن لم يوص به وأنه من الأمور المهمة شرعاً، فهنا مع التمكن على الوصية يأتي مورد وجوب الوصية بنفسها أو من باب المقدمة للواجب، وإلا فهي مستحبة، وعلى كلا التقديرين يكون معنى ﴿حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ هو مطلق ثبوت الوصية على المتقين.

٢- إذا كان المقصود من الثبوت الشرعي الذي يقع على الموصى له فهنا بعد قبول الوصية من قبل الموصى له يكون واجباً عليه شرعاً الالتزام بما وصى به الموصي بعد مماته وخصوصاً في الوصية العهدية.

س: ما هي الصيغة الإنشائية للوصية؟

ج:

ليس للوصية صيغة معينة، فكل ما يدل عليها لفظاً أو عملاً أو كتابة أو إشارة أو توقيعاً مديلاً لمكتوب يدل على إرادتها.

س: ما هي الآراء المطروحة في الحكم الشرعي في الوصية؟

ج:

١- الوجوب الشرعي، اعتماداً على ظهور الآية وعلى ما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «مَنْ لم يوص لذوي قرابته مُمْن لا يرثه فقد ختم عمله بمعصية» ^(١)، فلفظ المعصية دليل الوجوب لا الاستحباب الذي لم يستتبع معصية ولا عقاباً على المخالفة.

٢- الاستحباب الشرعي، اعتماداً على ما ورد عن المعصوم الذي ليس فيه إلا الترغيب والحث على الوصية وليس لسانها لسان الوجوب، وحتى المعصية في الرواية التي ذكرت في النقطة الأولى ليس المقصود منها المعصية المترتبة على مخالفة الحكم الشرعي حتى نستتبع وجوب الوصية، بل هي المعصية الأخلاقية التي لا يريد الله للمؤمنين أن يموتوا من دون وصية، فهي من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين.

٣- التفصيل، أي أنها واجبة في موارد ومستحبة في موارد أخرى، وهذا هو الأرجح، لما بيننا ذلك سابقاً.

٤- لا وجوب ولا استحباب للوصية وإنما آية الوصية قد نسخت بآية الإرث أو بورود حديث.

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في جوابكم على الرأي الرابع الذي يقول بأن آية الوصية هذه منسوخة بآية الإرث أو بالسنة كورود حديث عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: « لا وصية لوارث»؟

ج:

أولاً: من شروط النسخ أن يكون الناسخ متأخراً عن المنسوخ نزولاً، ولا يوجد

دليل قطعي على أن نزول آية الإرث متأخرة عن آية الوصية حتى تكون آية الإرث ناسخة لآية الوصية.

ثانياً: النسخ والمنسوخ لا يثبت إلا عند حصول المنافاة في الدلالة بينهما بحيث لا يمكن الجمع بينهما دلالة، وما نحن فيه لا منافاة بين الإرث والوصية؛ وذلك للأسباب التالية:

١- أن الإرث يأتي عند عدم الوصية أو عند وجود الوصية، فيكون منظماً لها ومانعاً من إجحاف الموصي، فيمنع اختياره وعواطفه تجاه الموصى له التي قد تكون تلك المشاعر خاطئة في حقه، فيمنعه في الإرث؛ ليصل المال إلى مالا يريد الموصي أن يصل إليه ويفتح للموصي المجال في الوصية ليصل المال إلى مالا يوصله الإرث إليه، وبهذا تكون عملية التوازن في توزيع المشاعر والحقوق تسري بصورة واضحة.

٢- يمكن أن تكون آية الإرث مقيدة لإطلاق آية الوصية، وذلك بأن نقول: إن الوصية للوالدين جارية فيما إذا حصل مانع يمنعها من الإرث، وإن الوصية جارية لمن لا يرث من الأقارب.

ثالثاً: النسخ لا يكون ناسخاً إلا أن يكون بديلاً عن المنسوخ، وهنا الإرث ليس بديلاً عن الوصية ليكون ناسخاً له، لأن الإرث لا يجري للوالدين مع وجود المانع للإرث، ولا يجري للأقارب مع وجود الولد.

رابعاً: قالوا: ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: « لا وصية لوارث »^(١) وهذا الحديث يؤكد أن الوصية منسوخة بالإرث.

(١) المستدرک ١٤: ١٠٢/١٦٢٠٩.

تقول:

- ١- أن هذه الرواية ضعيفة السند.
- ٢- أنها معارضة بروايات أخرى التي لا تمنع من الوصية للوارث، منها ما ورد عن محمد بن مسلم عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: سألته عن الوصية يجوز للوارث؟ قال: «نعم»، ثم تلا هذه الآية «﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ﴾» الآية^(١).

٣- أن خبر الآحاد لا يمكن أن يكون ناسخاً؛ لأن النسخ لا يثبت به خبر الآحاد، بل الدليل القطعي، وهذا ما اتفق عليه المسلمون، وإنه عند الشك في النسخ فالأصل عدمه.

٤- لو سلم بصحة هذا الخبر وقلنا بالإمكان أن يكون ناسخاً، فلا يكون هنا ناسخاً لعدم المناقاة وإمكان الجمع بينهما، فإنه يمكن القول بأن كل من لم يناله الإرث من الوالدين والأقربين فيمكن الوصية له بشيء من الخير المعروف، أو نقول لمثل هذا الحديث: إنه لا وصية لوارث ما زاد على الثلث. فمع إمكان رفع المناقاة بينهما بأي جهة علمية معقولة لا يكون أحدهما ناسخاً للآخر.

س: ما هي أقسام مطلق الوصية؟

ج:

ثلاثة أقسام هي:

الأول: الوصية التمليلية: وهي الوصية التي يريد الموصي أن يملك بها شيئاً من أمواله أو من الحقوق التي له للموصى له، وهنا لا يشترط قبول الموصى له.

(١) تفسير العياشي ١/٧٦: ١٦٤.

الثاني: الوصية العهدية: وهي العهد لشخص معين بالقيام بأمر معينه يرغب الإنسان الموصي بأن يفعل بعد مماته، كجعله قِيماً على أولاده القاصرين، أو أداء ما عليه من الحقوق والعبادات. وهنا لا شبهة في وجوب هذه الوصية على الموصي له لوجوب الوفاء بالعهد، ويشترط فيها قبول الموصى له.

الثالث: الوصية العقائدية: وهي الوصية التي يريد الموصي من خلالها الوعظ إلى من بعده من الأحياء وحثهم على الالتزام بالعقائد الحقّة والأعمال الصالحة، لما في ذلك من فرصة سانحة ومقام يرجى فيه التأثير والاتعاظ، وقد جاء هذا القسم من الوصية في موارد منها:

١- وصية الله، وهي مجموعة الأوامر والنواهي التي يخاطب بها الله العبد بصيغة الوصية، منها:

أ- وصية الله للأنبياء، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ (مريم: ٣١)، ورد في الحديث القدسي في كتاب (تحف العقول): «يا عيسى، أوصيك وصية المتحنّ عليك بالرحمة حتى حقّت لك مني الولاية بتحريك مني المسرة، فبوركت كبيراً وبوركت صغيراً حيث ما كنت، أشهد أنك عبدي من أمّتي، تقرب إليّ بالتواقل وتوكل عليّ أكفك ولا تولّ غيري فأخذلك... ثمّ أوصيك يا بن مريم البتول بسيد المرسلين وحببي...»^(١).

ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «أوصاني ربّي بتسع: أوصاني بالإخلاص في السر والعلانية، والعدل في الرضا والغضب، والتصدق في الفقر والغنى، وأن أعفو عمّن ظلمني، وأعطي من حرمني، وأصل من قطعني، وأن يكون صمّي فكراً، ومنطقي

ذكراً، ونظري عبراً»^(١).

ب- وصية الله للإنسان، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ (الشورى: ١٣)، ﴿...وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ (النساء: ١٣١)، ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنِيبُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (العنكبوت: ٨).

٢- وصية الأنبياء للأنبياء، قال تعالى: ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَنْبِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: ١٣٢)، ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ...﴾ (البقرة: ١٣٣).

ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «لما فارق موسى الخضر عليها السلام قال موسى: أوصني، فقال الخضر: ألزم ما لا يضرّك معه شيء كما لا ينفعك من غيره شيء، إيتاك واللجاجة والمشى إلى غير حاجة، والضحك في تعجب. يابن عمران، لا تعيرن أحداً بخطيئة وإبك على خطيئتك»^(٢).

٣- وصية الأنبياء لخلفائهم وأوصيائهم، منها وصايا الرسول صلى الله عليه وآله للإمام

(١) تحف العقول: ٣٦.

(٢) البحار ٧/٣٨٦: ٧٠.

أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «يا علي، أنت أخي ووصيي...»^(١)، «يا علي، أوصيك بوصية فاحفظها فلا تزال بخير ما حفظت وصيتي...»^(٢)، «يا علي، أوصيك بالدعاء فإنه مع الإجابة...»^(٣).

٤- وصية الإمام للإمام، منها وصية الإمام أمير المؤمنين لابنه الحسن عليهما السلام: «أوصيك بتقوى الله، أي بني ولزوم أمره، وعماره قلبك بذكره، والاعتصام بحبله...»^(٤).

٥- وصية الأنبياء للناس، منها ما ورد عن معاذ أنه قال: «قلت: يا رسول الله أوصني؟ قال: اعبد الله كأنك تراه، واعدد نفسك في الموتى، وإن شئت أنبأتك بما هو أملك لك من هذا كله وأشار بيده إلى لسانه»^(٥).

٦- وصية الإمام للناس، منها ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «الله الله في جيرانكم، فإنهم وصية نبيكم، مازال يوصي بهم حتى ظننا أنه سيورثهم»^(٦).

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾؟

ج:

(١) الأمالي: ١٨٧.

(٢) الفقيه ٤: ٣٥٢/٥٧٦٢.

(٣) وسائل الشيعة ٧: ٢٩٧/٨٦٢٤.

(٤) البحار ٧٤: ١/١٩٩.

(٥) مجموعة ورام ١: ١٠٥.

(٦) نهج البلاغة ٣: ٤٧/٧٧.

١- الآية الأولى تحكي عن عدم جواز تبديل الوصيّة من قبل الوصي من الحقّ إلى الباطل بعد موت الموصي، وإذا حصل مثل هذا التبديل فمن حقّ الولي أو الحاكم الشرعي أن يبذل الوصيّة من الباطل إلى الحقّ.

٢- الآية الأولى تحصر حساب الإثم والظلم عند الله والمجتمع لا على الموصي ولا على الموصى له ولا على الوصي ولا على الحاضرين من العقلاء أثناء الوصيّة ولا على الحاكم الشرعي، وإنما الإثم يقع على الذي يبذل الوصيّة من الحقّ إلى الباطل أيّ كان، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «الإضرار في الوصيّة من الكبائر»^(١).

٣- الآية الثانية تحكي أنّ الموصي إذا بدّل الوصيّة قبل موته من الحقّ إلى الباطل بما فيه الجنف والإثم أي الخطأ والظلم وكان من حضره من العقلاء موجوداً، فلمهم الحق في نهيهِ وإرشاده إلى ما فيه الحق وعدم الحيف، وهو أن يعطي قوماً ويترك آخرين بحيث يسبّب المشكلة بعد موته حتى يبذل الموصي الوصيّة ويصلحها إلى ما ليس فيه جنف وإثم لا عليه ولا على الآخرين، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «الحيف في الوصيّة من الكبائر»^(٢).

٤- أنّ في هذا الخطاب تشديداً يراد من خلاله تنفيذ الوصيّة والمحافظة عليها من التغيير والتلف حتى يصل الحق إلى مستحقّيه، وأن يقطع الخلاف الذي يحصل بين الموصين له، فهي مسؤولية الموصي والوصي الذي يستتبعه العقاب عند المخالفة، فهو تحت سمع الله وعلمه ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ الذي يرتب العقاب

(١) كنز العمال ١٦: ٦١٦/٦٩٠٦٩٠.

(٢) تفسير العياشي ١: ٢٣٨/١١١.

على المخالفة والثواب عند المطابقة للحق ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

٥- أن التشديد الموجود يجب على الموصي أن يعرفه ويطلع عليه ليطبّقه بالدقة فيما يوصي به وفيما يختاره من عناصر الشهود وفي اختياره للموصي، فإذا استجمع كل ذلك فعند ذلك ستبرأ ذمته من حقوق الناس المتعلقة في ذمته حتى لو لم تصل فعلاً إلى أصحابها؛ لأن ما في الذمة سيتحوّل بفعل الوصية في ذمة الوصي وتبرأ ذمة الموصي، وإذا لم يُراعِ الموصي عمداً هذه الدقة في التطبيق لا من ناحية نوعية الشهود ولا من ناحية اختياره للموصي ولا تعيين الموصي له فإن ذمته تبقى مشغولة بحقوق الآخرين إلى أن تؤدى وإلا فإنه يستحق العقاب.

س: ما هي الموارد المحتملة التي يجوز فيها تبديل الوصية؟



ج:

١- للموصي الحق أن يبدّل وصيته حسب ما يراه مناسباً لما يريد ولما استجدت له من الأمور ما دام على قيد الحياة.

٢- للموصي الحق أن يبدّل الوصية عندما يرى فيها جنفاً وإثماً على الآخرين ما دام حياً، سواء حصل هذا التبديل من قبل نفسه أو غيره ممّن حضر عنده أثناء الوصية.

٣- للموصي أو للحاكم الشرعي الحق في تبديل الوصية إذا رأوا فيها باطلاً فيبدّل إلى الحق، سواء كان ذلك الباطل ناتجاً عن جهل الموصي بالأحكام الشرعية أو عن عمد.

٤- للموصي أو للحاكم الشرعي الحق في تبديل الوصية عندما يوجد فيها حيف ينتج عنه الاختلاف الشديد الذي يؤدي إلى ما هو أهم من التبديل، كقتل النفوس مثلاً.

س: ما هي أهم شروط كتابة وصية التركة المالية؟

ج:

- ١- أن تكون واضحة البيان خالية من الإبهام الذي يوجب الاختلاف.
- ٢- ألا تزيد الوصية على الثلث الذي هو حق للميت، وأما ما زاد عليه فهو حق الورثة.

٣- عدم احتوائها على الحرام والمعصية.

٤- عدم الإجحاف الباطل.

٥- وجود شاهدين عدلين أثناء كتابة الوصية ﴿شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ

حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾ (المائدة: ١٠٦).



س: اذكر بعض فوائد الوصية وأثرها.

ج:

أولاً: حصول الموصي له على ما لا يحصل عليه بالإرث.

ثانياً: الوصية تحافظ على حقوق الآخرين من الناس المتعلقة بالموصي.

ثالثاً: الوصية تكمل ما تركه الموصي ممّا تعلق بذمته من حقوق الله.

رابعاً: الوصية ترفد الموصي بالثواب بعد مماته بما لم يتمكن به العمل أثناء

حياته، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «مَنْ أوصى ولم يحف ولم يضار كان

كَمَنْ تصدَّق به في حياته»^(١).

خامساً: الوصية تفتح أمام الموصي أن يعبر عن مشاعره وعواطفه وتقييمه

وإرادته ليدونها في الوصية حسب ما يريد أن يحصل عليه بعد مماته، ورد عن

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «يا بن آدم، كن وصي نفسك في مالك، واعمل فيه ما تؤثر أن يُعمل فيه بعدك» (١).

سادساً: الوصية توجب الارتباط وتوثيق عرى المودة والتقارب بين الحي والميت لما تركه الموصي من الخير على المستوى الفردي أو الاجتماعي الذي يشعر الآخرين باهتمام الموصي بهم وحبّه إليهم.

سابعاً: الوصية تجعل الإنسان الموصي الذي يكتب وصيته بين الحين والآخر مرتبطاً مع عالم الموت ممّا يجعله مستعداً له، فالوصية طريق من طرق حصول التقوى، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: أوصني وأوجز؟ قال صلى الله عليه وآله: هَيِّنْ جِهَازَكَ، وَأَصْلِحْ زَادَكَ، وَكُنْ وَصِيَّ نَفْسِكَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ اللَّهِ عَوْضٌ، وَلَا لِقَوْلِ اللَّهِ خَلْفٌ» (٢).

ثامناً: الوصية تحسم مادة الخلاف الذي يحصل بين الأقرباء للموصي بعد الموت.

تاسعاً: الوصية امتحان إلهي للموصي في أن يسير على الترتيب الذي أوصى به الموصي وعدم تبدّله من الحق إلى الباطل، كما أنها امتحان للموصي في ألا يوصي بما فيه الجنف والإثم.

عاشراً: الوصية ضرورة يفرضها الواقع المعاش للإنسان على مستوى الفرد أو المجتمع؛ ولهذا سار عليها العقلاء قديماً وحديثاً وعلى جميع المستويات والمراكز الاجتماعية والسياسية.

(١) نهج البلاغة ٤: ٢٥٤/٥٦.

(٢) الجعفریات: ١٦٦.

الحادي عشر: الوصية محبوب نفسي ومرغوب فيه عند الله فَمَنْ مات وقد جاء بها فقد نال رضوان الله في ذلك وحصل على ثوابه، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «مَنْ مات على وصية مات على سبيل وسنة، ومات على تقى وشهادة، ومات مغفوراً له»^(١)، وعنده أيضاً: «المحروم مَنْ حرم الوصية»^(٢).



(١) كنز العمال ١٦: ٦١٣/٤٦٠٥٠.

(٢) كنز العمال ١٦: ٦١٣/٤٦٠٥١.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمُ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٣-١٨٥)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيات؟

مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم إسلامي

ج:

١- الصيام: ١- الإمساك. ٢- السكون.

٢- معدودات: ما كان قابلاً للعد في ما هو في المعدود.

٣- السفر: الكشف.

٤- يطيق: يتقوى عليه.

٥- تطوع: من دون إكراه.

٦- شهر: الظهور والإشهار.

٧- رمضان: مأخوذ من الرمض، وهو تسلط الشمس بشدتها على الرمل وغيره.

٨- القرآن: الجمع.

٩- الفرقان: ما يفرق وما يميّز به بين الحق والباطل.

١٠- شهد: حضر.

١١- اليسر: السهولة.

١٢- العسر: الصلابة.

• الصوم صحة وعبادة

س: ما هي المحتملات التي ترد في سبب اختصاص الصوم بالمؤمنين في

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾؟

ج:

١- أنه النداء الإلهي الذي فيه لذة للمؤمنين، والذي يمتلك كل مسامعهم وقلوبهم

شفقاً وعشقاً إليه، ورد عن الإمام الحسن عليه السلام أنه قال: «إذا سمعت الله عز وجل

يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فارغ لها سمعك فإنها لأمر تؤمر به أو لنهي تنهى

عنه» (١).

٢- أن الصوم عبادة لله، ويشترط فيها النية في قبولها، وغير المؤمن بالله لا توجد

عنده نية القربة إلى الله، فغير المؤمن وإن أتى بالعمل العبادي صحيحاً إلا أنه غير

مقبول عند الله لفقده هذا الشرط، وهذه الحقيقة تأتي في كل عمل عبادي

يشترط فيه النية لا في خصوص الصيام.

٣- أن الذي يلتزم بالتكليف هو المؤمن لإيمانه بكل ما يصدر من الله من الأحكام،

وغير المؤمن بالله لا يرى ضرورة الالتزام بشيء.

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَيَّ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾؟

ج:

١- أن هذا الخطاب يعطي التوضيح لكل أهل الكتاب بأن الصوم من الأحكام التي لم يؤسسها الدين الإسلامي، بل هو موجود في الكتب السماوية التي سبقت الإسلام، من دون النظر إلى نوعية الصوم وعدد أيامه وكيفيته وإنما النظر إلى أصل وجود الصوم ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ (مريم: ٢٦).

٢- كما كتب على الذين من قبلكم من الأمم حتى الوثنية، حيث الأمم كل الأمم كانت ترى في الصوم وجوباً يتحتم عليها لما فيه من نفع لصحة أو احترام لأيام أو تقليد لأحد أو جماعة أو تطبع موروث، وغيرها من الأمور التي جعلت الإنسانية بجميع أديانها تمارس عملية الصوم.

٣- كما كتب على خصوص الأنبياء من قبلكم، ورد عن حفص بن غياث النخعي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إن شهر رمضان لم يفرض الله صيامه على أحد من الأمم قبلنا»، فقلت له: فقول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾؟ قال: «إنما فرض الله عز وجل شهر رمضان على الأنبياء دون الأمم، ففضل الله به هذه الأمة، وجعل صيامه فرضاً على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى أمته» (١).

وورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه أنه قال: «ثم آثرتنا به على سائر

الأُمم، واصطفيتنا دون أهل الملل، فقمنا بأمرك نهاره، وقنا بعونك ليله»^(١).
 ٤- أن في هذا الخطاب استثناساً للمؤمنين وتخفيف المشقة الموجودة في هذا التكليف في الدنيا، وذلك عندما يذكرهم الله بالسابقين من المؤمنين الذين امتثلوا تكليف الصيام قبلهم ، وما يترتب عليه من نمو الشخصية المؤمنة من خلال حصولها على التقوى وثواب الآخرة التي يفرح لها المؤمنون ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

٥- (كما) هنا للتشبيه وفيها عدّة احتمالات، منها:

١- الوقت، كما كتب في شهر رمضان على الذين من قبلكم كتب عليكم في هذا الشهر كذلك.

٢- الكيفية، أي بنفس الكيفية التي كتبها الله على الذين من قبلكم كتبها عليكم.

٣- الوجوب، أي كما جعل الصيام واجباً على الذين من قبلكم جعله واجباً عليكم.

٦- ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ لها عدّة محتملات، منها: *رسدي*

١- أن المرجو من الإنسان عندما يصدق عليه الله من النعم والتكاليف أن يحصل على عنصر الالتزام والتقوى، فرجاء حصول التقوى يساير كل وحدة عبادية كما يختم الله آياته بصورة كثيرة بهذه العبارة ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، وأفضل طريق ملموس وواضح في حصول الإنسان على التقوى هو طريق الصوم الذي يربي إرادة التقوى وينعّيها ويقويها عندما يمنع عنها أشياء قد تعودت وتطبعت عليها إرادته، وإذا تركت الإرادة من دون حالة مقاومة مع الشهوات فإنها تكون معرضة للضعف والفتور وبالتالي تضعف حالة التقوى والالتزام عند الإنسان المؤمن.

- ٢- لعلكم تتقون الإسراف في الشهوات، ذلك عندما تتمرّنون على منعها في شهر رمضان وأثناء صيامكم، فإنّ السيطرة على الشهوات ستكون تحت إرادتكم، ورد عن الرسول ﷺ أنّه قال: «الصيام جنة ووجاء وسبب تقوى»^(١).
- ٣- لعلكم تتقون المعاصي، حيث الصيام تربية وروح وغيضٌ أبصار وسمع من الغيبة واللهو والطرب ومنع من أكل الحرام والكسب به.

س: ما هي المحتملات التي ترد في قوله تعالى: ﴿ أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ ﴾؟

ج:

- ١- أنّ أيام التكليف بالصوم لقلتها وتعيينها تعدّ بعدد معيّن، فلا تتصوّر أنّ صوم الشهر طويلاً، بل ستجده أياماً معدودات عندما تعزم على صوم الشهر.
- ٢- أنّ الذين من قبلكم كان الصوم مفروضاً عليهم ولكن بأيام معدودات لا شهراً بكامله.
- ٣- أنّ الذين من قبلكم كان الصوم مفروضاً عليهم بأيام كثيرة وبكيفية صعبة، وأمّا ما كتب وفرض عليكم هي أيام معدودات وبكيفية أبسط ممّا كانوا عليه من قبلكم، ورد عن الإمام الحسن عليه السلام عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «إنّ الصوم على الأمم كان أكثر ممّا هو على المسلمين في شهر رمضان»^(٢).
- ٤- أنّ فرض الصوم عليكم بأيام معدودة هو نفس الفرض الذي كان لقبلكم بأيام معدودة.
- ٥- أنّ فرض الصوم عليكم بأيام معدودات وهو شهر رمضان هو نفس الفرض الذي

(١) تفسير القرطبي ٢: ٢٧٦.

(٢) مستند أحمد ٤: ٢٧١.

كان على الذين من قبلكم بفرض الصوم في شهر رمضان، ولكن اليهود والنصارى غيرت ذلك.

٦- أي كتب عليكم أياماً معدودات من دون النظر إلى الذين من قبلكم سواء كانوا يصومون بعدد من الأيام أو الأشهر أو غير ذلك من قليل أو كثير.

٧- أي كتب عليكم أياماً معدودات لا يمكن أن تتغير أو تبدل لا من قبل أنفسكم ولا من قبل غيركم، بل ستبقى هذه الأيام المعدودات المعيّنت بخلود الزمن هي محل وجوب الصوم من قبل الله على جميع الناس.

٨- أنها أيام إمساك عن النعيم معدودات بحساب الدنيا ولكنها ستكون أياماً غير معدودات من النعيم بحساب الآخرة والعطاء الإلهي للصائمين.



س: ما هو التعريف الاصطلاحي للصوم؟

مركز تحقيقات كميونر علوم إسلامي

ج:

الصوم: هو الإمساك والامتناع في وقت محدد عن تناول أو فعل أمور معيّنة اعتبرها الشارع مفطرة ومبطللة للصوم، مع نية القربة.

س: عدد الأمور التي اعتبرها الشارع مفطرة للصوم ومبطللة له.

ج:

١- الأكل والشرب.

٢- الاحتقان بالمائع عن طريق الدبر.

٣- تعمّد القيء.

٤- الجماع.

٥- خروج المنى بغير الجماع.

٦- تعمّد البقاء على الحدث الأكبر حتى طلع عليه الفجر.

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾؟

ج:

١- أنّ الصوم واجب على المكلف الصحيح المقيم، فلا يجوز له التخلف عن هذا الواجب.

٢- من جملة المستثنين من حكم وجوب الصوم هو المسافر والمريض.

٣- المسافر والمريض عنوانان كليان تجد تفصيلهما في كتب الفقه، فليس هما من القيود الاحترازية التي تعين هاتين الحالتين دون غيرهما من الأعذار، بل ذكرهما من باب النوع الغالب من الأعذار، وإلا فالأعذار كثيرة.

٤- الأيام الأخر تعبير عن وجوب القضاء بعد ما تخلف عنه المريض بعد شفائه والمسافر بعد عودته.

٥- في الخطاب دلالة على وجوب الإفطار للمريض والمسافر، لوجوب القضاء بنفس المرض والسفر.

س: ما هو الضابط في المرض الذي لا يجوز فيه الصوم؟

ج:

استعين بالجواب بما ورد عن أبي بصير قال: سألت الإمام الصادق عليه السلام عن حدّ المرض الذي على صاحبه فيه الإفطار؟ أنه قال: «هو مؤتمن عليه مفوض إليه، فإن

وجد ضعفاً فلينتظر، وإن وجد قوّة فليصم، كان المرض على ما كان»^(١)، فنستنتج أنّ ملاك المرض هو شعور الشخص بالضرر عند صومه، وأنّ تفويض تشخيصه بيد المكلف.

س: قالوا: إنّ الصوم في السفر عزيمة وليس رخصة، وضّح ذلك.

ج:

قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ هنا في هذه الآية يوجد احتمالان:

الأول: فمن كان مريضاً أو على سفر فلا يجوز عليه الصوم، بل عليه أياماً أخر. **الثاني:** قالوا بضرورة التقدير لمحذوف وهو فمن كان مريضاً أو على سفر فأفطر فعليه أياماً أخر، فالنتيجة يكون حكم الصوم بالنسبة للمسافر هو التخيير بين الصوم أو القضاء. فسمي الحكم على الاحتمال الأول عزيمة وعلى الاحتمال الثاني رخصة. والاحتمال الثاني باطل وذلك للأسباب التالية:

أولاً: أنّ هذا التقدير (فأفطر) خلاف الظاهر ولا يمكن الالتزام به إلا بقريئة صارفة للظهور ولا قريئة موجودة في الكلام.

ثانياً: لو سلّمنا بإمكان مثل هذا التقدير فلا يعني أن يكون الصوم الواجب في السفر رخصة، وذلك:

١- أن يعني هذا التقدير الإباحة بالمعنى الأعم الذي يشمل الوجوب والاستحباب والإباحة بالمعنى الأخص لا عدم كونه إلزامياً.

٢- أنّ مقام الآية وخصوصاً الثالثة هو مقام تشريع أحكام الصوم من الإلزاميات

التي لا تنسجم بل وتخالف كون صوم المريض والمسافر جائزاً وأنه مخير
فيهما.

٣- وجود الروايات الكثيرة من الفريقين التي تحمل الدلالة الواضحة على عدم
جواز صوم السفر.

٤- كيف نستنبط حكماً شرعياً ونثبتته من خلال تقدير ذوقي مع وجود المخالف؟!.

س: لقد جَوَزَ البعض الصوم الواجب في السفر اعتماداً على ما ورد عن
الرسول ﷺ عندما سأله أحد الأشخاص (أأصوم في السفر؟ وكان كثير
الصيام) أنه قال: «إن شئت فصم وإن شئت فافطر، هي رخصة من الله
مَنْ أَخَذَ بِهَا فَحَسَنَ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصُومَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ» حتى صارت
سنة عملية عند ذلك البعض، ما هو جوابكم على ذلك؟

مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم إسلامي

ج:

١- أن هذه الرواية غير ثابتة من حيث ضعف سندها، ويشك أنها من الموضوعات
لضعف ألقاظها.

٢- على فرض ثبوتها فإنها ظاهرة في الصوم المندوب، حيث كان السائل كثير
الصوم.

٣- على فرض ظهورها في وجوب الصوم فلا يمكن الأخذ بها لمعارضتها بما ورد
من الفريقين من الروايات الكثيرة المستفيضة التي تدل على حرمة الصوم في
السفر.

٤- على فرض عدم معارضة هذه الرواية أو غيرها التي تعطي التخيير أو الرخصة
في صوم السفر، فيحتاج إلى الالتزام بها أنها وردت بعد نزول آية تحريم صوم

المسافر، فإنَّ وجود مثل هذه الروايات قد يكون على تقدير وجودها أنَّها كان يعمل بها بعد نزول الآية الأولى والثانية من آيات الصوم، ولكن قد نسخها القرآن بعد نزول الآية الثالثة التي وضحت وأكّدت تحريم الصوم في السفر بعد أن أخرجت حكم التحريم من الإنشائية في الآية الثانية إلى الفعلية في الآية الثالثة.

٥- أنَّ السنَّة العملية إن كان المقصود بها هي دعوى سنَّة الرسول ﷺ في أنه كان يصوم الواجب أثناء سفره فهو غير ثابت أصلاً.

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامٌ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾؟



ج:

١- الحكم بالتخيير على سائر المؤمنين الذين يطيقون الصوم فإنهم مخيرون بين الصوم والفدية وهي إطعام مسكين بمُدَّ من الطعام، وقد نسخ حكم التخيير هذا بقوله تعالى ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ﴾، فأصبح لمن يطيق الصوم حكماً واحداً معيَّناً وهو الصوم، ولا تقبل الفدية إلا مع العذر.

٢- الحكم بالتخيير فقط للحوامل والمرضع والشيخ الكبير، ثم جاءت الآية ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ فنسخت حكم التخيير بالنسبة إلى الحامل والمرضع وأبقت حكم التخيير على الشيخ الهرم الكبير.

٣- أنَّ معنى الخطاب هكذا: وعلى الذين يطيقونه ثم صاروا لا يطيقونه فعليهم فدية طعام مسكين.

٤- وعلى الذين يطيقونه بعسر وحرص وضرر فلهم أن يدفعوا الفدية من دون صوم،

ولكن إذا صاموا على الرغم من أن الصوم يوَلد لهم الحرج والمشقة فهو خير ومسموح به بشرط ألا يكون ضرراً عليهم، فإنَّ الواجب عند الضرر الفدية فقط، لأنَّ الله قد حرَّمه في هذه الحالة الضرورية، وإنَّ الله يريد اليسر ولا يريد العسر بالإنسان.

٥- أن يكون الخطاب ناظراً إلى أفراد معيَّنين وإلى شريحة معيَّنة، فهو من باب إطلاق العام وإرادة الخاص، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ أنه قال: «الشيخ الكبير والذي يأخذه العطاش»^(١)، فقد يكون هذا الخطاب من باب التحديد لا من باب الإشارة إلى بعض المصاديق، فلا يراد من الخطاب هذا عامَّة الذين يطيقون الصوم.

٦- أن الفدية مختصة بالمريض والشيخ الكبير دون المسافر.

٧- ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾ لها احتمالات منها:
أ- فَمَنْ تَطَوَّعَ للصوم أي صوم الاستحباب فهو خير له.

ب- فَمَنْ تَطَوَّعَ بمال غير الواجب عليه من الفدية بأن أطعم أكثر من مسكين أو أطعم المسكين الواحد بأكثر ممَّا يجب عليه.

ج- فَمَنْ تَطَوَّعَ أي أتى للصوم رغبةً وحباً وشوقاً من اختياره بلا كرهاً عليه.

س: على فرض وجود نسخ بين مقاطع الآية السابقة كما ذكرتم احتمالين في ذلك في جواب السؤال السابق، ما الذي دعاكم أن تثبتوا هذا الاحتمال مع أن النسخ يبعد جريانه وتطبيقه بين مقاطع الآية الواحدة؟ اذكر المحتمل في ذلك.

ج:

لا يراد من الناسخ والمنسوخ هنا هو النسخ بالمعنى الاصطلاحي الذي مرّ علينا في تفسير آية النسخ، وإنما يعني هنا هو رفع الإبهام بعد التوضيح والإجمال بعد التفصيل وإخراج من الفعل إلى القوة ومن الإنشائية إلى الفعلية، حيث لا منافاة بين الآيات ولا بين مقاطعها حتى نقول بالنسخ الاصطلاحي المعروف، فهو استعارة مختصرة على المعنى اللغوي للنسخ فقط.

س: عندما ننظر إلى ترتيب الآيات الثلاثة للصوم بصورة واحدة وإلى كيفية نزولها، هل يمكننا القول بأنها نزلت بشكل مرحلي تدريجي مقطّع بفترات زمنية بين الآيات وليست دفعة واحدة؟



ج:

يمكننا أن نأخذ بالنزول التدريجي لهذه الآيات عندما نتبع الحقيقة التالية: أن الصوم يختلف عن بقية العبادات بما فيه المشقة على الإنسان لمنعه عن أعظم ما يشتهي من الأكل والشرب والجماع، بالإضافة إلى أن الصوم في بداية ومنطقة تشريعه أمر صعب لما تمتلك تلك المنطقة الصحراوية من صعوبة الحياة البدائية وحرارتها العالية ممّا يجعل الصوم من الأمور الشاقة عليهم بالنظرة البدائية، وبما أن الخطابات الإلهية عامّة من جميع الجهات، فلا بد من أجل أن يثبت للناس جميعاً أن يراعي منطقة نزول التشريع من باب لطفه ورحمته بالعباد لا من باب أنه ليأمن طاعتهم، فإنّ الذي ينظر إلى المسلمين الأوائل وأخلاقهم وسلوكهم يجد عندهم الاستعداد لتحمل مثل هذا التكليف، ومن هنا أنزل تفصيلات الصوم بشكلها التدريجي وهو سبحانه يتبع الخطوات التالية:

أولاً: أنزل الله الآية الأولى وهي تحمل الأمور العامة:

١- كتابة الصوم من دون ذكر تفصيلاته.

٢- الربط المباشر بماضي التكليف لا بنفس التكليف كما هي عادة الآيات عندما

تكتب وتفرض شيئاً على المؤمنين، فإنها تدخل في التكليف مباشرة وتوضح

تفصيلاته، بينما نجد هنا قد ربط المسلمين بماضي التكليف كمقدمة تمهيدية

ليجعلهم يعيشون العظمة بارتباطهم بالأمم السماوية الماضية وأنهم امتداد لتلك

الحضارات، ويجعلهم يعيشون الأنس عندما يستشعرون أنهم غير متفردين بهذا

التكليف، بل إنهم يشاركون العظماء ممن سبقوهم بهذا التكليف، وبهذا جعلهم

الله يرغبون إلى السماع أكثر عن هذا التكليف.

٣- أن هذا الفرض قد جاء منسجماً مع ما يتمناه المؤمن ويرجوه، أنه يحصل على

التقوى ومعرفة طرقها المشروعة، والتقوى هي الزاد الطبيعي الذي يلهث وراءه

كل من آمن بالله والتزم بأحكامه، فليس فيه اختصاص في الصوم فحسب.

٤- النتيجة أن هذه الآية الأولى تكون للإخبار عن حكم الصوم أقرب من إنشاء

حكمه، ليسمع المسلمين به حتى تنهياً نفوسهم وأفكارهم إليه.

ثانياً: أنزل الله الآية الثانية بعد فترة زمنية وهي تحمل بعض تفصيلات تكليف

الصوم بلغة خفيفة جداً في جميع ما تحمل الآية من أحكام ومعنى وألفاظ، ونعرف

ذلك من خلال ملاحظة الأمور التالية في الآية الثانية:

١- حدّد الصوم بأيام معدودات من دون ذكر أي شيء يخصّ العدد ممّا يوحي هذا

الاستعمال إلى قلته عند كل من يسمعه.

٢- قدّم لغة الاستثناء من أحكام الصوم على جميع الأحكام الإلزامية حيث

المرضى والمسافرون يمكنهم تأجيل صومهم.

٣- جعل حكم التخيير على سائر المسلمين الذين يطيقون الصوم بين الصوم و دفع الفدية.

٤- لم يظهر لغة الحكم بالإلزام، بل جعله مبهماً حين وزّعه بين التطوّع ولغة التخيير في الصوم في الجملة الشرطية ﴿وَإِنْ تَصُومُوا﴾.

٥- أرفد الجميع كما أرفد الصوم بلفظ الخير، التي تبين ملاك تشريعه وحسنه فقط بلفظ محبوب عند كلّ سامعيه من دون تعيين الحكم.

٦- ترك الجميع ليراجعوا أنفسهم وتفكيرهم وحثّهم على أن يسلكوا الطريق العلمي لمعرفة هذا النوع من التكليف، لتكون كلّ قلوبهم وأفكارهم ومشاعرهم مستعدة لقبول تفصيلات حكم الصيام.

٧- نتيجة هذه الآية الثانية أنها تحمل تفصيلاً أكثر من الآية الأولى، وأنّ هذا التفصيل واقع بين التفصيل والإجمال والتوضيح والإبهام، ومن خلال هذه الطريقة يمكن أن يدخل الإنسان إلى الميدان العملي للصوم على مقدار ما يفهمه من التنزيل، وعند نزول التفصيل من خلال الآية الثالثة يكون قد اجتاز شوطاً لا بأس به في معرفته من خلال الممارسة العملية في هذه الفترة الزمنية.

٨- في هذه الفترة الزمنية حصلت أخطاء نتيجة الإبهام، وهذا أمر طبيعي لعدم نزول تفصيلات الأحكام بصورة واضحة ومفصلة، منها ما تجده واضحاً في آيات الله حيث فهموا تحريم الأكل والشرب والجماع بعد نوم الليل على ما سيأتي في آية الرفث البعدية، وتوهّموا في وقوع الصوم للمسافر اختياراً

وغيرها من الأمور الخاطئة التي تحدث أثناء التمرين والتمهيد.

الثالث: أنزل الله الآية الثالثة بعد فترة من الزمن وبعد أن صار المسلمون مستعدين ومتهيئين لقبول تفصيلات أحكام الصوم، ولهذا تجد هذه الآية تختلف في لغتها عن أخواتها في الأمور التالية:

١- أن الله عيّن عدد أيام الصوم بالشهر لا بالأيام المعدودات، وأنه من الأشهر العربية القمرية التي تعرف بدايته ونهايته عن طريق رؤية الهلال.

٢- بيّن الله أهمية هذا الشهر وعظمته وهو نزول القرآن فيه ليأخذ تعيين الشهر الجدّيّة والقدسية في النفوس الذي يلازم أخذ الصوم من قبل المسلمين بكلّ جدية وقدسية، كذلك لاختيار الله للصوم أن يقع في أفضل الشهور وهو شهر رمضان.

٣- أبرز الله هنا حكم الإلزام وإنشائه ﴿فَلْيَصُومُوا﴾ وقدمه على لغة الاستثناء من المرضى والمسافرين.

٤- كرّر استثناء المرضى والمسافرين كعزيمة وتعيين في الحكم، فإذا كان المسلمون سابقاً يفهمون التخيير من خلال الآية الثانية، كما توجد بعض الروايات التي تقول بأن المسلمين كانوا يصومون أو يفطرون في سفرهم حتى نزلت هذه الآية فمنعهم الرسول ﷺ عن صوم السفر وسمى المخالفين لذلك بالعصاة، وفي رواية أخرى: أنه ليس من البرّ، فالتكرار جاء ليثبت حرمة صوم المريض والمسافر لا كما كان فهمه الأولون من أنه رخصة.

٥- تجد في هذه الآية عدّة أحكام لزومية ﴿فَلْيَصُومُوا﴾ ﴿وَلْيُكَلِّمُوا﴾ ﴿وَلْيُكَبِّرُوا﴾ وهذا يعني أن الآية في حالة إنشاء التكليف ولا تشمّ فيها رائحة الإخبار أصلاً

كما كنت تشمها من خلال الآيتين السابقتين.

س: قالوا بأن آيات الصوم الثلاث نزلت دفعة واحدة لا تدريجياً حيث اعتبروا أن الآيتين الأوليتين كمقدمة تمهيدية وتوطئة وتخفيف وتسهيل ومراعاة وإرفاق لأجل رفع القلق والاضطراب والاستيحاش والتطبيب لنفوس المسلمين وغير ذلك من التبريرات لجعل نزول الآيات نزولاً دفعياً، ما هو جوابكم على ذلك؟

ج:

طالعت جميع التبريرات فوجدتها - كما تنقل - أنها تبريرات للنزول التدريجي المرحلي وليست للنزول الدفعي، فإن كل هذه المصطلحات التي تنقلها وغيرها مصطلحات مختصة بالنزول التدريجي، وإلا فما يبرر النزول التدريجي غير هذه. هذا، بالإضافة إلى ما ذكرنا من وجود روايات تنقل حالة الاضطراب في التطبيق العملي قبل نزول الآية الثالثة واستقر العمل والوضوح بما يتعلق بالصوم بعد نزول الآية الثالثة.

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؟

ج:

١- ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾، هو تكرار ثانٍ للصوم ورجوع إليه مرة أخرى بعد أن كتبه، ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ تكرار ثالث، وأن هذا التكرار يؤكد الله من خلاله أهمية الصوم ودوره الإيجابي في تنمية الشخصية المسلمة ومحبوبيته عنده سبحانه.

- ٢- أي يا أيها الذين آمنوا الذين كتب عليكم الصوم أن الصوم خير لكم كما هي كل الأحكام الصادرة منه سبحانه وتعالى ففيها الخير كل الخير للإنسان.
- ٣- التطوع هو الفعل الصادر من رغبة المكلف واختياره وسعة الشريعة فيه من دون إزام المكلف فيه وهو لا يصدق هنا إلا على الصوم المستحب، فالانطلاق إليه والالتزام به لا يكون إلا للفرد؛ ولهذا قال: ﴿خَيْرٌ لَهُ﴾، وأما المقطع الثاني من الخطاب ففي الصوم بما هو صوم الذي كتبه الله على المؤمنين جميعاً ويشكل حركة نوعية تُجاه الله من خلال هذه العبادة، فهو فيه الخير الكثير للمجتمع وأفراده ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾.

س: ما هي الاحتمالات التي تبرد في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؟



مركز تحقيقات كميونر علوم اسلامي

ج:

- ١- أي أنكم لا تعلمون بما في الصوم من الخير.
- ٢- مهما علمتم من شيء حول الصوم سوف لا تقدرّون على إحصاء الخير الذي يحصل الإنسان عليه من الصوم.
- ٤- إذا علم الإنسان بفلسفة الصوم وأحكامه والتزم بها سيكون الصوم خيراً له، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «سكنوا في أنفسكم معرفة ما تعبدون»^(١).

س: تحدّث عما تعرفه عن قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾.

ج:

أولاً: من الأشهر القديمة، الذي يعرف بالهلال أو بغيره من الحسابات العلمية كغيره من الشهور.

ثانياً: سمي بذلك:

١- **إِذَا لَأَنَّهُ** يحرق الذنوب من خلال الاستعانة بمعناه اللغوي، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «**إِنَّمَا سُمِّيَ رَمَضَانَ لِأَنَّهُ يَرْمِضُ الذُّنُوبَ**»^(١).

٢- **وَأَمَّا أَنَّهُ مَطَهَّرٌ لِلنَّفُوسِ وَلِلْقُلُوبِ مِمَّا تَخْلَفُهُ الذُّنُوبُ عَلَيْهِمَا**، فهو مأخوذ من الرمضاء، وهو مطر يأتي قبل الخريف يطهر وجه الأرض من الغبار.

٣- **وَأَمَّا يَكُونُ سَبَباً فِي حَرِّ جَوْفِ الصَّائِمِ لَشِدَّةِ الْعَطَشِ**.

٤- أن تكون **عِلَّةُ التَّسْمِيَةِ** مطلوبة بذاتها لأنه الاسم المحبوب عند الله، ورد في الحديث: «**لَا تَقُولُوا رَمَضَانَ بَلْ أَنْسِبُوهُ كَمَا نَسَبَهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ**»^(٢).

ثالثاً: شهر رمضان قد اختصه الله به ولذلك سمي شهر الله.

رابعاً: في شهر رمضان تقع ليلة القدر التي خصها الله بالتكريم العظيم ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ**﴾ (القدر: ٢)، ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ**﴾ ﴿**فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ**﴾ (الدخان: ٤-٣).

خامساً: في شهر رمضان أنزل القرآن وجميع الكتب السماوية على ما ذكرنا في

الحديث.

سادساً: في شهر رمضان وقعت أحداث ومواقف كبيرة وعظيمة ينقلها لنا

التأريخ الإسلامي منها: نزول القرآن، ومعركة بدر، ليلة القدر، وغير ذلك.

(١) كنز العمال ٨ / ٥٩١ / ٢٤٢٩٣.

(٢) تفسير القرطبي ٢: ٢٩١.

سابعاً: أفضل كلمة تربوية جامعة لما يقع في شهر رمضان هي خطبة الرسول ﷺ الواردة عن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إن الرسول ﷺ خطبنا ذات يوم فقال: أيها الناس، إنه قد أقبل عليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة، شهر هو عند الله أفضل الشهور وأيامه أفضل الأيام ولياليه أفضل الليالي وساعاته أفضل الساعات، هو شهر دعيتم فيه إلى ضيافة الله وجعلتم فيه من أهل كرامة الله، أنفاسكم فيه تسيح ونومكم فيه عبادة وعملكم فيه مقبول ودعاؤكم فيه مستجاب، فاسألوا الله ربكم بنيات صادقة وقلوب طاهرة أن يوفقكم لصيامه وتلاوة كتابه، فإن الشقي من حرم غفران الله في هذا الشهر العظيم، واذكروا بجوعكم وعطشكم فيه جوع يوم القيامة وعطشه، وتصدقوا على فقرائكم ومساكينكم، ووقروا كباركم، وارحموا صغاركم، وصلوا أرحامكم، واحفظوا ألسنتكم، وغضوا عما لا يحل النظر إليه أبصاركم، وعما لا يحل الاستماع إليه أسماعكم. وتحننوا على أيتام الناس يتحنن على أيتامكم، وتوبوا إلى الله من ذنوبكم، وارفعوا إليه أيديكم بالدعاء في أوقات صلواتكم فإنها أفضل الساعات ينظر الله عز وجل فيها بالرحمة إلى عباده يبيهم إذا ناجوه ويلبثهم إذا نادوه ويستجيب لهم إذا دعوه.

أيها الناس، إن أنفوسكم مرهونة بأعمالكم فكفوها باستغفاركم، وظهوركم ثقيلة من أوزاركم فخففوا عنها بطول سجودكم، واعلموا أن الله تعالى ذكره أقسم بعزته ألا يعذب المصلين والساجدين، وألا يروّعهم بالنار يوم يقوم الناس لرب العالمين. أيها الناس، من فطر منكم صائماً مؤمناً في هذا الشهر كان له بذلك عند الله عتق رقبة ومغفرة لما مضى من ذنوبه.

قيل: يا رسول الله، وليس كلنا يقدر على ذلك؟ فقال: اتقوا النار ولو بشق تمره، اتقوا النار ولو بشربة من ماء، فإن الله تعالى يهب ذلك الأجر لمن عمل هذا اليسير إذا لم يقدر على أكثر منه.

يا أيها الناس، من حسن منكم في هذا الشهر خلقه كان له جواز على الصراط يوم تزل فيه الأقدام، ومن خفف في هذا الشهر عما ملكت يمينه خفف الله عليه حسابه، ومن كف فيه شره كف الله عنه غضبه يوم يلقاه، ومن أكرم فيه يتيماً أكرمه الله يوم يلقاه، ومن وصل فيه رحمه وصله الله برحمته يوم يلقاه، ومن قطع فيه رحمه قطع الله عنه رحمته يوم يلقاه، ومن تطوع فيه بصلاة كتب الله له براءة من النار، ومن أدى فيه فرضاً كان له ثواب من أدى سبعين فريضة فيما سواه من الشهور، ومن أكثر فيه من الصلاة عليّ ثقل الله ميزانه يوم تخف الموازين، ومن تلا فيه آية من القرآن كان له مثل أجر من ختم القرآن في غيره من الشهور.

أيها الناس، إن أبواب الجنان في هذا الشهر مفتحة فاسألوا ربكم ألا يغلقها عليكم، وأبواب النيران مغلقة فاسألوا ربكم ألا يفتحها عليكم، والشياطين مغلولة فاسألوا ربكم ألا يسلطها عليكم» .. إلى آخره^(١).

س: اذكر المحتملات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَنْزَلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾.

ج:

سيأتي البحث عن نزول القرآن بصورة مستقلة في محله إن شاء الله، أمّا هنا فسنذكر المحتملات التي وردت فقط، وهي:

١- أن الله أنزل جميع القرآن إلى السماء الدنيا في ليلة القدر التي هي من ليالي شهر رمضان المبارك، ثم بعد ذلك أنزله على النبي محمد ﷺ نجوماً ومقاطع في طول أكثر من عشرين سنة.

٢- أن الله أنزل القرآن ابتداء من ليلة القدر على النبي محمد ﷺ ثم استمر ينزل عليه أشهراً وأياماً.

٣- أن الله كان ينزل القرآن إلى السماء الدنيا في ليلة القدر بما يحتاج إليه الرسول ﷺ والناس أجمعين في تلك السنة جملة واحدة، ثم ينزل إرسالاً في الشهور والأيام.

٤- أن الله قد أنزل جميع كتبه على أنبيائه في شهر رمضان، خصوصاً إذا لاحظنا القرآن والفرقان على أنهما أسماء صفات، فإن الفرقان كما هو صفة للقرآن فإنه صفة لغيره من الكتب السماوية، كما أن القرآن يمكن إطلاقه على جميع الكتب السماوية، وعليه يكون شهر رمضان هو زمن نزول كل الكتب السماوية. ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «أنزلت صحف إبراهيم ثلاث مضيّن من شهر رمضان، وأنزلت توراة موسى لست مضيّن من شهر رمضان، وأنزل إنجيل عيسى ثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان، وأنزل زبور داود ثمانى عشرة ليلة مضت من شهر رمضان، وأنزل الفرقان على محمد لأربع وعشرين من شهر رمضان»^(١).

٥- أن القرآن نزل بصورة واحدة دفعية على قلب الرسول ﷺ في شهر رمضان قبل البعثة، ونزل بصورة التنزيل على قلب الرسول ﷺ نجوماً عند أول البعثة في

السابع والعشرين من شهر رجب واستمرَّ هكذا إلى آخر حياته ﷺ.

٦- أي أنزل في فرض الصوم ووجوبه القرآن، فدليل فرض الصوم ووجوبه هو القرآن.

س: عدد بعضاً من مصاديق الفرقان المذكورة في قوله تعالى:
﴿وَالْفُرْقَانِ﴾.

ج:

١- كما أن القرآن قد جمع أمهات المضامين الفكرية والعقائدية والأحكام الشرعية وغير ذلك، فإن الفرقان قد أظهر تفاصيل تلك المضامين.

٢- كل الكتب السماوية ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾
(البقرة: ٥٣).

٣- الزمان الذي حدث فيه حدث انتصار الحق على الباطل ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا
يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقِي الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الأنفال: ٤١).

٤- المكان الذي حدث فيه حدث انتصار الحق على الباطل.

٥- المعاجز التي صدرت من الأنبياء التي من خلالها ظهر الحق أمام الكافرين به.
٦- السنة المقدسة.

٧- العقل الداعي إلى عبادة الرحمن واكتساب الجنان.

٨- العالم الذي يعمل بعلمه.

٩- وجود العاملين في ساحة العمل والجهاد ضد الظالمين.

١٠- كل ما يضاف إلى الله فرقاناً مقابل ما يضاف إلى الشيطان.

س: ما هو التفسير المحتمل لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾؟

ج:

١- مَنْ كَانَ مَقِيمًا صَحِيحًا وَقَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ شَهْرُ رَمَضَانَ فَلْيَصُمْهُ وَجَوَابًا.

٢- مَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ هَلَالَ الشَّهْرِ فَلْيَصُمْهُ.

س: ما هو التفسير المحتمل لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾؟

ج:

١- يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر في أن أعطى للمريض والمسافر ولأصحاب الأعذار الأخرى الرخصة في الصوم، وعليهم القضاء لتكميل ما بقي عليهم من الأيام التي فاتتهم بسبب المرض أو السفر أو أي عذر مشروع.

٢- يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر الذي ترونه عسراً ومشقة، ولكن لو علمتم ما في الصوم من فائدة للبدن لعرفتم أن الصوم طريق لليسر لا للعسر، فإن استراحة بعض الأعضاء الداخلية للبدن وتقوية الإرادة تعطي للإنسان زخماً قوياً ونشاطاً أكثر فعالية في مجابهة مشاكل الحياة وممارسة وحداتها بكل حيوية، وهذا ما لا ينكره العلم اليوم، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «صوموا تصحوا»^(١).

٣- يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر كما هو شأن الله في كل أحكامه الشرعية

وتكاليفه الدينية ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج: ٧٨)،
 ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ (المائدة: ٦)، ﴿يُرِيدُ
 اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾ (النساء: ٢٨).

٤- ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾، أي لتكملوا خارج شهر رمضان ما فات عنكم قضاءً، أو
 لتكملوا الأيام المعدودات وهو شهر رمضان من دون أن تنقصوا منه شيئاً، وبعد
 نهايته أي في يوم العيد ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ﴾ أن تكبروا الله بما هو مرسوم من
 التكبير في أيام عيد الفطر تعظيماً وإجلالاً وعبادة، وليتحول التكبير إلى حركة
 نوعية باستحباب رفع الصوت به ليشعر الأشقياء من خلاله بالتذلل والانحدار
 والذل والهوان عسى أن يكون حافزاً لهم في الرجوع إلى الله حينما يسمعون
 أصوات التكبير من كل حدب وصوب، ﴿عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾ أن فرض عليكم
 الصيام، ووقفكم لصيامه وقيامه ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ بلسانكم وقلوبكم
 وعملكم بصورة مستمرة على هذه الهداية والتوفيق الإلهي وعلى هذه النعمة
 العظيمة من الصوم الذي حصلت من خلاله على الكثير من عز الدنيا وثواب
 الآخرة.

س: ما هي أقسام الصوم من حيث حكمه الشرعي؟

ج:

ينقسم الصوم إلى الأحكام الشرعية الخمسة:

- ١- الصوم الواجب، كصوم شهر رمضان، وصوم الكفارة، وصوم النذر واليمين
 والعهد، وصوم القضاء، وصوم بدل الهدي في الحج.
- ٢- الصوم المستحب، كصوم شهر رجب وشعبان ويوم مولد الرسول ﷺ ويوم

الغدِير، وغيره وهو كثير.

٣- الصوم المحرّم، كصوم العيدين، والصوم المنذور على معصية فعلها، وصوم الوصال، صوم الصمت.

٤- الصوم المكروه، كصوم الولد نافلة من دون إذن أبيه، والضيف من دون إذن مضيّقه.

٥- الصوم المباح، كلّ مَنْ أمسك عن الأكل والشرب من أجل الرياضة والحصول على الصّحة البدنية من دون لحاظ الإخلاص وتيّة القربة، فلا ثواب ولا عقاب عليه فهو مباح.

س: ما هي أقسام موارد مطلق الصوم الأخلاقية؟



ج:

١- صوم القلوب، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «صيام القلب عن الفكر في الآثام أفضل من صيام البطن عن الطعام»^(١).

٢- صوم النفوس، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «صوم النفس عن لذات الدنيا أنفع الصيام»^(٢).

٣- صوم اللسان، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «صوم القلب خير من صوم اللسان، وصيام اللسان خير من صيام البطن»^(٣)، وورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «سمع رسول الله صلى الله عليه وآله امرأة تسابّ جاريتها لها وهي صائمة فدعا

(١) غرر الحكم: ١٧٦/٣٣٦٥.

(٢) غرر الحكم: ١٧٦/٣٣٦٤.

(٣) غرر الحكم: ١٧٦/٣٣٦٣.

- رسول الله ﷺ بطعام فقال لها: كلي! فقالت: أنا صائمة يا رسول الله.
- فقال: كيف تكونين صائمة وقد سببت جاريتك؟!، إن الصوم ليس من الطعام والشراب، وإنما جعل الله ذلك حجاباً عن سواهما من الفواحش، من الفعل والقول يفطر الصائم، ما أقل الصوم وأكثر الجوع»^(١).
- ٤- صوم الجوارح، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إذا أصبحت صائماً فليصم سمعك وبصرك من المحرام، وجارحتك وجميع أعضائك من التقيح، ودع عنك الهذي وأذى الخادم، وليكن عليك وقار الصيام، والزم ما استطعت من الصمت والسكوت إلا عن ذكر الله، ولا تجعل يوم صومك كيوم فطرك، وإيّاك والمباشرة والتقبل والتفهية بالضحك فإن الله يمقت ذلك»^(٢).
- ٥- صوم الجسد، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «صوم الجسد عن الأغذية لإرادة واختيار خوفاً من العقاب ورغبة في الثواب والأجر»^(٣)، وعنه أيضاً: «صوم النفس إمساك الحواس الخمس عن سائر المآثم وخلو القلب من جميع أسباب الشر»^(٤).

س: ما هي الأيام التي يستحب فيها الصوم؟

ج:

١- صوم يوم أو يومين في الأسبوع.

(١) البحار ٩٣: ٢٩٣/١٦.

(٢) وسائل الشيعة ١٠: ١٦٥/١٣١٣١.

(٣) غرر الحكم: ١٧٦/٣٣٥٩.

(٤) غرر الحكم: ١٧٦/٣٣٦٢.

٢- صوم ثلاثة أيام في الشهر، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «مَنْ صَامَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ كَانَ كَمَنْ صَامَ الدَّهْرَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾» (١).

٣- الإكثار من الصوم موزعة على أيام السنة عدا الأيام المحرمة، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «مَنْ صَامَ يَوْمًا تَطَوُّعًا فَلَوْ أُعْطِيَ مِثْلَهُ الْأَرْضَ ذَهَبًا مَا وَفَى أَجْرَهُ دُونَ يَوْمِ الْحِسَابِ» (٢).

٤- الصوم حسب المناسبات الدينية، كصوم يوم المبعث، والنصف من شعبان، ويوم الغدير، ويوم مولد الرسول ﷺ، وغيرها المذكور في الكتب الخاصة.

س: أذكر بعض الروايات المأثورة عن المعصومين عليهم السلام أجمعين التي تتحدث عن الصوم.

مركز تحقيقات كميونر علوم إسلامي

ج:

١- بيان بعض علل تشريع الصوم، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «أَمَّا الْعَلَّةُ فِي الصِّيَامِ لَيْسَتْ بِإِسْتَوِي بِهِ الْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْغَنِيَّ لَمْ يَكُنْ لِيَجِدَ مَسَّ الْجُوعِ فَيَرْحَمُ الْفَقِيرَ، لِأَنَّ الْغَنِيَّ كُلَّمَا أَرَادَ شَيْئًا قَدَرَ عَلَيْهِ، فَأَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَسْوِيَ بَيْنَ خَلْقِهِ وَأَنْ يَذِيقَ الْغَنِيَّ مَسَّ الْجُوعِ وَالْأَلَمِ، لِيَرِقَّ عَلَى الضَّعِيفِ وَيَرْحَمَ الْجَائِعَ» (٣).

٢- من فوائد الصوم أنه يبعد الإنسان عن نار جهنم، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال:

(١) المستدرک ٧: ٥١٢/٨٧٧٧.

(٢) وسائل الشيعة ١٠: ٤٠٤/٤٠٤، ١٣٧٠٤.

(٣) البحار ٩٣: ٣٧١/٥٣.

«الصوم جنّة من النار»^(١).

٣- الصائم يحظى بثواب خاص من الله وقرب منه سبحانه، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «قال الله تبارك وتعالى: الصوم لي وأنا أجزي به»^(٢)، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «نوم الصائم عبادة، وصمته تسبيح، ودعاؤه مستجاب، وعمله مضاعف»^(٣)، «إن للصائم عند إفطاره دعوة لا ترد»^(٤).

٤- من فوائد الصوم أن يكون تطهير للأبدان، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «لكلّ شيء زكاة وزكاة الأبدان الصيام»^(٥).

٥- التحذير من أن يتعامل الصائم مع صومه بشكل سطحي خالٍ عن جميع محتواه من عدم الإخلاص فيه ومن عدم تأثير الصوم على جوانحه في الخضوع والتذلل لله، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «ربّ صائم حظّه من صيامه الجوع والعطش، وربّ قائم حظّه من قيامه السهر»^(٦)، ورد عن فاطمة الزهراء عليها السلام أنها قالت: «ما يصنع الصائم بصيامه إذا لم يصن لسانه وسمعه وبصره وجوارحه؟!»^(٧).

٦- أجر الصوم على قدر مشقّته، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «الصوم

(١) الفقيه ٢: ١٧٧١/٧٤.

(٢) الفقيه ٢: ١٧٧٣/٧٥.

(٣) الدعوات: ٤٥/٢٧.

(٤) الدعوات: ٤٦/٢٧.

(٥) فضائل الأشهر الثلاثة: ٥٧/٧٥.

(٦) وسائل الشيعة ١: ١٦٢/٧٢.

(٧) المستدرک ٧/٣٦٦: ٨٤٣١.

في الحر جهاد»^(١).

٧- من فوائد الصوم تقوية الفكر والروح، ورد في حديث المعراج «قال: يا رب وما ميراث الصوم؟ قال: الصوم يورث الحكمة، والحكمة تورث المعرفة، والمعرفة تورث اليقين، فإذا استيقن العبد لا يبالي كيف أصبح، بعسر أو يسر»^(٢).

٨- الذكر الخاص عند الإفطار وعند السحر وفي الأيام والليالي العامة والمخصوصة بشهر رمضان المبارك يراجع الكتب الخاصة بها، ورد عن الإمام الباقر^(ع) أنه قال: «إن رسول الله^(ص) كان إذا أفطر قال: اللهم لك صمنا وعلى رزقك أفطرنا فتقبله منا، ذهب الظمأ وابتلت العروق وبقي الأجر»^(٣).

س: من جملة ما ذكرتم من الروايات قوله^(ص): «قال الله تبارك وتعالى: الصوم لي، وأنا أجزي به»؟ اذكر الوجوه المحتملة في علة تخصيص الصوم به سبحانه وتعالى مع أن كل العبادات هي له.

ج:

- ١- في الصوم خصوصية تفقدها جميع العبادات، وهو منع الصائم عن ملاذ النفس وشهواتها الذي هو التعبير العملي للإخلاص لله واللجوء إليه ورفض غيره من المعبودين، فالصوم خطوة مهمة في طريق التجسيد العملي لحقيقة (لا إله إلا الله).
- ٢- الصوم سرّ بين العبد وربّه فهو لم يظهر للعيان فيكون الصوم بعيداً عن التصنع والرياء بخلاف بقية العبادات التي ليس فيها منع للشهوات وهي ظاهرة للعيان مع إمكان دخول الرياء فيها.

(١) المستدرک ٨٧٥٥/٥٠٥٧

(٢) إرشاد القلوب ٢٠٣:١

(٣) الكافي ١/٩٥:٤

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ
فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: ١٨٦)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:

- ١- السؤال: طلب الفهم أو الحاجة.
- ٢- الدعاء: هو طلب الطالب للفعل من غيره.
- ٣- الداعي: المتلبس بالدعاء.
- ٤- الإجابة: القطع.
- ٥- الرشd: ١- إصابة الحق. ٢- الصلاح.



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم إسلامي

● الدعاء، تربية وعبادة

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ
عِبَادِي﴾؟

ج:

- ١- أن الخطاب جواب لسؤال وجه للرسول ﷺ عن كيفية الدعاء لله، ورد أن أعرابياً أتى للرسول ﷺ فسأله: أ قريب هو فنناجيه أم بعيد فنناديه؟^(١) فنزلت هذه الآية.

- ٢- ﴿عِبَادِي﴾، إن العبادة أقرب علاقة بين الله والإنسان؛ لأنه يملكهم بالملك

(١) عوالي اللاكي ٢: ٨٢/٢١٨.

الحقيقي، فهو يحيط بهم من كل جهة، وهو الحائل بين الشيء ونفسه، فاختيار عبادي لتأتي مناسبة مع إني قريب.

٣- إذا سألك عبادي عن صفاتي.

٤- السؤال غاية الدعاء.

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿فإني قريب﴾؟

ج:

١- إني قريب، أي بالإجابة، فهي كناية عن سرعة الاستجابة.

٢- إني قريب، تمثيل حاله بالاستجابة وسماع الدعاء حال قريب المسافة الذي

يسمع.

٣- إني قريب، كالمعية في أنها من غير مخالطة وممازجة ومداخلة وأين واجتماع،

فهو أقرب من قرب هذه المعاني وأبعد من بعدها بحقه، قال تعالى: ﴿وَنَحْنُ

أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ (الواقعة: ٨٥).

٤- إني قريب، حائل بين الشيء ونفسه، باعتباره خالق ومالك بالملكية الحقيقية

التي أمتلك فيها الأشياء القائمة بمالكها المتقومة به، ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ

الْوَرِيدِ﴾ (ق: ١٦)، ﴿أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ (الأنفال: ٢٤).

٥- أن الذي يتقرب ويتباعد ويستجيب أو لا يستجيب هو الله، وإن المسؤل عن

القرب والبعد والاستجابة وعدمها هو العبد، فبقدر ما يخلص الإنسان في عمله

يتقرب الله إليه، وبقدر ما يكون الإنسان محطّة للذنوب يبتعد الله عنه.

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿أجيب دعوة الداع

إذا دعان﴾؟

ج:

١- أن الإجابة نوع من التصرف، وهذا من حق الله؛ لأنه مالك للأشياء بالملكية الحقيقية فلا يمنعه مانع من أي تصرف تراه حكمته، فهو يجيب على دعوة كل داع ومهما كان نوع الدعوة وكيفيةها.

٢- لكونهم عبادي أجيب لهم، فإن لفظ (عبادي) تشمّ فيها رائحة الاختصاص لأقرب الناس إليه وهم المؤمنون الذين يقدمون لدينه والملتزمون بأمره، وبعبارة يقدمون فلا بدّ على الله من باب لطفه والتزامه بالعهد والوعد أن يجيبهم ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ (البقرة: ٤٠)، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام عندما قيل له: إن الله تعالى يقول: ﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، وأنا ندعوه فلا يستجيب لنا، أنه قال: «لأنكم لا تفون بعهد الله، وإن الله يقول: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ والله لو وفيتم لله لوفى لكم»^(١).

مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَيْسَتْ جِيبُوا إِلَيَّ وَلِيُؤْمِنُوا بِي﴾؟

ج:

١- فليدعون وليؤمنوا بي أنني قادر على استجابة الدعاء، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إن معناه وليتحققوا إنني قادر على إعطائهم ما سألوهم»^(٢).

٢- أن الإيمان ينمو ويترسخ عندما ينقادوا ويطيعوا ويستسلموا لله، فالإيمان مترتب على الاستجابة لله ومتفرع منه.

(١) تفسير القمي ٤٦:١.

(٢) عدّة الداعي: ١٥.

٣- الاستجابة تبين الجانب العملي الخارجي، والإيمان يمثل الجانب القلبي، وكل منهما يرفد الآخر بعناصر التقوية، فالإنسان الذي يريد الرشاد أن يكون دائماً بين الاستجابة والإيمان.

س: ما هي الأمور التي ذكرها الله بخطابه والتي يبرز من خلالها اهتمامه بالإجابة للدعاء؟

ج:

- ١- حصر الخطاب بوحدة المتكلم الذي هو سبحانه.
- ٢- استعمال كلمة ﴿عِبَادِي﴾ التي تشع بالاختصاص والشفقة والحب.
- ٣- قال: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ من دون فاصلة بالحديث التي تكشف عن حضوره الفوري والمباشر والدائم للاستجابة، فهي على غرار قوله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦٠). مركز تحقيقات كميونر علوم إسلامي
- ٤- استعمال الفعل المضارع ﴿أَجِيبُ﴾ الذي يعني تجدد الاستجابة واستمراره لكل دعوة.
- ٥- شرط دعوة الداعي بـ (إذا دعان) التي لا تجد هناك فرقاً بين الشرط والمشروط، وهذا يعني أن دعوة الداعي مستجابة من دون شرط.
- ٦- احتواء الخطاب على سبع ضمائر تعود للمتكلم الذي هو الله سبحانه وتعالى (عبادي) (عني) (فإني) (أجيب) (دعان) (لي) (بي)، وهذا يعني الحضور الدائم له واستعداده لأن يجيب على كل دعوة.
- ٧- الحث على استجابة الغير له مع عدم حاجته لهم ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (فاطر: ١٥).

٨- يزرع الثقة ويؤكددها في نفوس المؤمنين من خلال إيمانهم به بأنه يجيب دعوة الداعي.

س: ما هي أقسام الدعاء إلى الله من حيث غرض الداعي؟

ج:

ينقسم الدعاء بهذا اللحاظ إلى قسمين:

١- التعظيم والمدح والثناء لله، مثل: يا لا إله إلا أنت، يا عظيم، يا حي يا قيوم، يا من له الأسماء الحسنى.

٢- طلب الحاجة واستدرار الرحمة والغفران، يا رازق ارزقنا، ويا رحيم ارحمنا.

٣- أن يكون في حالة عبادة، لأن الدعاء عبادة بنفسه.

س: أن الله حكيم، وإذا اقتضت حكمته لشيء لا بد أن يفعله، وعليه لا داعي للدعاء؟

ج:

١- أن الدعاء عبادة بنفسه ومحبوب عند الله، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «ما من شيء أحب إلى الله من أن يسأل»^(١).

٢- أن حكمته لم تكن كلها من نوع واحد وأنها منجزة كلها، بل بعض حكمته معلقة على الدعاء، وإذا لم يدع لم يتحقق ما تعلقت عليه حكمة الاستجابة، وبالتالي لا فعل يصدر من الله، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «لا تقل: إن الأمر قد فرغ منه، إن عند الله منزلة لا تنال إلا بمسألة»^(٢).

(١) المستدرک ٥: ١٦٣/٥٥٦٦.

(٢) الكافي ٢: ٤٦٦/٣.

س: هل استجابة الدعاء تسير ضمن القانون الطبيعي أم هي اختراق له؟
ج:

استجابة الدعاء بيد الله وقضائه إن تمَّ في تلك القضية التي يريد أن يستجيب لها، وقضاؤه سبحانه قد يتمَّ عن طريق هداية الداعي إلى القانون الطبيعي الذي إذا سلكه يحصل على النتيجة أو يستجيب له من خلال التصرف بالقانون باعتبار أنَّ الحاكمية والملك الحقيقي لله فهو يفعل ما يشاء، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (الطلاق: ٢-٣).

س: لماذا ندعو ولم تكن هناك استجابة لأغلب الدعوات مع أنَّ الآية لا يوجد فيها تخلف بين الدعاء والاستجابة؟ اذكر المحتمل في الجواب على ذلك.

مركز تحقيقات كميتر علوم إسلامي

ج:

أنَّ استجابة كلِّ دعاء من كلِّ إنسان يوجب اختلال النظام كما قلنا سابقاً، وهذه القضية لا يحتاج التصديق بها إلى شيء من التوضيح لبدايتها، وهذا يعني أنَّ الاستجابة تختصر على بعض الحالات، وهذه الحالات على قسمين:

١- منها ما لا تتخلف فيها الاستجابة عن الدعاء أصلاً ومن دون شرط كما هو حديث هذه الآية التي بين أيدينا وكما هي آية ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر: ٦٠).

٢- ومنها ما لا تتخلف فيها الاستجابة عن الدعاء لو توفرت الحالة الأولى أو أقلَّ منها، ولكن يستتبعها شروطاً متممة للحالة الأولى لتحصل الاستجابة.

أما الحالة الأولى من القسم الأول التي هي موضوع الآية وحاكية عنها فيتم توضيحها من ملاحظة ما يلي: لو نظرنا إلى نفس خطاب الآية وأخذنا منها هذه العبارة «دَعْوَةُ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ» لرأينا أن الاستجابة معلقة على أن يكون الداعي في حالة كونه داعياً متلبساً بها تلبساً حقيقياً، فلا يكون الداعي داعياً بلسانه فقط، وتتحقق هذه الحالة عندما يدفعه الاضطرار إلى أن يكون كلاً في حالة السؤال، تلك اللحظات التي يكون فيها الإنسان متعلقاً من أعماق قلبه وروحه وفطرته بالله بدعائه ومسأله، ومستسلماً إليه، ليس لغير الله شعور في كلاً، بحيث يصل فيها الإنسان في حالة تكفي عن السؤال اللساني، بل هي سؤال بنفسها التي لا يتخلف عندها الجواب والتي عندها يأتي الجواب والاستجابة من دون شرط، وهذه الحالة لا يمكن للإنسان أن يصنعها بالدوام، بل هي حالة يولدها الاضطرار الذي يمرّ بالإنسان والتي تهيج الفطرة بحيث تجعل المضطر كلاً متوسلاً وملتجئاً إلى الله متعلقاً به كل التعلق. وهذه الحقيقة من الحالة قد تكون قد مرت على كل إنسان وهو يكافح مشاكل الحياة، فكم من كافر قد آمن بالله عندما مرّ بهذه الحالة وقد استجاب الله له؟ وكم من فاسق قد أصبح ملتزماً عندما مرّ بهذه الحالة وقد استجاب الله له؟ وكم من مؤمن قد ازداد إيمانه عندما مرّ بهذه الحالة وقد استجاب الله له؟ وكم من جمع قد مرّ بهذه الحالة فأنزل الله عليهم المطر للاستسقاء؟.

وهذه الحالة هي التي يكشف عنها ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «أمن يجيب المضطر إذا دعاه»، فستل: ما لنا ندعو ولا يستجاب لنا؟ فقال: «لأنكم تدعون من لا تعرفون، وتسالون ما لا تفهمون، فالاضطرار عين الدين، وكثرة الدعاء مع العمى عن الله من علامة الخذلان، من لم يشهد ذل نفسه وقلبه وسره تحت

قدرة الله حكم على الله بالسؤال، وظن أن سؤاله دعاء، والحكم على الله من الجرأة على الله»^(١).

والقرآن يكشف هذه الحقيقة كذلك ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ • قُلِ اللهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كُزْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام: ٦٣-٦٤)، ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ • بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام: ٤٠-٤١).

شاهد أن هذه الآيات تتحدث عن عنصر يشترك فيه حتى المشركين تلك هي لحظات الاضطرار و بروز الفطرة التي لا تجعله مستسلماً إلا إليه سبحانه، وإن هذه الحالة هي نفس الحالة التي جسدها إبراهيم عليه السلام عندما وضع في المنجنيق ليُقذف بالنار التي أعدها نمرود، في تلك اللحظات من ذروة الحدث التي أريد بها أن يقذف في النار، تقول الرواية: إن جبرئيل قد نزل عليه وسأله الاستجابة إذا طلب حاجته، فرد عليه إبراهيم فقال: علمه بحالي يغنيه عن سؤالي. أنظر أنه ﷺ لم يدعوه بعضو لسانه، بل دعاه بلسان حاله المستسلم لله لينقذه من نار نمرود. فإذا كانت هذه الحالة بصورة دائمة عند إبراهيم ويمتلکها كل معصوم إلا أنه لا يملكها عامة الناس إلا عند الاضطرار ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِّ دَعَوْا اللهَ مُخْلِصِينَ﴾ (العنكبوت: ٦٥)، ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ﴾ (الروم: ٣٣).

وإن هذه الحالة لا تكون حاکمة على الله حتى يلزم عليه أن يستجيب لها جميعاً وعلى أي حال، وحاشا لله أن يكون شيء حاکماً عليه، بل هي متروكة لمشيئته

سبحانه ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ﴾ (الأنعام: ٤١)، كما تركها إبراهيم لمشيئته سبحانه فتحققت، وكما تركها فرعون لمشيئته سبحانه ولم تتحقق ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَذْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (يونس: ٩٠-٩١).

ولكن تبقى هذه الحالة من الدعاء هي النبراس التي لا يتخلف عنها الجواب الإلهي ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ (النمل: ٦٢)، وهي الحالة التي يريدنا الله من الداعي أن يصنعها بدعائه ليلازمها الجواب كما يصنعها المعصوم على الدوام فيستجيب الله لكل دعواته، وهذه النبراسية هي التي جعلتنا نتوسل بها إلى الله لاستدراار رحمته (يا مجيب دعوة المضطرين)، أي كما أن جوابك للمضطرين لا يتخلف اجعل إجابتك لدعائي لا تتخلف.

ومن هنا نعرف أن هذه الآية التي بين أيدينا كما هي إنشاء وجعل تشريعي للدعاء فهي تدعو الإنسان الداعي أن يكون في أعلى درجات الإخلاص والاستسلام في دعائه كحالة المضطر التي تعبر عن أعلى درجات الاستسلام والخلوص لله، ورد في الحديث في ما وعظ الله تعالى به عيسى: «يا عيسى، ادعني دعاء الحزين الغريق الذي ليس له مغيث... ولا تدعني إلا متضرعاً إليّ وهتك هنا واحداً، فإنك متى تدعني كذلك أجبتك»^(١).

إذا عرفنا حالة القسم الأول نعرف حالة القسم الثاني وهي أنه لا بد من أن يمتلك الداعي الحالة الأولى فإن لم يدرك كلها فلا بد من شيء منها مع ما يكملها، والذي يكملها هو مراعاة أدب الدعاء والمدعو إليه والداعي، فإذا اجتمع هذا وذاك تحصل

الاستجابة إن شاء الله، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «احفظ آداب الدعاء ... فإن لم تأت بشرط الدعاء فلا تنتظر الإجابة ... واعلم أنه لو لم يكن الله أمرنا بالدعاء لكننا إذا أخلصنا الدعاء تفضل علينا بالإجابة، فكيف وقد ضمن ذلك لمن أتى بشرائط الدعاء؟»^(١).

س: كيف يراعي الداعي أدب الدعاء والمدعو إليه وأدبه؟ وضح ذلك.

ج:

أولاً: مراعاة أدب الدعاء هي:

- ١- أن يختار المأثور المنقول من الدعاء الموجود في القرآن وسنة المعصوم.
- ٢- أن يختار الوقت المناسب له، والأوقات كلها مفتوحة للسائلين، ولكن هناك أوقات لها خصوصيتها عند الله كأوقات الصلاة والأسحار، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ • قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا • نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا • أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ (المزمل: ١-٤).

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خير وقت دعوتكم الله عز وجل فيه الأسحار»، وتلا هذه الآية في قول يعقوب عليه السلام: ﴿أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ قال: «أخرهم إلى السحر»^(٢).

- ٣- أن يختار المكان المناسب له من حيث الطهارة والقدسية كالمساجد والمشاهد المشرفة أو الإصحار به أو في بيت لم يوجد فيه ما يمنع من الاستجابة، ورد في ما وعظ الله تعالى به عيسى عليه السلام: «قل لظلمة بني إسرائيل: لا تدعوني والسحت

(١) بحار الانوار ٩٠: ٣٦/٣٢٢.

(٢) الكافي ٢: ٤٧٧/٦.

تحت أقدامكم والأصنام في بيوتكم، فإني آليت أن أجيب من دعائي، وإن إجابتي
إياهم لعن لهم حتى يتفرقوا»^(١).

٤- أن يبتدئ الدعاء بالبسملة، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «لا يردّ دعاء أوله بسم
الله الرحمن الرحيم»^(٢).

٥- أن يبتدئ الدعاء بعد البسملة بالصلاة على النبي ﷺ وآله، ورد عن الرسول ﷺ
أنه قال: «صلاتكم عليّ إجابة لدعائكم وزكاة لأعمالكم»^(٣).

٦- أن يكون الدعاء بألفاظ عامة تشمل الداعي وغيره، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال:
«إذا دعا أحد فليعم فإنه أوجب للدعاء، ومن قدّم أربعين رجلاً من إخوانه قبل
أن يدعو لنفسه استجب له فيهم وفي نفسه»^(٤).

٧- أن يجري الدعاء في المجرى الصادق والصحيح من حيث انسجامه مع المفاهيم
الإسلامية العامة والخاصة، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «قلت:
اللهم لا تحوجني إلى أحد من خلقك، فقال رسول الله: يا عليّ، لا تقولن هكذا
فليس أحد إلّا وهو محتاج إلى الناس، قال: فقلت: كيف يا رسول الله؟ قال: اللهم
لا تحوجني إلى شرار خلقك»^(٥).

ثانياً: مراعاة أدب المدعو إليه وهو الله سبحانه وتعالى، وهي:

١- أن يؤمن الداعي بالله كما هو أهله من جميع الجهات.

(١) الكافي ٨: ١٣٣/١٠٣.

(٢) المستدرک ٥: ٣٠٤/٥٩٢٩.

(٣) وسائل الشيعة ٩٦: ٧/٨٨٣٧.

(٤) البحار ٩٠: ٣١٣/١٧.

(٥) المستدرک ٥: ٢٦٣/٥٨٣١.

٢- أن يعلم أنه بين يدي جبار السماوات والأرض.

٣- أن يثق بالله بأن بيده ملكوت كل شيء، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «أوحى الله

إلى بعض أنبيائه... لو أن أهل سبع سماوات وأرضين سألوني جميعاً وأعطيت كل

واحد منهم مسألته ما نقص ذلك من ملكي مثل جناح بعوضة، وكيف ينقص

ملك أنا قيّمه...»^(١).

٤- أن يحسن الظن بالله في أنه يستجيب له، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «ادعوا الله

وأنتم موقنون بالإجابة»^(٢)، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إذا دعوت

فظن أن حاجتك بالباب»^(٣).

٥- ألا يعلم الله كيف يقضي حاجته، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «يا ابن آدم،

أطعني فيما أمرتك ولا تعلمني ما يصلحك»^(٤).

النتيجة: مراعاة أدب الداعي هي:

١- أن يكون من المؤمنين العاملين الذين يذكرون الله حتى يذكرهم، ورد عن

الرسول ﷺ أنه قال: «الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر»^(٥).

٢- يحاول أن يعيش الحالة الأولى التي ذكرناها سابقاً وهي حالة الاستسلام

والإخلاص كما يملكها المضطر، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إذا

(١) الأمالي للطوسي: ١٢٠٨/٥٨٤.

(٢) وسائل الشيعة ٨٦٩٩/٥٣٧.

(٣) الكافي ١/٤٧٣:٢.

(٤) وسائل الشيعة ٢٠٣٦٤/٢٣٥:١٥.

(٥) الفقيه ٥٩٠٤/٤١٦:٤.

- دعوت الله ووجل قلبك، فدونك دونك فقد قصد قصدك»^(١).
- ٣- أن يكون على طهارة قلبية ولسانية، ورد في الحديث: «يا موسى ادعني بالقلب النقي واللسان الصادق»^(٢).
- ٤- أن يكون على طهارة بدنية وروحية، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءِ ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ فَأَتَمَّ رُكُوعَهُمَا وَسَجُودَهُمَا ثُمَّ سَلَّمَ وَأَتَى عَلَى اللَّهِ عِزًّا وَجَلَّ وَعَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ سَأَلَ حَاجَتَهُ فَقَدْ طَلَبَ فِي مِظَانِهِ، وَمَنْ طَلَبَ الْخَيْرَ فِي مِظَانِهِ لَمْ يَخْبُ»^(٣).
- ٥- أن يكون على طهارة ممَّا يدخل في جوفه، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «أطرب كسبك تستجاب دعوتك، فإنَّ الرجل يرفع اللقمة إلى فيه حراماً فما تستجاب له أربعين يوماً»^(٤).
- ٦- أن يكون على طهارة بعلاقته مع الآخرين فلا يكون ظالماً لغيره، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول: وعزَّتي وجلالي لا أُجيب دعوة مظلوم دعاني في مظلمة ظلمها ولأحدٍ عنده مثل المظلمة»^(٥).
- ٧- أن يستجمع معه غيره، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ما اجتمع أربعة رهط قطَّ على أمر واحد فدعوا الله إلا تفرَّقوا عن إجابة»^(٦).

(١) وسائل الشيعة ٧/٧٣:٧٣/٨٧٦٣.

(٢) عدَّة الداعي: ١٦٤.

(٣) الكافي ٣/٤٧٨:٥.

(٤) البحار ٩٠:٣٥٨/١٦.

(٥) وسائل الشيعة ٧/١٤٦:٧/٨٩٦٨.

(٦) الكافي ٢/٤٨٧:٢.

٨- أن يُلخَّ بالدعاء والطلب، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «إنَّ الله كره إلهام الناس بعضهم على بعض في المسألة وأحبَّ ذلك لنفسه» (١).

٩- ألا يستعجل الداعي الإجابة، ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: «لا يزال الناس بخير ما لم يستعجلوا، قيل: يا رسول الله صلى الله عليك كيف يستعجلون؟ قال: يقولون: دعونا فلم يستجب لنا» (٢).

س: لماذا ذكرت أن يكون من أدب الدعاء هو الاستعانة بالمأثور المنقول عن القرآن وسنة المعصوم؟ اذكر الاحتمالات في ذلك.

ج:

١- لأنها أعلى لغة منسجمة يقدها المتكلم المنسجمة مع علو المخاطب وهو الله سبحانه وتعالى، ورد في الدعاء للإمام الباقر عليه السلام: «سبحان الله كلِّما سبَّح الله شيءٌ، وكما يحبُّ الله أن يسبَّح، وكما هو أهله، وكما ينبغي لكرم وجهه وعزِّ جلاله. والحمد لله كلِّما حمد الله شيءٌ، وكما يحبُّ الله أن يحمده، وكما هو أهله، وكما ينبغي لكرم وجهه وعزِّ جلاله. ولا إله إلا الله كلِّما هلَّل الله شيءٌ، وكما يحبُّ الله أن يهلَّل، وكما هو أهله ...» (٣).

٢- أنها اللغة المحبوبة عنده سبحانه وتعالى.

٣- أنها اللغة الكاشفة عن كوامن الإنسان.

٤- أنها اللغة الكاشفة عمَّا يعمله الإنسان في السر والعلن.

(١) عدَّة الداعي: ١٥٦.

(٢) إرشاد القلوب ١: ١٨٤.

(٣) الكافي ٢: ٥٨٧/٢٦.

- ٥- أنها اللغة التي تعمق الخطيئة في نفس الإنسان وقلبه.
- ٦- أنها اللغة التي تفتح آفاق الأمل عندما تفتح أمامه أبواب الرحمة والغفران وتشعباتها.
- ٧- أنها اللغة التي تنمي فكر الإنسان وعقله عندما ترفده بالعلوم والمعرفة التي يحملها الدعاء.
- ٨- أنها اللغة التي تزيد الإنسان شوقاً ومحبةً وولهاً وعشقاً لله.
- ٩- أنها اللغة التي تجعل الإنسان يعيش الحالات المختلفة المتضادة التي لم يعشها واقعاً لتنمي إحساسه وشعوره في المجالات التي هو غافل عنها لعدم معاشته لها، فالدعاء يجعلك تعايش أهل الفقر والغناء وأهل المرض والصحة وأهل السلم والثغور وأهل السماوات والأرض وأهل الطاعة والعصيان وأهل الحياة والأموات وأهل العدل والظلم.
- ١٠- أنها اللغة التي تزيل عن الإنسان كل الأمراض الأخلاقية التي يسقط فيها الإنسان من الحقد والأنانية والجشع والحسد والبغض والتكبر والشقاوة.
- ١١- أنها اللغة التي تزيد الإنسان سعياً ونشاطاً وحيويةً نحو الصلاح والخير إلى النفس أو الأسرة أو المجتمع، ورد في الدعاء للإمام الصادق عليه السلام: « اللهم إنه ليس لي علم بموضع رزقي، وإنما أطلبه بخطرات تخطر على قلبي، فأجول في طلبه البلدان، فأنا فيما أنا طالب كالحيران، لا أدري أفي سهل هو أم في جبل، أم في أرض أم في سماء، أم في بر أم في بحر، وعلى يدي من، ومن قبل من، وقد علمت أن علمه عندك وأسبابه بيدك، وأنت الذي تقسمه بلطفك وتسببه برحمتك. اللهم فصل على محمد وآله، واجعل يا رب رزقك لي واسعاً، ومطلبه

سهلاً وماأخذه قريباً...»^(١).

١٢- أنها اللغة التي تعمق روح المودة والإخاء وتقوي الروابط الاجتماعية بأعلى درجاتها، ورد في الدعاء: «... وأسألك في حمل مظالم العباد عنا، فأَيُّما عبد من عبيدك أو أمة من إمائِكَ، كانت له قَبلي مظلمة ظلمتها إِيَّاه، في نفسه أو عرضه أو ماله، أو في أهله وولده، أو غيبة اغتبتَه بها، أو تحامل عليه بميل أو هوى، أو أنفة أو حمية أو رياء أو عصبية، غائباً كان أو شاهداً، وحيّاً كان أو ميتاً، فقصرت يدي وضاق وسعي عن رَدِّها إليه والتحلُّل منه...»^(٢).

١٣- أنها اللغة التي تعرّف الله وتكشف للإنسان تفاصيل صفاته سبحانه وتشعّباتها ومواردها، ورد في الدعاء: «يا مَنْ أظهر الجميل وستر القبيح، يا مَنْ لم يؤاخذ بالجريرة ولم يهتك السر، يا عظيم العفو يا حسن التجاوز، يا صاحب كلِّ نجوى يا منتهى كلِّ شكوى، يا كريم الصّبح يا عظيم الرجاء يا مبتدئاً بالنعيم قبل استحقاقها، يا جابر كلِّ كسير ويا حاضر كلِّ مَلأ، ويا شاهد غير غائب، ويا قريب غير بعيد، ويا مؤنس كلِّ...»^(٣).

س: ما هي الحالات التي يكون فيها الإنسان داعياً ولا يستجاب له الدعاء؟
ج:

١- إمّا أنّه يدعو بلسانه والقلب مشغول بأمر غير ما يدعو إليه، فلا انكسار فيه ولا خشوع ولا تذلل، فلا استجابة، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنَّ الله لا

(١) المستدرک ٥: ١٠٢/٥٤٣٨.

(٢) مصباح الكفعمي: ١١٣.

(٣) الكافي ٢: ٥٧٨/٤.

يستجيب دعاء بظهر قلب ساه» (١).

٢- إما أنه يدعو بلسان يريد فهم الدعاء ويعتقد أنه يدعو ولا يعلم أنه يسأل ولا يدعو، فلا استجابة.

٣- إما أنه يدعو بلسان رجاء الاستجابة وقلبه آيس من الاستجابة، فلا استجابة.

٤- إما أنه يدعو وفكره مشغول بالعثور على مستجيب لقضاء حاجته غير الله، فلا استجابة، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «قال الله عز وجل: ما من مخلوق يعتمم بمخلوق دوني إلا قطعت أسباب السماوات وأسباب الأرض من دونه، فإن سألتني لم أعطه وإن دعاني لم أجبه» (٢).

٥- إما أنه يدعو لملء الفراغ أو اشتتت نفسه ذلك أو رغبة في الانضمام إلى الجمع الداعي، فلا استجابة، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: إني دعوت الله فلم أر الإجابة؟ فقال: لقد وصفت الله بغير صفاته وإن للدعاء أربع خصال: إخلاص السريرة، وإحضار النية، ومعرفة الوسيلة، والإنصاف في المسألة، فهل دعوت وأنت عارف بهذه الأربعة؟ قال: لا، قال: فاعرفهن» (٣).

٦- إما أنه يدعو من باب أنه تطبّع وعادة اعتاد عليها إن تركها استوحش، فلا استجابة.

٧- إما أنه يدعو وهو لا يعلم أن في الاستجابة مفسدة عليه لعلم الله بعاقبة الأمور،

(١) الكافي ٢: ٤٧٣/١.

(٢) المستدرک ١١: ٢١٤/١٢٧٧٦.

(٣) تنبيه الخواطر ١: ٣٠٢.

فلا استجابة، قال تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ (الإسراء: ١١).

٨- إما أنه يدعو وهو لا يعلم أن في الاستجابة يلزم تخلخل النظام، فإن الاستجابة لكل دعاء يدعو إليه كل إنسان يلزم تخلخل نظام الحياة، فلا استجابة.

٩- إما أنه يدعو سياسة لجلب تأييد الناس إليه أو ليظنوا به الإيمان والدين كما هو دعاء الظلمة من حكام ومسؤولين، فلا استجابة.

١٠- إما أنه يدعو وهو يعلم أو لا يعلم بأن ما يدعو إليه يحتاج بعد الدعاء إلى سعي منه إليه لسنة الحياة القائمة على ذلك، فلا استجابة، قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (الفتح: ٢٣). ورد أن أمير المؤمنين علي عليه السلام مر بأعرابي وإلى جنبه ناقة جرباء، فقال له: «ألا تداويها؟ قال الأعرابي: بلى يا أمير المؤمنين، إنني أداويها، قال الإمام: وماذا؟ قال الأعرابي: بالدعاء، قال الإمام: ضع مع الدعاء شيئاً من القطران».

١١- إما أنه يدعو للظالمين كما هم وعاض السلاطين ورجال إعلامهم، فلا استجابة، ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه» (١).

١٢- إما أنه يدعو وهو من المعتدين على حدود الله وحقوق الناس، فلا استجابة، قال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (الأعراف: ٥٥)، فالذي لا يحبه الله لا يستجيب له دعاءه.

١٣- عندما نقول: فلا استجابة هذا لا يعني ترك الدعاء، فإنه إن لم تكن استجابة له

في الدنيا فله أثره الإيجابي في الآخرة لأنه عبادة محبوبة عند الله.

س: إلى كم قسم تنقسم أحوال استجابة الله للدعاء في الدنيا؟

ج:

١- الاستجابة المباشرة التامة أو زيادة على التمام الذي طلبه الداعي لحكمة شخصها الله، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «إِنَّ رَبَّكُمْ حَيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيُ أَنْ يَبْسُطَ الْعَبْدُ يَدَيْهِ إِلَيْهِ فَيَرُدَّهَا صَفْرًا»^(١).

٢- الاستجابة المباشرة الناقصة لحكمة شخصها الله والتي منها أن الله أراد من الداعي أن يتمها لمقدرته على ذلك.

٣- الاستجابة المؤجلة على المدى القريب أو البعيد لحكمة شخصها الله، ورد عن إسحاق بن عمار: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: يستجاب للرجل الدعاء ثم يؤخر؟ قال: «نعم عشرون سنة»^(٢).
 مركز تحقيقات كميونر علوم إسلامي

٤- عدم الاستجابة أصلاً، إما لوجود مصلحة للداعي وإما لوجود مانع من الداعي، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «رَبَّمَا سَأَلْتَ الشَّيْءَ فَلَا تَوَاتَاهُ وَأُتِيَتْ خَيْرًا مِنْهُ عَاجِلًا أَوْ آجِلًا، أَوْ صَرَفَ عَنْكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ، فَلَرَبِّ أَمْرٍ قَدْ طَلَبْتَهُ فِيهِ هَلَاكُ دِينِكَ لَوْ أُوتِيَتْهُ، فَلَتَكُنْ مَسْأَلَتَكَ فِيمَا يَبْقَى لَكَ جَمَالُهُ وَيَنْفِي عَنْكَ وَيَالَهُ»^(٣).

(١) كنز العمال ٢: ٣١٢٨/٦٤.

(٢) الكافي ٢: ٤٨٩/٤.

(٣) نهج البلاغة ٣: ٣١/٤٨.

س: ما هو أثر الدعاء على شخصية الإنسان المسلم؟

ج:

١- الدعاء تجسيد وامتثال لأمر الله، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ

إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غانر: ٦٠).

٢- الدعاء مظهر من مظاهر العبودية التي يجسدها الإنسان بين يدي ربه، ورد عن

الرسول ﷺ أنه قال: «أفضل العبادة الدعاء»^(١).

٣- الدعاء ذكر الله في حالة الرخاء، فإذا لم يكن الإنسان محتاجاً من أمور الدنيا

شيئاً وكان في أتم الصحة فليس من الإنصاف أن يترك ذكر ربه الذي أنعم عليه

هذه النعم، وليس من الصحيح أن يترك ذكر ربه لاحتياجه المستمر إليه في

استمرار هذه النعمة عليه في أن تمر عليه من دون بلاء، ورد عن الإمام زين

العابدين ﷺ أنه قال: «لا تجعلني ممن يطره الرخاء ويصرعه البلاء، فلا يدعوك

إلا عند حلول نازلة، ولا يذكرك إلا عند وقوع جائحة، فيصرع لك خذّه وترفع

بالمسألة إليك يده»^(٢).

٤- الدعاء الإذن الرسمي الذي رسمه الله للدخول عليه والتكلم معه، ورد عن الإمام

أمير المؤمنين ﷺ أنه قال: «مَنْ استأذن على الله أذن له»^(٣)، وعنه أيضاً: «مَنْ

قرع باب الله سبحانه فتح له»^(٤).

(١) إرشاد القلوب ١: ١٤٨.

(٢) البحار ٩١: ١٩/١٣٠.

(٣) غرر الحكم: ١٩٢/٣٧٣٩.

(٤) غرر الحكم: ١٩٣/٣٧٥١.

٥- الدعاء باب من أبواب الإقرار بالذنب التي هي فضيلة العبد، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إنما هي المدحة، ثم الإقرار بالذنب ثم المسألة»^(١).

٦- الدعاء يزودك الإثارة والاهتمام بالآخرين، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «كانت فاطمة الزهراء عليها السلام إذا دعت تدعو للمؤمنين والمؤمنات ولا تدعو لنفسها، قيل لها، فقالت: الجار ثم الدار»^(٢).

ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «أسرع الدعاء نجحاً للإجابة دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب يبدأ بالدعاء لأخيه فيقول له ملك موكل به: آمين ولك مثلاه»^(٣).

٧- الدعاء ذخيرة من العطاء الإلهي محفوظة للداعي في آخرته، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «يتمنى المؤمن أنه لم يستجب له دعوة في الدنيا مما يرى من حسن الثواب»^(٤).

٨- الدعاء لا يخلو من تأثير إيجابي يتركه على الداعي، ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: «ما من مسلم دعا الله تعالى بدعوة ليست فيها قطيعة رحم، ولا استجلاب إثم، إلا أعطاه الله تعالى بها إحدى خصال ثلاث: إما أن يعجل له الدعوة وإما أن يدخرها في الآخرة، وإما أن يرفع عنه مثلها من سوء»^(٥).

٩- الدعاء يعرفك على أعلى الشخصيات العزيزة عند الله وأقربها إليه لتدعو لها وبها إلى الله، ورد عن سماعة بن مهران أنه قال: قال أبو الحسن عليه السلام: «إذا كانت لك

(١) المستدرک ٥: ٢١١/٥٧١٦.

(٢) وسائل الشيعة ٧: ١١٣/٨٨٨٥.

(٣) الكافي ٢: ٥٠٧/٤.

(٤) الكافي ٢: ٤٩٠/٩.

(٥) مكارم الأخلاق: ٢٦٩.

حاجة إلى الله فقل: اللهم إني أسألك بحق محمد وعليّ فإنّ لها شأناً
من الشأن»^(١).

١٠- الدعاء سلاح من الأسلحة التي يستخدمها الإنسان المؤمن، ورد عن
الرسول ﷺ أنّه قال: «ألا أدلكم على سلاح ينجيكم من أعدائكم، ويدرّ
أرزاقكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: تدعون ربّكم بالليل والنهار، فإنّ
سلاح المؤمن الدعاء»^(٢).



(١) الدعوات: ١٢٧/٥١.

(٢) الكافي ٢: ٤٦٨/٣.

﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ
 لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ
 بَاشِرُوا هُنَّ وَأَبْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ
 الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا
 تُبَاشِرُوا هُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ
 يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٨٧)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟



ج:

- ١- الرفت: أ- الإفصاح بما يكنى عنه. ب- الفحش من القول، ويراد منه هنا خصوص الجماع.
- ٢- اللباس: الثياب التي من شأنها أن تستر البدن.
- ٣- الخيانة: منع الحق.
- ٤- باشر: الصاق البشرة بالبشرة.
- ٥- الابتغاء: الطلب.
- ٦- الخيط: القطيع من النعام.
- ٧- الفجر: أ- الظهور. ب- المفارقة.
- ٨- عاكفون: اللزوم والإقامة على الشيء في المكان.
- ٩- الحد: أ- المنع. ب- الفاصل بين الشيتين الذي به يقع التمييز بينهما.

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ﴾؟
ج:

١- أن سبب نزول هذه الآية هو وجود حالات الخيانة من الشباب في النكاح ليلاً، وأن بعض الأصحاب يحرمون الأكل على أنفسهم في وقت السحر فينتج الضعف المفرط في بعض الحالات، وفي ذلك روايات كثيرة منها: « أنه كان رجل من أصحاب رسول الله ﷺ يقال له: خوات بن جبير الأنصاري أخو عبدالله بن جبير الأنصاري الذي كان رسول الله ﷺ وكله بقم الشعب يوم أحد في خمسين من الرماة ففارقه أصحابه وبقي في اثني عشر رجلاً، فقتل على باب الشعب، وكان أخوه هذا خوات بن جبير شيخاً كبيراً ضعيفاً، وكان صائماً مع رسول الله ﷺ في الخندق، فجاء إلى أهله حين أمسى فقال: عندكم طعام؟ فقالوا: لا تم حتى نضع لك طعام، فأبطأت عليه أهله بالطعام، فنام قبل أن يفطر، فلما انتبه قال لأهله: قد حرم عليّ الأكل في هذه الليلة، فلما أصبح حضر حفر الخندق فأغمي عليه، فرآه رسول الله ﷺ فرق له، وكان قوم من الشبان ينكحون بالليل سرّاً في شهر رمضان، فأنزل الله: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ...﴾ الآية»^(١).

٢- أحلّ لكم بعد أن كان محرماً عليكم شرعاً، بمعنى أن هذه الآية أصبحت ناسخة للحرمة السابقة.

٣- خفف عنكم بعدما شددتم به على أنفسكم.

٤- أباحه لكم ابتداءً من دون حرمة سابقة.

س: هل يمكن القول جزماً بأن هذه الآية نسخت الحرمة الشرعية السابقة وخصوصاً إذا لاحظنا ما يؤيد وجود الحرمة من استعمال الألفاظ التالية (أحلّ) و(تختانون) و(تاب عليكم) و(عفا عنكم) التي تدلّ على الحرمة؟ اذكر المحتملات في ذلك.

ج:

أولاً:

- ١- قد يكون بعض المسلمين هم الذين فهموا هذا الحكم التحريمي من الخطاب الأول ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾، فقد يكونوا رأوا صوم النصارى الذين كانوا يحرمون المفطرات ليلاً أو بعد النوم الليلي وساروا على ما سارت عليه النصارى في كيفية الصوم، وخصوصاً إذا قلنا بالنزول المرحلي لآيات الصوم التي لم توضح ابتداء كيفية الصوم.
- ٢- قد يكون بعض الأصحاب هم الذين حرّموا على أنفسهم ذلك - أي الأكل في وقت السحر - تعظيماً واحتراماً وسكت الرسول ﷺ عن هذه الظاهرة، ففهموا من سكوت الرسول ﷺ الحرمة.

ثانياً: أن هذه الألفاظ لا تستعمل بصورة قاطعة ومستمرّة في الحرمة وليس لها دلالة على وجود الحرمة سابقاً، وذلك للأسباب التالية:

- ١- ﴿أَجِلٌ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ (المائدة: ٩٦)، فقد استعمل القرآن في هذه الآية ﴿أَجِلٌ﴾ مع أنه لم تكن هناك حرمة سابقة.

٢- أن لفظ التوبة والعفو يستعمله القرآن مع الأنبياء مع عدم وجود معصية سابقة.

٣- أن لفظ (تختانون أنفسكم) بحسبانهم وزعمهم، فهم يختانون أنفسهم لا أنهم

يختانون الله، هذا مع أن لفظ (تختانون) قد يكون بمعنى النقص، حيث أنقصوا حظ أنفسهم من اللذائذ حين منعوا أنفسهم عنها من دون مبرر شرعي.

ثالثاً: عدم وجود دليل قرآني يثبت الحرمة السابقة بشكل صريح.

رابعاً: مع وجود هذه الاحتمالات لا يمكن الجزم بوجود الحرمة السابقة حتى نقول بأن الآية ناسخة لها، إلا إذا:

١- تمسكنا بظاهر خطاب الآية.

٢- واعتمدنا على الروايات التي تقول بوجود الحرمة السابقة كما ورد عن الإمام

الصادق عليه السلام أنه قال: «كان الأكل والنكاح محرّمين في شهر رمضان بالليل بعد

النوم»^(١) وتأكدنا من أن المراد من الحرمة هنا هي الحرمة الشرعية الصادرة

من الرسول صلى الله عليه وآله.



س: ما هي الاحتمالات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْلَةَ الصَّيَامِ

الرَّفَثُ إِلَيَّ نِسَائِكُمْ﴾؟

ج:

١- ليلة الصيام هي الليلة التي يكون فيها صباحه صائماً، واستعمل الليلة بدل

الليالي؛ لأنّ الليلة اسم جنس يدلّ على الكثرة.

٢- الرفث هو كل ما يحلّ للرجل ويريده من امرأته، ويراد من الرفث هنا هو

خصوص الجماع.

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾؟

ج:

- ١- اللباس غطاء ولاصق على بشرة الجسم، فكذلك الزوجين، فعندما ينظم كل منهما إلى صاحبه ويشتمل كل منهما على الآخر بالمعانقة يصير أحدهما كاللباس يغطي ويلصق جسد الآخر.
- ٢- اللباس ستر، فكل منهما يستر على صاحبه ويستر عورته ويواري سوءته فيمنعه من الفجور والتعدي.
- ٣- اللباس سكن ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ (النبا: ١٠)، أي سكناً، فيسكن كل منهما للآخر براحة نفسية روحية ترد عنه وحشة الانفراد.
- ٤- اللباس زينة، فزينة المرأة برجلها وزينة الرجل بامرأته.
- ٥- اللباس حاجة ضرورية يلتجئ إليها الإنسان لما يفرضه الواقع الإنساني والواقع المعاش، فكذلك الرجل والمرأة في ضرورة حاجة أحدهما للآخر للواقع التكويني الذي يحمله الرجل والمرأة الذي خلق الله أحدهما للآخر.
- ٦- اللباس وقاية وحماية للجسد من مطلق القاذورات والحرّ والبرد، فكذلك الرجل والمرأة أحدهما يقي ويحمي الآخر من معاصي الله والمشاكل التي تحدثها الحياة.
- ٧- اللباس يستر به عن الغير ولا يستر عنه، فكذلك الزوجين لا يستر بينهما، بل كل ما فيهما مباح للآخر ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ (البقرة: ٢٢٣).
- ٨- في هذا الخطاب تشجيع وحث على الزواج لما فيه من بناء الأسرة وتكثير النوع

البشري، ولما فيه من تكميل نظام الحياة القائم على الزوجية المتجانسة، ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ (الذاريات: ٤٩).

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾؟

ج:

- ١- عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَلْتَجِثُونَ إِلَى نِسَائِكُمْ وَعَدَمَ صَبْرِكُمْ عَلَى الْجُمَاعِ.
- ٢- عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَضَلُّونَ أَنْفُسَكُمْ بِتَعْرِيفِهَا لِلْعِقَابِ وَتَنْقِيسِ حُضِّهَا مِنَ الثَّوَابِ.
- ٣- عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ تَحْسِبُونَ وَتَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ بِظَنِّكُمْ أَنَّهُ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ.



س: ما هي الاحتمالات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ﴾؟

ج:

- ١- غفر لكم ما كنتم تختانون به قبل توبتكم بإعفاء منه سبحانه.
- ٢- رخص لكم ما حرمتكم به على أنفسكم ولم يرتب عليه شيئاً من الجزاء فيما كان فيه الخطأ؛ لأنه لم يكن من الحرمة الشرعية التي كتبها الله عليكم.
- ٣- خفف عنكم ما شددتم به على أنفسكم بإباحة المباشرة لنسائكم.
- ٤- فالآن باشروهن، أنه أمر بالمباشرة بعد الحظر الذي يدل على الجواز لا الأمر به الذي ظاهره الوجوب، بل هو الإباحة، أي أباح الله مباشرة النساء.
- ٥- فالآن باشروهن، تأكيد على أن طريق المباشرة هو أفضل طريق للإنجاب لا طريق التبتني ولا طريق الأنابيب والإخصاب الخارجي عن رحم المرأة ولا أي

طريق آخر، فإنَّ طريق المباشرة والزوجية هو طريق الفطرة والذوق الإنساني، وهو الطريق الذي يخرج الولد سالماً من الأمراض النفسية التي يشعر بها ويتحسسها عندما يطلع بأنه ابن زنا أو أنه مجهول الولادة.

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾؟

ج:

- ١- اطلبوا الصوم الذي كتبه الله لكم.
- ٢- اطلبوا الأكل والشرب والجماع في الوقت الذي كتبه الله لكم.
- ٣- اطلبوا ما كتبه الله لكم لا ما كتبتكم أو تكتبونه أنتم بوجوب أو حرمة بعض الأشياء على أنفسكم أو بما فيه العزيمة أو الرخصة ولم تراجعوا الله فيها، فإنَّ كلَّ ذلك بذعة وكلَّ بذعة في النار.
- ٤- اطلبوا ما كتب الله لكم من الأجر والثواب الذي رتبته على العمل العبادي الذي تقومون به.

٥- اطلبوا ما كتب الله من الهدف من مباشرة النساء وهو طلب الإنجاب لأجل المحافظة على النوع البشري وتكاثره على الأرض لأجل بنائها وإعمارها.

س: ما هو التفسير المحتمل لقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾؟

ج:

- ١- بيان إباحة تناول المفطرات في يوم الصوم وهو وقت الليل.
- ٢- أنَّ انتهاء غاية التناول للمفطرات عندما يتبين لكم بداية النهار، لمفهوم الغاية

الذي يقتضي الانتهاء من المفطرات عند انتهاء وقت تناول المفطرات.

٣- أن بداية النهار التي هي وقت انتهاء المفطرات تعرف من خلال تبيان الخيط الذي يكون حدًّا فاصلاً بين نهاية الليل وبداية النهار.

٤- شبه الحد الفاصل بالخيط لدقّة الخيط حتى لا يؤخذ شيء من النهار بإفطار يقع به.

٥- من الفجر، أي من بعض الفجر الذي هو الفجر الثاني الصادق، فالذي ليس له القدرة على رؤية الخيط أو معرفته في السماء أو ما هو مقداره فعليه التربص لوقت الفجر الثاني الصادق الذي يمثل أول النهار، وسمي بالصادق لصدق علامته عن قدوم النهار تمييزاً له عن علامة الفجر السابق التي توهم الناظر بأنه بداية النهار، ولهذا أطلق على الفجر الأول بالفجر الكاذب الذي لا يدل على بداية النهار.

٦- نهاية الفترة اليومية والتي عندها يتم الصوم عند بداية الليل وغياب الشمس، وهذا يعني عدم جواز صوم الوصال بهذا الخطاب.

٧- أن في استعمال لفظ التبيين يقتضي حصول اليقين في الوقت فلا اكتفاء بالظن في حصول وقت الصوم أو الإفطار.

٨- الأبيض، وهو الخيط المعترض في أفق السماء المتصل بشروق الشمس.

● الاعتكاف رهبانية مؤقتة من أجل حركة ناشطة

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾؟

١- ولا تباشروا النساء بالجماع فإنه حرام في حالة كونكم في المساجد؛ لأن المسجد محل للطهارة لا للنجاسة.

٢- ولا تباشروا النساء بالجماع فإنه مفطر في حالة كونكم معتكفين بالاعتكاف الخاص بالمساجد لشرط وقوع الصوم فيه الذي يمنع فيه الجماع فإنه أحد المفطرات.

س: ما هو التعريف الشرعي للاعتكاف؟

ج:

الاعتكاف: هو العبادة التي تؤدى من خلال المكث في المسجد بقصد التعبد لله وحده على الوجه المخصوص الذي رسمته الشريعة المقدسة.

س: ما هي الأدلة الشرعية للاعتكاف؟

مركز تحقيقات كميونر علوم إسلامي

ج:

أولاً: الكتاب

١- قال تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ (البقرة: ١٨٧).

٢- قال تعالى: ﴿أَنْ طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (البقرة: ١٢٥).

ثانياً: السنة

١- ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا كان العشر الأواخر -

يعني رمضان - اعتكف في المسجد وضربت له قبة من شعر، وشده المتزر»^(١).

٢- ورد في الحديث: «أن رسول الله صلى الله عليه وآله إذا كان مقيماً اعتكف العشر الأواخر من

رمضان، وإذا سافر اعتكف من العام المقبل عشرين»^(١).

٣- ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «اعتكاف عشر في شهر رمضان تعدل حجّتين وعمرتين»^(٢).

٤- ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «رهبانيّة أمتي التعود في المساجد»^(٣).

ثالثاً: إجماع علماء المسلمين فتوى وعملاً

س: ما هو الحكم الشرعي للاعتكاف؟

ج:

١- الحكم الأولي الاستحباب الشرعي.

٢- الحكم الثانوي الوجوب الشرعي، بمعنى إذا كان بنذر وشبهه فيكون واجباً شرعاً لوجوب الوفاء بالنذر، وإذا أكمل المعتكف يومين بعد الثلاث الأولى فيكون اليوم الثالث واجباً شرعاً.

س: ما هي أهم شروط الاعتكاف التي ذكرتها الشريعة؟

ج:

١- أن يكون المعتكف ممن يصحّ منه الصوم.

٢- النيّة وهي القرية لله سبحانه وتعالى ابتداءً واستمراراً كسائر العبادات.

٣- أقلّ عدد الوقت أن يكون ثلاثة أيام تتوسطها ليلتان.

(١) كنز العمال: ١٨٠٩١.

(٢) وسائل الشيعة ٣/٣٩٧:٧.

(٣) تذكرة الموضوعات: ٣٧.

٤- الصيام في الثلاثة أيام، بشرط ألا تكون إحداها يوم عيد.
٥- أيقاع الاعتكاف في المسجد، وهنا اختلف العلماء باختلاف الروايات الواردة،
منها:

أولاً: أن يقع الاعتكاف في خصوص المساجد الأربعة وهي: المسجد الحرام،
المسجد النبوي، مسجد الكوفة، مسجد البصرة، ولسان الروايات الواردة في هذه
المساجد على أنحاء ثلاث، لا اعتكاف إلا فيها، ولا بأس بالاعتكاف فيها، ولا
اعتكاف إلا في بعض منها وفي غيرها كما في الرواية الآتية.

ثانياً: أن يقع الاعتكاف في المسجد الجامع في المدينة، ورد عن الإمام
الصادق عليه السلام أنه قال: «لا أرى الاعتكاف إلا في المسجد الحرام، أو مسجد الرسول، أو
مسجد جامع»^(١).

ثالثاً: أن يقع الاعتكاف في المسجد الذي تقام فيه الجماعة، ورد عن الإمام
الصادق عليه السلام أنه قال: «لا اعتكاف إلا في مسجد جماعة قد صلى فيها إمام عدل بصلاة
جماعة»^(٢).

رابعاً: يمكن الجمع بين الآراء الثلاث المستنبطة من الروايات، وذلك بأن تقول
بالاحتمالات التالية:

١- إما أن تكون هذه الروايات ناظرة إلى الأفضل، فمع توفر المسجد الحرام
فالاعتكاف فيه أفضل من غيره.. وهكذا.

٢- وإما أن تكون هذه الروايات ناظرة إلى صحّة الاعتكاف عند تراحم المساجد،

(١) الكافي ٤: ١٧٦/٢.

(٢) الكافي ٤: ١٧٦/١.

فمثلاً إذا توفّر المسجد الجامع مع مسجد جماعة فلا يصحّ الاعتكاف إلا في مسجد الجامع، وعند عدم توفّر المسجد الجامع إمّا لضياع المسجد الجامع بين المساجد لاختلاف الآراء فيه، أو لوقوع ازدحام المعتكفين فيه بحيث لا مجال فيه أصلاً، أو أنه يوئد الحرج عند الاعتكاف فيه لهيئته أو لقدمه الموشك على الانهدام فعند ذلك يصح إيقاع الاعتكاف في مسجد الجماعة.

٣- وإمّا أن تكون هذه الروايات ناظرة إلى المساجد النشطة بالرواد دون المهجورة منها، وما ذكر فيها من المسجد الحرام والرسول والكوفة والبصرة والجامع والجماعة إلا إشارة لمصاديق لذلك، وعليه يكون الاعتكاف في مطلق المساجد النشطة بالرواد بصلاة الجماعة بالخصوص صحيحاً وجائزاً.

٦- ألا يخرج المعتكف إلا لضرورة شرعية كأداء صلاة الجمعة أو عرفية كقضاء حاجة إنسان، ورد عن ميمون بن مهران أنه قال: كنت جالساً عند الحسن بن عليّ عليه السلام فأتاه رجل فقال له: يا بن رسول الله، إن فلاناً له عليّ مال ويريد أن يحبسني، فقال: «والله ما عندي مال فأقضي عنك»، قال: فكلمه، قال: فلبس نعله، فقلت له: يا بن رسول الله، أنسيت اعتكافك؟ فقال له: «لم أنس، ولكنني سمعت أبي يحدث عن جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: من سعى في حاجة أخيه المسلم فكأنما عبد الله عزّ وجلّ تسعة آلاف سنة صائماً نهاره قائماً ليله»^(١).

س: ما هي الأمور التي ذكرتها الشريعة التي تحرم على المعتكف حين اعتكافه؟

ج:

١- مباشرة النساء بالجُماع وما دونه ليلاً أو نهاراً، وإذا خالف بالجُماع فعليه كفارة مع التوبة.

٢- الاستمناء، فهذا حرمة مركبة، حرمة لكونه استمناء، وحرمة لكونه في الاعتكاف.

٣- شم الطيب، والطيب هو كل مادة لها رائحة طيبة وتتخذ للشم والتطيب، كأنواع العطور.

٤- التلذذ بالرياحين الطيبة، والرياحين هي كل نبات ذو رائحة طيبة.

٥- التجارة بشئ أنواعها.

٦- المماراة، وهي المجادلة والمنازعة على قضية معينة حياً للظهور والفوز على الأقران، وإذا كانت بدافع صحيح وشرعي فلا بأس بها.

س: ما هي الآثار الإيجابية التي يتركها الاعتكاف على شخصية الإنسان المسلم؟

ج:

١- الاعتكاف حبس النفس عن الشهوات زائداً على الصيام لكونه في المسجد، وهذا يعني تقوية الإرادة على المنع فيما حرّمه الله.

٢- الاعتكاف باب من أبواب ذكر الله والارتباط به أكثر، فهو يعمّق الإيمان بالله في قلوب المؤمنين.

٣- الاعتكاف غذاء روحي؛ لأنه تفرغ الروح للعبادة وزيادة في العروج إليه سبحانه وانقطاع عمّا يشغلها من أمور الدنيا.

٤- الاعتكاف تربية أخلاقية تبعد الإنسان من الجشع والطمع والأنانية وحب الظهور

- والخوض في المصالح الشخصية؛ لأنه عبادة منقطعة عن كل هذه الأمور.
- ٥- الاعتكاف مراجعة للنفس وتقييمها، فإنَّ الانقطاع الانفرادي يوكد حالة الرجوع والاطلاع على النفس بصورة أوضح من أيّ طريق آخر.
- ٦- الاعتكاف طريق لاكتشاف وتصحيح خطأ السلوك أو الأفكار؛ لأنَّ الاعتكاف تجمّع للمعتكفين المؤمنين أصحاب الدرجات المختلفة في الفكر والسلوك.
- ٧- الاعتكاف تنمية وحركة فكرية لما يطرحه المؤمنون والعلماء من الدروس الفكرية ولما فيه من مراجعة كتاب الله وما في الأدعية المأثورة من أفكار.
- ٨- الاعتكاف زيادة المحبة والمودة والمواساة والإيثار والتكريم وغيرها من الأمور التي يفرضها جوّ الاعتكاف وأدابه ومكانه.
- ٩- الاعتكاف إحياء لتكليف إلهي وعبادة محبوبة عند الله.
- ١٠- الاعتكاف كما نقل عن الرسول ﷺ أنه يعادل حجّتين وعمرتين، وهذا يعني أنَّ الاعتكاف أحد الطرق التجارية مع الله بعوض لا يعرف مقداره إلا الله.
- س: ما هي المحتملات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾؟

ج:

- ١- حدود الله هي مجموع التكاليف الشرعية من الواجبات والمحرمات فلا تقربوا ترك الواجب منها ولا تقربوا اقتراف المحرم منها، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «إنَّ الله تبارك وتعالى ... جعل لكلّ شيء حداً وجعل عليه دليلاً يدلّ عليه،

وجعل على من تعدى ذلك الحدَّ حدًّا» (١).

- ٢- القرب كناية عن الوقوع في المخالفة، فتلك حدود الله فلا تقعوا في مخالفتها.
- ٣- القرب مرادٌ حقيقةً حتى يتحرّز من الوقوع فيها، فتلك حدود الله فلا تفكّروا في ترك الواجب ولا تتعلّق قلوبكم به حتى لا تقعوا بالمخالفة الفعلية، ولا تفكّروا في المحرّم ولا تتعلّق قلوبكم به حتى لا تقعوا في اقترافه، ولا تسايروا أصدقاء السوء فإنّه طريق يقرب الوقوع في المحرّم، ولا تطالعوا إلى من يعرض عليكم المحرّم من خلال وسائل الإعلام فإنّها طريق يقرب الوقوع في المحرّم، بل سايروا وطالعوا إلى من تذكركم رؤيته بالله فإنّه طريق يقرب لكم الالتزام بالتكاليف الشرعية، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «إنّ حمى الله محارمه، فمن يرتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه» (٢).
- ٤- لا تقربوا من أحكام الله بتنظيركم بنقص أو زيادة أو بتحليل أو بفلسفة، فإنّ أحكام الله محدودة بنفسها وواضحة التعريف بنفسها، وأنّ الذي وضع لها هذه الحدود هو الله، ومحدودة وممنوعة على البشر في أن يتقرّب ويضيف وجهة نظره فيها أو في إجراءاتها وتطبيقها كما حصل لبعض المسلمين الأوائل حين تقربوا إلى حكم الصوم فحرّموا مباشرة النساء عليهم ليلاً فوقعوا في الخيانة، فإنّ في كلّ هذا النوع من التقرب زيادة أو نقيصة هو مفسد للحكم والتكليف، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إذا كان في الحدِّ لعلّ

(١) الكافي ١/٥٩:٢.

(٢) تفسير القرطبي ٢٠:٢٨.

وعسى فالحدّ معطل» (١).

س: ما هي المحتملات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ﴾؟

ج:

١- القدرة شرط التكليف، فعندما رآكم تختانون أنفسكم بمعنى لم تملكوا الصبر والقدرة على التكليف بحرمة المباشرة فأحللنا لكم هذا النوع من المباشرة ليتماشى التكليف مع قدرة المكلف، وهكذا بقية أحكام الله وآياته فإنها لا تخرج عن قدرة التكليف.

٢- يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر، فعندما حرّمتم على أنفسكم المباشرة معناه قد جلبتم إلى أنفسكم ما فيه العسر، وعندما أحللنا لكم ذلك لتعلموا عملياً بأن الله يريد بكم اليسر لا العسر، وهكذا بقية أحكامه وآياته.

٣- لا تستعجلوا رسم التكليف لأنفسكم فقد يتأخر نزول التكليف وقد ينزل بصورة مجملة وقد ينزل بصورة مفصلة، ففي جميع الأحوال يجب الرجوع فيها إلى الله ورسوله وأهل الذكر، وهكذا بقية أحكامه وآياته.

٤- أنّ الحليّة جاءت بعد الاطلاع على خفايا النفوس واستقراء حاجاتها، فكانت الحليّة هي القرار المناسب لما يختلج في نفوس الناس وما هو الذي ترغب إليه كينونة الناس، وجاءت بعد معرفة المصلحة والمفسدة التي لم يطلع عليها الناس، وكذلك بقية الأحكام الإلهية وآياته فإنها منسجمة مع كينونة الإنسان

- الظاهرة والباطنية التي تجلب له المصلحة وتبعد عنه المفسدة.
- ٥- لا تستغربوا عن تدخل الإسلام في هذه المسائل الخفيفة الخفية، فإن آيات الله وأحكامه كلها على هذا المنوال من شمولية العلاج لقضايا الإنسان الخفيفة والثقيلة والخفية والواضحة، فإن كل شيء لله فيه حكم حلال أو حرام.
- ٦- كما لا يريد منكم أن تتقربوا إلى حدوده، ففي جميع آياته كذلك يحذركم وينهاكم عن التقرب منها بتعدُّ.



مركز تحقيقات کامپویر علوم اسلامی

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْءُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٨٨)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:

١- المال: ما تميل إليه النفس.

٢- الباطل: الزوال والاضمحلال.

٣- الإدلاء: الإرسال.

٤- الفريق: القطع من الشيء.

س: ما هي المحتملات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا

أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾؟

ج:

١- لا يأكل بعضكم أموال بعض بالغصب والظلم وبقية الوجوه المحرمة.

٢- لا تصرفوا أموالكم في القمار واللهو واللعب فتأكلوا منها.

٣- لا تستعملوا الأكاذيب والمكر لتكسبوا من خلالها فتأكلوا ما حصلتكم عليه عن

هذا الطريق، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «يعني بالباطل، اليمين الكاذبة

يقتطع بها الأموال» (١).

٤- لا تأكلوا أموال الناس بالباطل عن طريق تخويف الناس بالقانون الظالم الذي لا

(١) تفسير مجمع البيان ٢: ٢٥.

يقف إلا إلى جانب الظالمين وأنتم على يقين من ذلك، فما تحصلون عليه عن هذا الطريق كله أكلاً بالباطل، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «علم الله أنه سيكون في هذه الأمة حكام يحكمون بخلاف الحق، فنهى الله تعالى المؤمنين أن يتحاكموا إليهم، وهم يعلمون أنهم لا يحكمون بالحق»^(١).

٥- لا تأكلوا أموالكم بالباطل من خلال تأخير حقوق الآخرين أو عدم صرفها أو عدم إجراء معاملات الآخرين مع استحقاقها وأنتم قادرين على أدائها وتعلمون بحاجة الغير إليها، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في معنى قوله ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾ أنه قال: «أن يكون للمديون مال فينفقه على نفسه ولا يفي به دينه».

٦- لا تستقرضوا أموال الناس وأنتم تعلمون أنكم لا تتمكنون من أدائها، فإنه أكل للمال بالباطل، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: الرجل منا يكون عنده الشيء يتبلغ به وعليه الدين أيطعمه عياله حتى يأتيه الله بميسرة فيقضي دينه؟ أو يستقرض على ظهره في خبث الزمان وشدة المكاسبة؟ أو يقبل الصدقة؟ فقال عليه السلام: «يقضي بما عنده دينه، ولا يأكل أموال الناس إلا وعنده ما يؤدي إليهم حقوقهم، إن الله عز وجل يقول: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾» الآية^(٢).

٧- لا تقدموا أموالكم إلى الحكام رشوة لهم ليميلوا بالحكم إليكم بحق أو بباطل، فإن هذا النوع من التقديم من أبرز مصاديق الأكل بالباطل لما فيه من ضياع

(١) التبيان ٢: ١٣٨.

(٢) الوسائل ١٨: ٢٢٤/٣٢٧٧٣.

عدل الحكام ولما فيه من الفساد الاجتماعي عندما تضيع فيه موازين الحق والعدل وأنتم تعلمون بهذا الضياع وهذا الفساد، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «لعن الله الراشي والمرتشي والرائش - الساعي - بينهما»^(١).

٨- لا تقدموا أموالكم إلى الحكام رشوة؛ لأن هذا النوع من التقديم يجرّكم إلى مفسد الأخلاق الذميمة الخطرة وإلى كل ما فيه الإثم من الكذب وشهادة الزور واليمين الكاذبة والسرقة والظلم وأن تأكلوا من أموال الناس لتعوضوا عمّا قدّمتموه من الرشوة إلى الحكام وأنتم تعلمون بكل هذه النتائج وتلمسونها بأنفسكم.

٩- أيها الحكام لا تنقصوا أموال بعض الناس من خلال حكمكم الذي تصدرونه عليهم بغير الحق بسبب ما قدّم إليكم من رشوة وأنتم تعلمون أنكم بحكمكم هذا تفتصبون أموال البعض أو تنقصوها من غير حق، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «وأما الرشا في الحكم فهو الكفر العظيم»^(٢).

س: اذكر بعض مخاطر تفشّي الرشوة في المجتمع.

ج:

- ١- أن الرشوة مانع من موانع تفشّي العدل قديماً وحديثاً.
- ٢- أن الرشوة عامل من العوامل التي تحصر تطبيق القانون على الفقراء.
- ٣- أن الرشوة تفقد حماية الفرد وتهدّد المجتمع بالخوف عندما لا تتوفر العدالة في محاكمه.

(١) كنز العمال ٥: ١٤٤٩٥/٨٢٥.

(٢) الفقيه ٣: ١٧٢/٣٦٤٨.

- ٤- أن الرشوة باب من أبواب تفشّي الطبقيّة والتمييز في المجتمع.
- ٥- أن الرشوة جاذبية تجذب الإنسان نحو كل أنواع الشر من الكذب والخيانة وعدم المروءة وكل الأمراض الأخلاقية.
- ٦- أن الرشوة مساهمة كبرى في تحطيم قانون البلاد ونظامه والجهود التي بذلت في تقنينه والأموال التي بذلت من أجل ذلك وتدوينه وانتشاره، فهي لذة فردية قليلة مقابل تحطيم لذات وجهود كثيرة.

س: اذكر المحتملات في سبب تأكيد الآية على القضية المالية في رفعها إلى الحاكم دون بقية القضايا التي يختلف فيها المتخاصمون.

ج:

- ١- طبيعة الأسلوب القرآني وبيان آياته أنه يوزع أجزاء موضوع القضية الواحدة على عدّة آيات، أو أن يذكر مجموع أجزاء موضوع القضية الواحدة في آية واحدة، أو أن يذكر عدّة مواضيع لقضايا مختلفة في آية واحدة، وعليه قد تكون قضية الحكم والمتحاكمين هي من النوع الأول.
- ٢- أن تكون المسألة المالية هي التي تشغل الحيز الأكبر من مشاكل الناس، فيؤكّد عليها القرآن.
- ٣- أن يكون العنوان في الآية عامّاً والذي يراد علاجه في الآية عامّاً أيضاً، كأكل المال بالباطل.
- ٤- أن يكون العنوان في الآية عامّاً والذي يراد علاجه في الآية خاصّاً، كالرشوة التي يأخذها الحاكم، أو أموال اليتامى، أو عدل الحاكم، أو حرمة الترافع إلى

الحاكم الظالم، أو حرمة دفع الرشوة إلى الحاكم، أو حرمة المعاملات الربوية.
 ٥- أن تكون الآية ناظرة إلى تنظيم الصرف المالي الذي يكون أمانة بأيدي الناس
 والذي يجب أن يصرفوه في الوجوه التي أمرهم الله بها، وما إدلاء المال إلى
 الحاكم الظالم إلا وجه من الوجوه التي نهى الله عن صرف المال إليها؛ لأنه
 صرف بالباطل وبغير وجهته الصحيحة.

س: ما هو المعنى الإجمالي لمجموع قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم
 بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ
 بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؟

ج:

أولاً: إذا قلنا: إن خطاب الآية موجه إلى الحكام، فالحاكمون هم القضاة
 المسؤولون عن صدور الحكم على المتخاصمين بعدل، فهنا الآية تدعو وتؤكد على
 العدل باعتباره الصفة الملازمة الأولية لكونه حاكماً، وعدل الحاكم يبرز بالأمر
 التالية:

١- أن يكون القانون الذي يستند عليه الحاكم في حكمه هو القانون الإلهي ﴿وَأَنْ
 أَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ (المائدة: ٤٩).

٢- محاولة الحاكم إصابة الواقع من خلال تطبيق الحكم.

٣- إذا عرف الحاكم الواقع بنفسه فلا يحكم على خلافه بما هو ظاهر وموجود عنده
 من القانون، بل يحكم على علمه بالواقع.

٤- إذا لم يعرف الحاكم الواقع فعليه الحكم بما هو ظاهر من تطبيق القانون بحضور
 الشهود وبما يقرّ به المتخاصمون وغيرها من الإمارات الظاهرية التي يعتمدها

الحاكم في صدور حكمه.

٥- إذا طبق الحاكم هذه الأمور في حكمه فهو الحاكم العادل، وإذا خالف الحاكم هذه الأمور يسمى حاكماً ظالماً، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (السائدة: ٤٤-٤٥)، وإذا كان الحاكم ظالماً فصدور حكمه وعدمه سواء.

ورد عن الحسن بن علي بن فضال أنه قال: قرأت في كتاب أبي الأسد إلى أبي الحسن الثاني عليه السلام، وقرأته بخطه: ما تفسير قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾؟ قال: فكتب إليه بخطه: «الحكام: القضاة». ثم كتب تحته: «هو أن يعلم الرجل أنه ظالم فيحكم له القاضي، فهو غير معذور في أخذه ذلك الذي حكم له، إذا كان قد علم أنه ظالم»^(١).

ثانياً: إذا قلنا: إن خطاب الآية موجّه إلى المحكومين، فالمحكومون هم المتخاصمون الذين يرفعون قضاياهم إلى الحكام ليقضوا بينهم بالعدل، وهذه هي السجية العقلانية للمتخاصمين عندما لا يتوصلون إلى حلّ قضاياهم فيما بينهم فهم يرفعونها إلى الحاكم العادل، فخطاب الآية يكون:

١- خطاب وجوب على المتخاصمين في أن يرفعوا قضاياهم الخلافية إلى الحاكم العادل.

٢- خطاب حرمة على المتخاصمين في أن يرفعوا قضاياهم الخلافية إلى الحاكم الظالم، ورد عن أبي بصير أنه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قول الله عز وجل في كتابه: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾. فقال عليه السلام:

«يا أبا بصير، إن الله عز وجل قد علم أن في الأمة حكاماً يجورون، أما أنه لم يعن حكام أهل العدل، ولكنه عنى حكام أهل الجور. يا أبا محمد، إنه لو كان لك على رجل حق، فدعوته إلى حكام أهل العدل، فأبى عليك إلا أن يرافعك إلى حكام أهل الجور ليقضوا له، لكان ممن حاكم إلى الطاغوت، وهو قول الله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾»^(١).

٣- خطاب حرمة على الشاكي ابتداءً في أن يرفع قضيته إلى الحاكم وهو يعلم أن الحق ليس له وأنه ظالم لحق الآخرين في إصراره على الاختلاف، فإن حكم الحاكم لا يغير من الواقع، فالذي حكم له الحاكم ويعلم أن الواقع غير ذلك تبقى ذمته مشغولة وتبقى الحرمة على ما هي عليه، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «إنما أنا بشر مثلكم، وإنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض، فأقضي له على نحو ما أسمع، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار»^(٢).

الخلاصة: إذا قلنا: إن خطاب الآية موجه إلى حرمة سلب ملكية الآخرين عن طريق الحاكم، فهنا تعني الآية ليس من حق الحاكم أو الحكومة أو أي مقتن في أن يسلب ملكية الفرد ليعطيها إلى المجتمع ولا يسلب ملكية المجتمع ليعطيها إلى الفرد أو إلى السلطة الحاكمة؛ لأن الملكية اختصاص حق يدافع عنه المالك غريباً ولا يقبل أن ينازعه عليه أحد بغير حق، وهذه الغريزة كما هي موجودة في الإنسان موجودة في

(١) الكافي ٧: ٤١١/٣.

(٢) نهج الحق: ٥٦٥.

بقية الحيوانات، والإسلام جاء لتنظيم الملكية لا لسلبها، فإنَّ سلبها يعني سلباً
للغريزة والفطرة المستحيل سلبها.

وابعد: أن يكون خطاب الآية ناظراً إلى أمور أخرى قد ذكرناها في جواب

السؤال السابق فراجع.



مركز تحقيقات کامپیوتر علوم اسلامی

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (البقرة: ١٨٩)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:

١- الأهلّة: جمع هلال، وهو رفع الصوت.

٢- مواقيت: الزمان المفروض للفعل.

٣- تأتوا: الإتيان، هو المجيء بسهولة.

٤- البيت: محل السكن والإقامة ليلاً.

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾؟

ج:

١- أنه جواب لأسئلة كثيرة طرحت على الرسول ﷺ حول الهلال في سبب اتخاذه هذه الأشكال المختلفة زيادة ونقصاناً، وأنه سؤال ينم عن ذهنية متطورة، فهو من ضمن الأسئلة التي تختلف نضوجاً بالقياس إلى الأسئلة التي طرحها بنو إسرائيل.

٢- لم يكن الجواب ملتفتاً فيه إلى الناحية العلمية، فإن الناحية العلمية لسبب ظهور الهلال زيادة ونقصاناً متروك جوابها إلى آيات أخرى لما فيه الفائدة ويكمل البشر اكتشافه من خلال حركة عقله العلمي، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ

الشَّمْسِ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ
وَالْحِسَابَ ﴿يونس: ٥٠﴾.

٣- الجواب هذا ينقسم إلى قسمين:

الأول: الجواب العام، أي أحد فوائده ظهور الهلال بهذا الشكل هو تحديد الزمن
وتعيينه وتقسيمه إلى أشهر وأسابيع ونصف شهر وأيام وسنوات كل ذلك يمكن
معرفة عن طريق الهلال، وهذا النوع من التقسيم فيه مصلحة واضحة للناس في
مواعيدهم وإنجاز أعمالهم العامة والخاصة، والعبادية وغير العبادية، والآنية
والمستقبلية، ومعرفة المناسبات العامة والخاصة، بل وكل فعل يصدر عن
الإنسان لا ينفصل عنه الزمن، وبالتالي فإن تكوين الهلال وجعله بهذا الشكل
هو عملية تنظيمية للزمن.

الثاني: الجواب الخاص، أي أنكم مأمورون بعبادات، وبعض العبادات مقيدة
ومشروطة بوقت معين ومحدد كالحج، ولا يعرف هذا التحديد والتعيين من
الوقت إلا بالهلال، بمعنى أن هذا هو جعل تشريعي لتحديد الوقت بحيث تكون
العبادة مشروطة بوقت وبشهر معين لا بد في تعيينه أن يتبع الهلال لا أن يتبع
حساباً آخر، فالتحديد في شهر رمضان أن يتبع رؤية الهلال والحساب القمري
﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ (البقرة: ١٨٥)، ولتعيين أشهر الحج لا بد من
رؤية الهلال لتعيينها كذلك، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿قُلْ هِيَ
مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ أنه قال: «هي لصومهم وفطرمهم وحجهم»^(١).

٤- جعل الهلال لتعيين الوقت باعتباره أسهل الطرق للتعيين الذي يشترك في معرفته

الجاهل والعالم، والصغير والكبير، البعيد والقريب، وبهذا يكون الوقت قد استند على شيء حسيّ يشترك في إحساسه ووجوده كلّ المجتمعات في العالم.

٥- جعل الهلال لتعيين الوقت هو التعيين القديم في الحساب الزمني وتقسيمه، بل كان هو الأصل في الحساب في جميع الأدوار التاريخية للإنسان الذي يعتمد على الحساب القمري، وأمّا الحساب الشمسي أو الميلادي فهي كلّها قد جاءت متأخرة عن الحساب القمري بكثير من القرون، فتأكيد الإسلام على الحساب القمري مع وجود حسابات أخرى للزمن قد يكون لدقة هذا النوع من الحساب عن غيره لو أحسن الإنسان استخدامه.

٦- جعل الهلال لتعيين الوقت ليشارك فيه الناس جميعاً من أجل أن يعيش كلّ فرد قيمة الزمن بداية ونهاية وما جرت فيه من أحداث وما يراد منه أن يفعل في هذا الشهر وأن يحاسب الإنسان نفسه فيما قدّم وأخّر في هذا الشهر، فإنّ سعة دائرة تفاعل الناس عن طريق رؤية الهلال أكثر من غيره من الحسابات.

س: ما هي المحتملات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾؟

ج:

١- كانت من العادات السيئة للجاهلية قبل الإسلام عند دخولهم إلى بيت الله وهم محرمون يدخلونها لا من أبواب البيت الرئيسية المعدة للدخول والخروج، بل يدخلون من ثقب أو فتحات جدران البيت الحرام، أو ربّما كانت هناك تقاليد أخرى سواء كانت متعلّقة ببيت الله أو ببيوتهم أنفسهم من حيث شكل الدخول

وفي ذلك روايات مختلفة، وكان هذا النوع من الفعل غير محبوب عند الله، فلما جاء الإسلام ومن خلال هذه الآية منع هذه الظاهرة وهذا النوع من الدخول سواء كان هذا النوع من العمل في زمن قبل الإسلام أو في زمن الرسول ﷺ وكان يقوم به الأنصار.

٢- أن دخول أهل الجاهلية إلى بيت الله بهذا الشكل إما أن يكون لعادة فهي مخالفة للذوق والعقل الذي يفرض الدخول من الأبواب، وأما أن يكون هذا النوع من الدخول يعبر عن عمل مقدس له ارتباط بشريعة فهو لم يقرب به الإسلام ولم يشرعه ولم يمضه، بل نسخه ومنعه بهذه الآية.

٣- قد يعتمد هذا الخطاب على الارتكاز والسجية العقلية التي أودعها الله فيهم والتي تجري في كل أمر وهو أن يأتيه من بابه ومن المواقع المرسومة لدخوله سواء كان في الأبنية أو في غيرها من الأمور المعنوية، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله «وَأَتُوا الْبَيْتَ مِنْ أَبْوَابِهَا» أنه قال: «يعني أن يأتي الأمر من وجهه، أي الأمور كان»^(١).

فمثلاً أبواب الحصول على الجواب الصحيح هم أصحاب الاختصاص، وباب النصر الجهاد، باب المعروف أهله، باب الإسلام القرآن، وباب النبوة الإمامة، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها ولا تؤق المدينة إلا من قبل الباب»^(٢)، وورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «الأوصياء هم أبواب الله التي منها يؤتى، ولولاهم ما عرف الله عز وجل، وبهم احتج الله تبارك

(١) المحاسن ١: ٢٢٤/١٤٣.

(٢) الأمالي للصدوق: ٨٩١/٦٥٥.

وتعالى على خلقه»^(١).

س: لماذا ذكرت التقوى مرتين في هذه الآية ﴿مَنْ اتَّقَى﴾ و ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾؟
اذكر المحتملات في ذلك.

ج:

- ١- أن تكون التقوى الأولى هي معرفتها، فإنَّ أحد طرق معرفة تقوى الله عندما لا تسير على خلاف ما يسير عليه العقلاء، عندما لا يوجد فيه تعارض مع الدين، فإنَّ السير على خلاف السجّية العقلائية والإنسانية ليس من البر والخير؛ لأنَّه يحدث الخلل في النظام الاجتماعي، وأنها عملية يرفضها الذوق الإنساني، فإذا كانت كذلك فهي عملية لا يكتب لها الدوام وما تزيد صاحبها إلا رهقاً، والتقوى الثانية هي العمل بها وهو هنا السير على عدم الخلاف.
 - ٢- التقوى الأولى عندما تيسلك في كلِّ الأمور وأنت تطرق بابه المناسب وتجتاز مراحل التدرّجية في الوصول إلى الغاية، وأن تتقي الله في كلِّ مرحلة تجتازها بمهارة وكفاءة وجدّ واجتهاد وإخلاص، وأنت على هذه التقوى إلى أن تصل إلى الغاية المطلوبة، عندما تصل إلى الغاية المطلوبة هنا تأتي التقوى الثانية، فليس كلِّ مَنْ وصل إلى غايته نجح فيها وأفلح، بل عند وصول الغاية في بعض المجالات والحالات يعدّ أصعب بكثير من بداية المراحل وأوسطها، فتحتاج إلى تقوى أعلى درجة ليكتب الله من خلالها النجاح والفلاح والتوفيق.
- فالنّتيجة أنّ التقوى الأولى هي بنفسها التقوى الثانية، ولكنَّ الثانية أكثر وأعلى درجة وأكثر اهتماماً وحرصاً عليها، فإنَّ الإنسان كلّما كبرت مسؤوليته

وارتفعت درجته فإنه يحتاج إلى تقوى أكثر، فالأنبياء والأئمة عليهم السلام جميعاً هم أقرب الناس إلى الله وهم في أعلى موقع ومركزية من الناس وهم أعلى الناس من كل جهة، وأنهم في نفس الوقت أكثر الناس تقوى لله. وأما إذا حصل العكس بأن لم يدخل البيوت من أبوابها ويريد أن يصل إلى غايته من دون اجتياز المراحل ومن دون بذل جهد واجتهاد، بل يريد القفز ولو كان على حساب حقوق الآخرين، فإن الأمر هنا واضح في أن هذا النوع من السلوك يكون بعيداً عن التقوى، وإذا نجح هذا النوع من السلوك في بعض المواقع في الدنيا فإنه ليس من فلاح الآخرة، بل سيحاسب عليه حساباً عسيراً.

٣- لا فرق بين التقوى الأولى والثانية فإنها زاد الإنسان في كل خطواته وعمله، وهي الحصانة التي تمنع صاحبها عن اقتراف الخلاف في كل الميادين، وهي الضمان التي تضمن لصاحبها الوصول إلى ما فيه فلاح الدنيا والآخرة، وإن البر والخير كل الخير في تقوى الله، قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة: ١٩٧).

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
 الْمُعْتَدِينَ ﴿١﴾ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ
 وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ
 فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢﴾ فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
 رَحِيمٌ ﴿٣﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا
 عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ
 قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا
 اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥﴾ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا
 بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة: ١٩٠-١٩٥)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيات؟

ج:

- ١- القتال: محاولة قتل مَن يحاول القتل.
- ٢- التقف: الحذق والتقويم، والمراد به هنا الوجود.
- ٣- الفتنة: الابتلاء المخرج، والمراد هنا الشرك.
- ٤- الحرمات: جمع حرم، وهو ما يجب حفظه ويحرم هتكه.
- ٥- الإلقاء: تصيير الشيء إلى جهة السفلى.
- ٦- التهلكة: أ- الضياع. ب - مطلق المكروه.

● القتال بين الواقع والتشريع

س: ما هو المحتمل في نزول هذه الآيات دفعة واحدة؟

ج:

أولاً: ورد عن ابن عباس أنه قال: إن هذه الآية نزلت في صلح الحديبية، وذلك أن رسول الله ﷺ لما خرج هو وأصحابه في العام الذي أرادوا فيه العمرة، وكانوا ألفاً وأربعمائة، فساروا حتى نزلوا الحديبية، فصدهم المشركون عن البيت الحرام، فنحروا الهدي بالحديبية، ثم صالحهم المشركون على أن يرجع من عامه ويعود العام المقبل ويخلوا له مكة ثلاثة أيام فيطوف بالبيت ويفعل ما يشاء، فرجع إلى المدينة من فوره، فلما كان العام المقبل تجهز النبي ﷺ وأصحابه لعمرة القضاء، وخافوا ألا تفي لهم قريش بذلك وأن يصدّوهم عن البيت الحرام ويقاتلوهم، وكره رسول الله قتالهم في الشهر الحرام في الحرم، فأنزل الله هذه الآية لتبيح للمسلمين القتال إن بدأ المشركون به^(١).

ثانياً: أن هذه الرواية إن صح سندها فهي مناسبة لسياق الآيات ووحدة موضوعها ومنسجمة مع مفرداتها ونظرتها لعلاج حالة خاصة، فلا تكون ناسخة لغيرها من الآيات ولا يوجد بينها ناسخ ومنسوخ، بل الجميع عبارة عن تنظيم وتقنين القتال في الإسلام.

ثالثاً: بما أن المورد لا يخصّص الوارد، فتكون الآية في محل تشريع القتال لعامة المسلمين.

س: ما هي المحتملات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ

الله الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٣﴾؟

ج:

١- ﴿وَقَاتِلُوا﴾

أمر بالقتال مختص بالمؤمنين، بمعنى أنه يجب على جميع المؤمنين مقاتلة من يقاتلهم ويعلن الحرب ضدهم ويشهر السلاح بوجههم، والإيمان هنا بمعناه العام الشامل لكل مسلم اتخذ الإسلام ديناً.

٢- ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾

أولاً: أن تكون نية الفرد المقاتل خالصة لله وفي سبيل الله وامثالاً لله وطاعة لله وإعلاء لكلمة الله وتثبيتاً لدين الله، لا لمصلحة ونفع شخصي، ولا لمصلحة عامة ليست لها صلة بالله كالقتال في سبيل تثبيت النظرية الإلحادية مثلاً، ولا لأجل مجرد الاستيلاء والتسلط والإكراه وإثبات القوة وطلب الثأر وغيرها من الأمور والدوافع والنوازع الدنيوية الذاتية التي تخضع لأي هزة، وتزلزل وتضعف أمام أي مظهر من مظاهر الخوف.

ثانياً: أن يكون الطريق المتبع في القتال سائراً على منهجية الله التي رسمها في القتال وضمن أحكامه سبحانه وتعالى في القتال.

ثالثاً: في سبيل الله أي من أجل دين الله فلا قتال ما لم يكن له مساس بدين الله بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

رابعاً: في سبيل الله طريق كما يوسع دافع المجاهد ويطهره فإنه يرفع من المستوى الذهني والثقافي والتربوي عندما يجعله يتحمل مسؤولية الدفاع عن دين الله وسبيله وجميع قيمه التي أنزلها الله على الأرض، ويجعله يدافع عن قيم الإنسان

الأصيلة أين ما وجدت ويدفع عنه كل خطر يحاول أن يصادر حرّيته في بناء الحياة كما أرادها الله، فعندما يجعلك الله تتطلع على هذه الأبعاد العظيمة وهذه الأهداف الواسعة للحرب يشعر بأهميّة وجودك وعظمة دورك في الحياة وتغييرها نحو الله ونحو الأفضل.

٣- ﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾

أولاً: لا تقاتلوا المسالمين، ولا تقاتلوا من لم يرفع بوجهكم السلاح، ولا تقاتلوا من لم يحب لغة السلاح ويحب لغة الحوار والتفاهم ويلجأ إليها، بل قاتلوا الذين يقاتلونكم من الظالمين والمشرّكين والكافرين من أهل الكتاب.

ثانياً: لا تفكّروا بأن تبتدئوا بقتال وأن تهجموا، بل ليكن قتالكم قتالاً دفاعياً لا هجومياً، فلا قتال إلا من بعدما يبدؤوكم بقتال ويعلنوا عليكم الحرب.

ثالثاً: في ساحة المعركة كذلك لا نريد منكم أن تبتدئوهم بالقتال والضرب، بل تبتدئوا بالنصيحة وبيان الحق عسى أن تكون في هذه اللحظات فرصة للسلام، فإذا بدؤوا بالضرب والهجوم معناه يريدون القتال ومصّرّين عليه فلا فرصة للسلام، فعند ذلك قاتلوهم.

ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «لا تقاتلوهم حتى يبدؤوكم، فإنكم بحمد الله على حجّة، وترككم إياهم حتى يبدؤوكم حجّة أخرى»^(١).

٤- ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾

أولاً: أيها المؤمنون لا تكونوا من المبتدئين للحرب، فإنّه اعتداء على الآخرين لا يحبه الله فلا مبرّر له شرعاً.

ثانياً: أيها المؤمنون أن القتال في الإسلام له قوانينه فطبّقوها ولا تتعدّوها، فإن الله لا يحب أن تتعدّى حدوده فهو محرّم عليكم.

ثالثاً: أيها المؤمنون شخّصوا دائرة الحرب والمحاربين وليكن قتالكم مركزاً على ذلك، فإنّ التجاوز عن هذه الدائرة هو اعتداء على أبرياء لا يحبّه الله فهو محرّم عليكم، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «فإذا كانت الهزيمة بإذن الله، فلا تقاتلوا مدبراً، ولا تصيبروا معوراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تهيجوا النساء بأذى وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم»^(١).

رابعاً: أيها المؤمنون أنكم باعتدائكم هذا سوف تحسبون عند الله من المعتدين، وإذا كنتم كذلك فأنتم من المبغوضين عند الله، والذي يكون مبغوضاً عند الله لا يكون مؤمناً ولا مجاهداً مع أنكم في مواقع القتال تكونون أكثر حاجة لرضوان الله عنكم وقبول أعمالكم عنده.

خامساً: أيها المؤمنون ليس كلّ من بدأكم بقتال يحلّ عليكم مقاتلته، بل هناك فِرَق ولكلّ فريق عنوان كالمشركين والكافرين والمنافقين والبغاة والخوارج والمعاهدين وأهل الذمّة والفئة المسلمة وغير ذلك ممّا تجده في القرآن والسنة النبوية، فبعض الفِرَق على الرغم من أنّهم يبدؤون القتال فلا يجوز مقاتلته، فعلى المؤمن أن يراقب أياً من الفرق يجوز محاربتها، وأيّ الفرق لا يجوز محاربتها حتّى لو بدأت بقتال، فإنّ محاربة من لم يجوّز الله محاربتة وتقاتلوا من لم تُؤمروا بقتاله هو تعدّ واضح لا يحبّه الله ولا يريدّه فهو محرّم، وتشخيص ذلك يرجع إلى الحاكم الشرعي.

سادساً: أيها المؤمنون كونوا ثابتين مستمرّين في كلّ لحظات جهادكم على

إخلاص نيتكم وهي في سبيل الله ولا تتعدوها، فراقبوا نياتكم ودوافعكم واجعلوها لا تتعدى هذا السبيل الذي من خلاله تحافظون على سيرة الإسلام وصورته في حركته وقيمه السامية وتعكسون أدبه وأنتم تجاهدون أعداء الله، لأن القتال في الإسلام لا يغير الثوابت التي يحملها في أي موقع من المواقع، فإنه رسالة حق وقوة إنسانية تلازم الإنسان المؤمن حتى في ساحات القتال والجهاد، وإذا تعديتم من نيتكم إلى غير هذا السبيل فستفقدون أخلاق الحرب وأدبه الذي يريده الله من الحرب وستصبحون لا فرق بينكم وبين أعدائكم فيما يميزكم عنهم في ساحات الحرب، فإن تعدى النية من الله إلى غيره له آثار سلبية ونتائج لا تكون في صالح الإسلام والمسلمين، فالذي يتعدى عن نيته لله إلى نية أخرى فإنه يتجاوز كل الحدود الإلهية في القتال وبالتالي يبعد قلوب الناس عن رسالة الإسلام بدلاً من أن يقربهم إليها، ولهذا لم يكن هذا النوع من التعدي محبوباً عند الله، والذي لا يكون محبوباً عند الله تكون نتيجته الفشل والخسران.

ويسلط التاريخ الإسلامي الناصع على تلك الشخصية التي قام الإسلام بسيفها من خلال خوضه لأكثر المعارك في صدر الإسلام، ذلك هو أمير المؤمنين والمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حين برز إلى عمرو بن ود العامري وقد سقط على الأرض صريعاً من ضربات أمير المؤمنين، ولما أراد أمير المؤمنين إنهاء حياته باحتراز رأسه بصق عمرو بوجه أمير المؤمنين عليه السلام، تركه أمير المؤمنين عليه السلام لحظات ولم يقتله، ثم بعد ذلك أنهى حياته بقتله، وعندما رجع أمير المؤمنين عليه السلام سئل عن سبب تأخره في قتله؟ قال عليه السلام: «... تفل في وجهي، فخشيت أن أضربه لحظ نفسي، فتركته حتى سكن

ما بي ثم قتلته في الله» (١).

سابعاً: أن هذا التشديد والحذر الدقيق في مسألة عدم التعدي في القتال له أهميته في الإسلام، ولهذا تجد هذه العبارة قد كررها الله في هذه الآيات شكلاً ومضموناً، لأن الإسلام دين الرحمة ودين العطف والحنان ودين السلام للناس جميعاً ودين العدل، والقتال يشتعل فيه غضب المقاتل ويصل إلى ذروته، وإذا تركت للغضب الحرية والانطلاق فتكون النفس مستعدة لأن تعمل بالجاني أضعاف ما جنى عليها وتتعدى حدود ذلك، والمشاهدون للمعركة ينقلون هذا الفعل، وإن فعل المجاهدين يعكس صورة الإسلام، لأنه صادر عن تشريع، ولا يراد من الإسلام أن يتصور من وجوده أنه عامل فزع وخوف وإرهاب ووحشية، فلولا الواقعية التي يعيشها الإسلام لما شرع الحرب، ولولا وجود أناس لا يفهمون إلا لغة القتال والحرب والدمار وأن منطقهم منطق القوة والاعتداء لما شرع الحرب، فليس من العقل أن أرى مبدأ السماء تقطعة أيادي الجريمة والإرهاب وأنا أقف موقف المتفرج، وليس من الحكمة أن أبذل العفو والحب لوحوش غابات الأرض وهي تريد أن تنهش المؤمنين في كل مكان، وليس من الصبر أو التسامح على شيء عندما أرى العشرات من الصادقين يوماً تأخذهم أيادي أعدائهم لتقذفهم في ظلمات السجون والتعذيب وطاحونة الموت وساحات هتك الأعراض وأنا لم أحرك ساكناً.

فإن المبدأ الذي لا ينسجم مع الواقع الذي يعيشه يكون فيه نقص ويكون مرفوضاً من قبل أي إنسان عاقل، وأنه لا يمثل السماء؛ لأن السماء جاءت لمعالجة

واقع الإنسان على الأرض لا في السماء والهواء الطلق، وإنَّ الدفاع عن النفس دافع غريزي، وإنَّ حالة الصراع حالة قديمة مع قدم الإنسان ولم ترفع عنه مادام هناك عنصر شرٍّ موجود يريد القتل والقتال بأيِّ وسيلة ولأَيِّ مبرّر كان، ولكن في الوقت نفسه يجب أن يُعرف أنَّ الإسلام لمَّا جاء من أجل أن يرفع الاعتداء، فهو لا يرضى أن يصدر منه ذلك من خلال عمل المجاهدين في قتالهم في أن يقتصوا بأكثر ممَّا يستحقّه الجاني، فإنَّ الاقتصاص بالمثل يعكس رحمة الإسلام وعدله في جميع المجالات التي يشغلها وفي اتّخاذ قرار الحرب بالخصوص، ولهذا حرّم المثلثة في جسد القتيل، بل حتّى في الكلب العقور كما ورد في الحديث وجعله نوع اعتداء ووحشية لا مبرّر لها إلا الانتقام الشخصي النابع من غضب النفس، فإنَّ تطبيق أخلاق الحرب البعيدة عن الدوافع الشخصية لها الدور الإعلامي الكبير والمؤثر في قلوب الناس، وهذا هو أحد الأسباب التي جعلت الإمام الحسين عليه السلام يمتلك قلوب الناس ويعكس عدل وإنسانية معركته ومبذّته.

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾؟

ج:

١- أنه تبنُّ لأصل من أصول القتال وهو استعمال الشدّة وعدم التهاون في الشدّة مع الذين يقاتلونكم.

٢- أن هذا الأصل لا ينتهي بانتهاء القتال في ساحة المعركة، بل كلّ الأرض تصبح ساحة معركة يسمح فيها للمسلمين بقتال أعدائهم فيجب ملاحقة القاتلين أين ما ذهبوا وأين ما وجدوا، فإذا كان بدء الحرب بيدهم فإنَّ نهاية الحرب ووجوب

استمرار قتالهم ليس بيدهم، فليس الإنسان بهيّن في الإسلام، وليست حرمة المؤمن بقليلة عند الله حتى يخضع قتله للمشتبهات والأذواق متى ما بدؤوا الحرب بدؤوها ومتى ما اشتهاوا أوقفوها، بل القاتل والمعتدي يجب أن يأخذ جزاءه وألا يشعر بالراحة أين ما وجد ليكون عبرة لمن اعتبر، فإن بعض الأشقياء الذين لا يعيرون أهمية للإنسان تراهم يهدرون دماء الملايين ولا يقرّ لهم قرار ولا يدفعهم عن مثل هذه الأعمال الإجرامية إلا من خلال دخول شعور الخوف والفرع في قلوبهم، وألا تشعرهم بالراحة والاطمئنان في أي ساحة من ساحات الأرض، ولا يكون ذلك إلا بملاحقتهم حتى لا يعطوا الفرصة لإعادة جرائمهم بسفك دماء الآخرين بهذه السهولة التي هم رأوها.

٣- أن رفع هذا الأصل بيد الحاكم الشرعي فإن شاء جعله في حدود ساحة المعركة فحسب، وإن شاء جعله على ما هو عليه من السعة.

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُواكُمْ﴾؟

ج:

١- أنها دعوة إلى المعاملة بالمثل، فإن الشدة في قتالهم واستعمال أشد أنواع القسوة معهم لم يكن عملاً ابتدائياً وفعلاً من أفعال الإسلام، بل هو ردود فعل ومعاملة بالمثل.

٢- أنهم جعلونا نخرج من البلاد من دون رغبة منا، وأخرجونا بعد أن منعوا ديننا من أن ينشر ويلتزم به في البلاد من خلال زرع الخوف في صدور الناس وتحذيرهم من التقرب منا، وأخرجونا من بعد ما أدخلونا السجون الرهيبة،

وأخرجونا من بعد ما عذبونا أشد العذاب بأحدث آلات التعذيب، وأخرجونا من بعد ما هتكوا الأعراس، وأخرجونا من بعد ما صادروا أملاكنا، وأخرجونا من بعد ما جعلونا نعيش الاضطراب والقلق في جميع أيام حياتنا، أخرجونا بعدما حطموا البيوت على رؤوسنا، أخرجونا وهم لم يتركونا بل لاحقونا من مكان لآخر، هنا يأتي جواب الآية لهذه الحالة بأن ﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ أي بنفس الطرق التي اتبعوها في إخراجكم، حتى تجعلوهم يذوقوا مرارة الألم الذي مررتم به، ليشعروا بحجم الجريمة التي اقترفوها بحق الأبرياء حتى لا يعودوا لمثل هذا العمل، وأن يكونوا عبرة لغيرهم، وليعرفوا مكانة المؤمنين عند الله الخالق لهذا الكون والمريد للمؤمنين في أن يكونوا هم ورثة الأرض.

فالنتيجة يكون خطاب ﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ على غرار خطاب الآية الآتية ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾، فهذا النوع من الفعل والمطاردة لأعداء الله والمؤمنين لم يكن فعلاً ابتدائياً، وإنما هو رد فعل وعلاج لبعض الحالات الإجرامية التي يتصدى لها البعض من الناس حيث لا يمتنعون ولا يعالجون إلا بذلك.

س: ما هي المحتملات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾؟

ج:

١- أن يكون هذا الخطاب جواباً لسؤال تقديري يفرضه طبيعة كل إنسان عاقل يمتلك الفطرة السليمة التي تكره القتل والقتال ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾.

٢- أن يكون هذا الخطاب جواباً لسؤال تقديري في إقرار الإسلام في أن يستعمل الشدة والقسوة ضد من أعلن الحرب والقتال وضد من رفع السيف في وجههم، فإن الإسلام دين الرحمة فكيف سمح لنفسه أن يقرّ ويسمح باستعمال هذا النوع من عدم الرحمة والوحشية ضد مقاتليه؟!.

٣- فيجيب الخطاب القرآني عن هذه الأسئلة وأمثالها :

أولاً: أن الفتنة وابتلاء المؤمنين الذي سببه الأعداء لهم هو أشد من القتل؛ لأن القتل له حالة زمنية محدّدة في أن يعيش الإنسان فيها حالة الخوف والاضطراب وفقدان الأنفس بالعدد المحدود، بينما الابتلاء والفتنة التي تقع على المؤمنين من جراء عمل الأعداء لم تكن له حالة زمنية محدّدة ولا لعدد محدود للمؤمنين، فملاحقة المؤمنين ومنعهم حرية الكلمة وتعذيبهم وقذفهم في السجون وحصرهم اقتصادياً تجعلهم يعيشون حالة الذل والهوان والخوف والاضطراب وفقدان عناصر القوة بصورة مستمرة مادام العدو يستعمل هذا الأسلوب معهم ويمرّ من دون مقاومة من المؤمنين، وهذا النوع من الابتلاء واضح أنه أشد من القتل.

ثانياً: أن معاملة الأعداء باضطهاد المؤمنين لا يجعل المؤمن وحده الذي يعيش هذه الحالة من الخوف والفرع، بل يجعل الأسرة بجميع أفرادها يعيشون هذه الحالة، ويجعل جميع أسر المؤمنين في العالم تعيش هذه الحالة السلبية من الأذى للترابط بينهم، ويجعل الساحة الإسلامية على امتدادها تعيش حالة الهلع والإنذار للترابط العقائدي بين أفراد الأمة الواحدة أين ما وجد أفرادها وبسبب مسؤولية الدفاع التي ألقاها الله على عاتق كل مسلم، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: « من نادى يا

للمسلمين ولم يجبه أحد فليس بمسلم»^(١).

وواضح أنّ هذا النوع من الفتنة الشاملة التي صنعها الأعداء والتي لا هدف لها إلا الدمار الشامل ومحاولة محو الإسلام والمسلمين لهي على المؤمنين وعلى كلّ عاقل أشد من القتال؛ لأنّ القتال وإن كان حالة مكروهة والإسلام مكروه عليه إلا أنّ فيه تحجيماً للإرهاب ووقفاً لنزيف الدماء الذي أصاب المؤمنين والمؤمنات وأطفالهم وأرضهم في بقاع العالم أجمع.

ﷻ: لو وضعنا الفتنة التي يصنعها الأعداء ضدّ المؤمنين في أحد كفتي الميزان، ووضعنا الحرب ضدّهم في الكفة الأخرى، لرأينا أنّ الفتنة التي يصنعها أعداء الإسلام ترجّح كفة القتال من حيث كثرة خطورته؛ لأنّ الفتنة التي يصنعها الأعداء فتنة ضدّ الله، وضدّ أطروحته التي رسمها للأرض، وضدّ العدل الإلهي الذي يريد به الله أن يسود في الأرض، وضدّ القيم الإنسانية التي يريد بها الله من الإنسان أن يحافظ عليها، وضدّ عزة المؤمنين التي يريد بها الله لهم، وبالتالي فهي فتنة روحية تقتل روحية الإنسان التي هي الجانب الأهم في تكوين الإنسان، فإنّ في قتل روحية الإنسان قتلاً لإبداعه في الحياة وقتلاً للقيم الإنسانية وبالتالي فإنّ قتل الروح هي تحويل الإنسان إلى مجرم حرب، وقتل الروح فتنة أشد من فتنة قتل الأجساد؛ لأنّ في الفتنة إزالة الحياة الأبدية التي يطمع الله أن يدخلها وأن يصل إليها كلّ إنسان، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «وإنما سمي الكفر فتنة؛ لأنّ الكفر يؤدّي إلى الهلاك كما تؤدّي الفتنة إلى الهلاك»^(٢).

(١) الوسائل ١٥: ١٤١/٢٠١٦٩.

(٢) تفسير التبيان ٢: ١٤٧.

رابعاً: أن القتال تحديد لهذه الفتنة ووضع حد لهذا الانحراف الذي إذا مرّ من دون قتال وصرامة وشدة ومن دون جزاء يخوف الأعداء فإنه يحوّل الأرض إلى غابات لا تستقرّ بها إلا الوحوش.

خامساً: أن تشريع القتال يمثل حالة موازنة في التشريع، فوجود الأضداد لا ينكر وجودها أحد سواء على المستوى الداخلي للإنسان أو على المستوى الخارجي، فعناصر الخير والشر كما توجد في داخل الإنسان توجد كذلك في الخارج، وكما الإنسان بفطرته يحاول جلب عناصر الخير سواء في داخله أو خارجه فهو كذلك يدفع عنه عناصر الشر الداخلية والخارجية، والإسلام شرع لكلّ حالة بصورة تناسب موضوعها من الجلب والدفع، وكان قتال قاتلي المؤمنين وبهذه الصورة من الشدّة والقسوة هو التشريع المناسب الذي يجعل أعداء الدين والمتدينين يقفون عند حدّهم، فالذي يستقرّ المفردات التشريعية للإسلام والدقة في علاجه للأحداث والمواقف في الاتجاهين المتعاكسين يؤمن بأن القتال هو مفردة لا تختلف عن بقية مفرداته الدقيقة والعلاج المناسب للوقوف بوجه الانحراف والفتنة التي تريدها قوى الشر أن تنتشر في الأرض.

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾؟

ج:

المسجد الحرام أو الأماكن المقدّسة في الإسلام لم تكن ملكاً لأحد، بل هو ملك اختصّ الله به نفسه، وإنّ له رسوماً قد رسمها الله في دخول بيته والخروج منه

والبقاء فيه، وكلّ هذه الرسوم تعني وجود حرمة وحرّمات للبيت، وأنّ التعدي من أيّ كان يُعدّ تعدياً على تلك الحرمات التي رسمها الله وشرّعها لهذا البيت، ورد عن الرسول ﷺ أنّه قال: «إنّ الناس لم يحرموا مكة ولكن الله حرّمها فهي حرام إلى يوم القيامة، وإنّ من أعتى الناس على الله رجلاً قتل في الحرم، ورجلاً قتل غير قاتله، ورجلاً أخذ بذحول الجاهليّة»^(١).

والأمن هو من أبرز التشريعات التي رسمها الله لهذا البيت، فكلّ من يدخله من إنسان أو حيوان فهو يمتلك الحصانة الكاملة عند دخوله إليه فلا يجوز التعدي عليه إلاّ بشروط يراجع فيها كتب الفقه في ذلك، فحتى قاتل المؤمنين أو هو من أعداء الدين عندما يدخل فليس من حقّ أحد مقاتلته داخل البيت مادام لم يشهر السلاح فيه.

ورد عن معاوية بن عمار أنّه قال: سألت أبا عبد الله ﷺ عن رجل قتل رجلاً في الحلّ ثمّ دخل الحرم فقال: «لا يقتل ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع ولا يؤوى حتى يخرج من الحرم فيقام عليه الحد...»^(٢).

وعندما يشهر السلاح وهو في داخل بيت الله معناه قد تعدي هذه الحدود وحطّم كلّ الحرمات التي جعلها الله للبيت في أن يكون آمناً للزائرين له، وباستعداده للقتال داخل البيت معناه قد حاول تحطيم روحية المعاني وسلب المعالم الروحية للمناسك التي أراد الله أن يتزوّد الزائر بها في زيارته للبيت وتؤثر في قلبه، وإنّ حرمة المؤمن الزائر لبيته أعظم عند الله من حرمة بيته، ففي هذه الحالة سمح الله للمؤمنين

(١) الدر المنثور ١: ١٢٢.

(٢) الكافي ٤: ٢٢٧/٤.

بمقاتلته، فهو ليس هتكاً لحرمة من قبل المؤمنين، بل جزاء لهتك قام به ذلك العدو الذي شهر السلاح وهو داخل البيت المقدس ﴿كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾.

ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال حين أقبل إلى الكعبة وهو ينظر إلى بيت الله: «الحمد لله الذي كرمك وشرفك وعظّمك وجعلك مثابة للناس وأمناً، والله لحرمة المؤمن عند الله أعظم حرمة منك...»^(١).

س: ما هي المحتملات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾؟

ج:

- ١- فإن انتهوا عن المقاتلة في بيت الله الحرام فلا قتال معهم.
- ٢- فإن انتهوا عن مقاتلة المؤمنين في أي مكان فلا قتال معهم.
- ٣- فإن انتهوا عن كفرهم وأعلنوا إسلامهم فلا جزاء يلاحقهم إلا العفو.
- ٤- فإن تابوا فإن الله يقبل توبة عبده مهما كان الذنب عظيماً، فإن الله يغفر الذنوب جميعاً عند صدور التوبة النصوحة من عبده.

س: ما هو المحتمل الذي يرد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾؟

ج:

أعلى درجات الفتنة أن يفتن الإنسان بدينه وعقيدته ﴿وَإِخْذَرْتَهُمْ أَنْ يَنْفَتُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ (السائدة: ٤٩)، وأعلى درجات الخطورة في الابتلاء

(١) المستدرک ٩: ٤٥/ ١٠١٦٠.

العقائدي أن يصل الإنسان إلى الشرك بالله، ولا تجد الحنيفية الخالصة إلا في الإسلام، ولا تجد الدين الخالص إلا في الإسلام، فكلّ بديل يطرح على الأرض غير الإسلام فهو إن لم يكن شركاً بعينه فهو يحمل الشرك في مضمونه، فعداء الإسلام معناه إيجاباً للشرك بدرجة من الدرجات كبديل للإسلام الذي هو دين التوحيد الخالص، وأي عداء للإسلام معناه رجوعاً بالإنسان إلى الجاهلية العقائدية والسلوكية، وأي عداء للإسلام معناه نزول الإنسان إلى حضيض الدرجات بدلاً من صعوده إلى درجات التكامل التي يريدّها الله من الإنسان على الأرض ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْتَغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (المائدة: ٥٠)، وأي عداء للإسلام معناه عداء لفطرة الإنسان ومحاولة في تشويهها وإماتها؛ لأنّ الإسلام دين الفطرة، فترك أعداء الدين الإسلامي معناه فتح المجال لسقوط الإنسان وتقهقر حركته وسعيه في الحياة على أيدي أعداء الدين.

هنا لا تتحمّل هذه الحالة لأن يقف الإنسان أمامها موقف المتفرّج، بل إنّ الموقف المتفرّج ينبذه كلّ صاحب ضمير ووجدان يؤمن بالله وبقيم السماء، بل إنّها ضرورة يفرضها العقل ومن مداليل الفحوى والألوية، ومن هنا كان القتال هو السبيل الوحيد الذي يلتجئ إليه المؤمنون ليمنعوا من خلاله هذا النوع من الفتنة التي تهدّد الإنسانية بوقوعها في حضيض الجاهلية وتحاول أن تؤخّر الإنسان وتضع جهوده التي بذلها في سيره التكاملي ونمو قيمه العالية.

ورد عن الرسول ﷺ أنّه قال: «المسلم أخو المسلم، يسعهم الماء والشجر، يتعاونان على الفتان»^(١)، أي يتعاونون على قتل الفتنة ومحوها.

(١) بلاغات النساء: ١٢٦.

فالقِتالُ شُرْعٌ لرفعِ الفتنَةِ في العالمِ الإنساني، وأن يكونَ دينُ الناسِ كلِّه اللهُ الذي ينحصرُ التكامُلُ فيه في جميعِ جوانبه، فالعداءُ للدينِ وللمتديّنين لا ينظرُ إليه بالمنظارِ الضيقِ الذي يقتصرُ على المكانِ أو الحالةِ الوحشيةِ والفقْدانِ الذي يتركه القتالُ، فالذي ينظرُ إلى خطورةِ العداءِ للدينِ الإسلامي وما يتركه من أثرٍ ونتائجٍ خطيرةٍ سوف يدركُ أنَّ قتالَ مقاتليهم واستعمالَ الشدَّةِ في قتالهم هو الطريقُ السليمُ الذي يتَّبِعُه الإسلامُ من أجلِ سلامةِ الآخرين من آفاتِ الشركِ والاعتداءِ والتخلفِ وتشويهِ الفطرةِ الإنسانيَّةِ، والقتالُ باقٍ مادامَ هناكَ ظالمٌ يسيرُ على نهجه في محاربةِ الدينِ والمتديّنين، والقتالُ باقٍ مادامتَ هناكَ حركةٌ تمثُلُ هذا الاتِّجاهَ الخطرَ على الإنسانيَّةِ، والقتالُ باقٍ حتَّى تنتهيَ هذه الحركةُ العدوانيَّةُ، فإذا انتهتِ فلا موضوعٌ للقتالِ إلَّا على بعضِ الأفرادِ الظالمينِ من جهةِ اعتدائهم ومن كونه قصاصاً لا معركةً تُقاد.

ورد عن الرسول ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوا عَصَمُوا مِنِّي دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَذُرَارِيَهُمْ، فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عَدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ»^(١).

س: لقد استشهدتُ أخيراً بقول الرسول ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عَدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ» ألم يكن هذا تبنياً إسلامياً للمقاتلة والقتال بصورة عامَّة حتَّى لو كان الكفار في حالة سلم مع المسلمين؟ وضح الاحتمالات من الجواب.

ج:

١- أن صريح القرآن بأنَّه لا إكراه في الدين ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ

النَّيِّ قَنْ يَكْفُرَ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿البقرة: ٢٥٦﴾، فلو كان معنى أن كل من لا يقول: لا إله إلا الله وجب قتله فهذا هو عين الإكراه، فلا نفهم حديث الرسول ﷺ بهذا الفهم المخالف للقرآن.

٢- أن القرآن قد نهى الرسول ﷺ عن إكراه الآخرين على الدين ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ٩٩)، كما حدّد ممارسة الرسول ﷺ تجاه عقيدة هؤلاء ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ (آل عمران: ٢٠).

٣- أن نفس الناموس الطبيعي لخلق الإنسان على الأرض أن يكون منهم كافر ومنهم مؤمن ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ (التغابن: ٢)، فلا تنفع مرحلة من المراحل في أن يقاتل الرسول ﷺ فيها كل من لا يقول: لا إله إلا الله لعودة الكافرين بعد ذلك لناموس طبيعة الإنسان الذي خلقه الله، وأن تكون الحرب عند ظهور أي ظاهرة كفر معناه الحرب الدائم لظهور الكفر الدائم الذي لا يخلو عن وجه الأرض، وهذا يعني محو الإنسان عن وجه الأرض؛ لأنّ خسارة الحرب تقع على جميع الأطراف بالإضافة إلى أنّ حالة الحرب الدائمة لا تجعل حالة استقرار فيها، وكلّ هذا غير معقول في نفسه؛ لأنّ هذه الحالة منافية لهدف الإسلام. وعليه لا يكون مقصود الرسول من كلامه هذا الفهم السطحي الذي فهمه الآخرون منه.

٤- إذا عرفنا النقاط الثلاثة التي ذكرناها نعرف:

أولاً: إنّ المراد من الناس في قوله ﷺ ليس مطلق الناس، بل هو إطلاق العام وإرادة الخاص بقريظة «فإن انتهوا» أي فإن انتهوا عن عدوانهم فلا عدوان، فالمقصود

من الناس هم المعتدون الذين أعلنوا وبدؤوا الحرب وأشعلوها ضدَّ الإسلام والمسلمين.

ثانياً: أنَّ حرب الإسلام ضدَّ الظالمين والكفار هو من أجل اعتدائهم لا كفرهم.

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾؟

ج:

١- الأشهر الحرم أربعة وهي: رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، ومحرم. وقد يكون استعمال الفرد من الأشهر هنا أن يكون المقصود به شهر ذي القعدة التي حصل فيه الصّد عام الحديبية.

٢- الأشهر الحرم الأربعة هذه كانت عادة في الجاهلية قبل الإسلام يحترمونها فيمنعون فيها القتال أصلاً ومن جميع جهاته، وجاء الإسلام وأمضى هذه الحرمة وجعلها على ما هي عليه من حرمة القتال فيها.

٣- لما أمضى الإسلام الأشهر الحرم معناه يحرم على المسلمين القتال فيه كما الأعداء إذا احترموا هذه الأشهر ومنعوا أنفسهم من القتال فيها، ولكن إذا كان الأعداء لا يحترمون شيئاً ولا يقدّسون شيئاً، وكانت نتيجة ذلك أن هجموا على المسلمين وبدؤوهم القتال في الشهر الحرام، فهنا لا بدّ للمسلمين أن يقاتلوهم لا هتكاً للحرمة كذلك، فإنَّ الذي هتك الحرمة هم الأعداء ببدئهم القتال فيه، ولكن سمح الإسلام بالمقاتلة فيه من باب القصاص وردّ فعل بالمثل والمجازاة عليه الذي يمثل الحالة الواقعية والابتلاء الذي يواجهه المسلمون والضرورة التي تحتم عليهم ذلك، لأنّه لا يمكن أن يقف المسلمون موقف المتفرّج

والأعداء يقتلون بهم مستغلين حرمة الشهر عندهم، فإنه أمر غير منطقي وغير عقلائي.

٤- أن الهجوم المحرم على المسلمين في أشهر الحرم إذا كان هجوماً ابتدائياً، وأما إذا كان دفاعياً فلا مانع من الهجوم الابتدائي فيه، فمثلاً إذا هجم الأعداء في بداية الشهر فلا مانع من أن يهجم المسلمون ويبغتون العدو في بقية أيام الشهر حتى في غيره من أشهر الحرم الباقية وحتى في الأشهر الحرم للسنة القابلة إذا استمرت الحرب لسنة أو سنوات.

٥- أن القصاص بعضه قتل كقصاص النفس، فإنه على الرغم من ذلك فهو خارج عن دائرة حرمة الأشهر فيجوز إجراؤه في كل الأشهر بدون استثناء ﴿وَالْحُرْمَاتُ قِصَاصٌ﴾.



س: ما هي الاحتمالات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾؟

ج:

١- وأنفقوا المال في القتال وجهاد المؤمنين أعداءهم، فإن قتال الأعداء لا يكون بالأيدي وسعيًا على الأرجل، وإنما هو بذل استثنائي واستهلاك ليس له مثيل لمختلف الحالات التي يمر بها ذلك البلد أو تلك المجموعة المجاهدة، فإن القتال يحتاج إلى وجبات طعام تقدم إلى المقاتلين، ويحتاج إلى ألبسة، ووسائط نقل، وأسلحة دفاعية وهجومية، ووسائل التبليغ والإعلام، وضمان أسر المقاتلين، وضمان أسر الشهداء، وأماكن اللجوء، وتعويض ما تدمره الحرب، والاستعداد لحالات الطوارئ، وغيرها من الأمور التي أصبحت واضحة اليوم

بما تحتاجه المعركة والقتال سواء على مستوى البلاد أو المجاميع الجهادية. ولكن على الرغم من هذا الوضوح فيما يحتاج القتال من الإنفاق نجد تفاعل المسلمين مع هذا النوع من الإنفاق ضعيفاً جداً إن لم يكن معدوماً في تفكير الإنسان المؤمن إلا ما ندر تواجهه على المستوى الفردي الواعي الذي يشعر بأهمية الإنفاق في هذا الجانب، فنحن نشاهد أغلب المسلمين ينفقون للفقراء والأيتام ولترف الأمور العقائدية وأماكنها ومجالسها إلا أنه لا يأتي في ذهنهم يوماً أن يقدموا شيئاً في هذا الجانب وهو في نفس الوقت يريدون العزة والقوة والغلبة للإسلام وللمسلمين ولا يريد سيطرة الظالم، وكأنما النصر يأتي مجاناً. وهذا النوع من التعامل مع المسألة الجهادية هو إبعاد عن المنهج الشرعي الذي يركز على الإنفاق على الجانب الجهادي بصورة متميزة عن بقية الجوانب وخصوصاً في هذه الفترة الزمنية التي نعيشها والتي يكثر فيها الظالمون الذين يقاتلون المؤمنين أين ما وجدوا وفي أكثر من منطقة من مناطق العالم، ولهذا فنحن نحتاج إلى تثقيف المسلمين على ما يريد الإسلام لا على ما تشتهي الأنفس في مسألة الإنفاق ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تُزْهِقُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (الأنفال: ٦٠)، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «مَنْ جَبَنَ مِنَ الْجِهَادِ فَلْيَجْهَزْ بِالْمَالِ رَجُلًا يَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْمَجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ جَهَّزَ بِمَالٍ غَيْرِهِ فَلَهُ فَضْلُ الْجِهَادِ وَلَمَنْ جَهَّزَهُ فَضْلَ النَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَكِلَاهُمَا فَضْلٌ، وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَفْضَلُ فِي

سبيل الله من الجود بالمال»^(١).

٢- أنفقوا وقدموا أنفسكم وأبنائكم في ساحات القتال عندما يستنصركم الإسلام وفي سبيل الله، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «فوق كل ذي برُّ حتى يقتل الرجل في سبيل الله»^(٢).

س: ما هي المحتملات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾؟

ج:

١- يؤكد الله على الحقيقة العامة في أنه مع المتقين من الشرائع الاجتماعية.
٢- أن الله مع المتقين في دوافعهم ونتائجهم في الحرب وغيره.
٣- أن الله مع المتقين الذين يلتزمون بحدود الحرب ضمن المنهجية الإسلامية فيه، فلا يعتدون.

مركز تحقيقات كميونر علوم إسلامي

٤- أن الله مع المتقين الذين يوازنون بالتزاماتهم ويطرقون كل أبواب الأوامر الإلهية والتي منها الجهاد في سبيل الله، فهم لا يتعاملون مع الإسلام من خلال مواقع الترف وحصول الراحة، ولا يريدون أن يتعاملوا مع الإسلام في المواقع التي يدرون معاشهم من خلالها، بل المتقون هم الذين يجعلون أنفسهم منسجمين مع كل متطلبات الإسلام، فإن الله مع هؤلاء.

٥- أن الله مع المتقين أي ناصرهم ومعينهم وهم تحت سمعه وبصره، فهو الذي يختار منهم شهداء، وهو الذي يجعل الغلبة لهم، وهو الذي يدخل الرعب على

(١) المستدرک ١١: ٢٤/ ١٢٣٣٥.

(٢) عوالي اللآلي ٢: ٩٨/ ٢٦٨.

أعدائهم، وكلّ ذلك وغيره متروك لمشيئته سبحانه.

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾؟

ج:

١- أنفقوا بالقدر الذي لا يضرّ بحالكم، فالإنفاق بهذه الحالة ضرورية توقع الإنسان بالحاجة وذلك السؤال الذي فيه تدمير لشخصية الإنسان المؤمن والمتعلقين به إذا لم تكن هناك ضرورة لذلك، فهي دعوة للإنفاق وعدم الإسراف والإقتار فيه، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (الفرقان: ٦٧)، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «لو أن رجلاً أنفق ما في يديه في سبيل الله ما كان أحسن ولا وفق لقوله سبحانه ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ يعني المقتصدين»^(١).

٢- لا تمتنعوا من الإنفاق على الحركة الجهادية القتالية الإسلامية مهما بلغت درجته، بل وأحسنوا وزيدوا إحسانكم في هذا المجال، فإنّ حالة التقصير في ذلك معناه أنّ المسلمين سوف يتوقفون عن القتال والجهاد ومعناه سيطرة البديل وهو الكفر والفساد الذي فيه تهلكة وضياع للمسلمين وخذلانهم على أيدي أعدائهم من الكافرين والظالمين، ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: «مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا بِسَلَكٍ أَوْ إِبْرَةِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ»^(٢).

٣- أنّ الإنفاق حالة صعبة على الإنسان فليلق نفسه فيه؛ لأنّه إلقاء فيه عزة

(١) فقه القرآن ١: ٣٣٦.

(٢) المستدرک ١١: ٢٤/١٢٣٣٣.

ومحبووية عند الله وعند المقاتلين في سبيله لما فيه من رفع معنوياتهم..بدلاً من أن يلقي الإنسان نفسه فيما فيه المحذور الشرعي والتهلكة التي تنتج من عدم الإنفاق.

٤- أنفقوا على الحركة الجهادية والجانب العسكري ليتطور من خلاله سلاحكم وتكثر فيه معسكراتكم وتظهر فيه لياقتكم وكفاءتكم العسكرية وتكبروا في عيون أعدائكم وبه يخشى عدوكم الوصول إليكم فلا يفكر بقتالكم، بل يحاول أن يتقرب إليكم، وبهذا تنقذون أنفسكم من القتال مع أعدائكم الذي فيه هلاك أنفسكم ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (الأنفال: ٦٠).

٥- أنفقوا بأنفسكم في سبيل الله وفي معارك العزة والجهاد بدلاً من أن تلقوها بالموت والهلاك الطبيعي وأنتم في مضاجعكم وعلى الفراش، فإن البقاء للنفس يكون في تقديم النفس لله والفناء في سبيله ﴿لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (التوبة: ٨٨)، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «لألف ضربة بالسيف أهون علي من ميتة على فراش» (١).

٦- أنفقوا بأنفسكم بقتال أعدائكم؛ لأنه مظهر من مظاهر القوة والعزة والكرامة والرفعة والشموخ، وإن لم تفعلوا ذلك فتكون نتيجة الضعف والهوان فيلجئكم الحاكم الظالم إليه فتكونوا تحت سيطرته وفي ذلكم هلاك لكم، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «ضاربوا عن دينكم بالظن، وصلوا السيوف بالخطأ،

وانتصروا بالله تظفروا وتنتصروا»^(١).

٧- أنفقوا بأنفسكم ولا تسرفوا في تقديم كوادركم القتالية بالعدد الأكثر مما تستحقه المعركة أو العملية الجهادية، فإن في الإسراف تهلكة وخسارة بشرية لا مبرر لها وأنها مسؤولية شرعية.

٨- أنقذوا أنفسكم من يوم الحساب من خلال مشاركتكم وإلقاء أنفسكم في كل المواقع التي يطلبها الإسلام منكم ولا تلقوا بأنفسكم في النار عندما تتخلفون عن الزحف والاستجابة لما يطلبه الإسلام منكم لما فيه من الحرمة الشرعية الكبرى.

٩- ألا تبطلوا عامل القوة في الإسلام التي تصنعها أيديكم لأن الله يريد للإسلام أن يكون قوتاً كما أراد للمؤمنين أن يكونوا أقوياء، فإن الإسلام القوي خير من الإسلام الضعيف، وإن المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف لما في القوة من دور كبير في حياة الإنسان على الأرض ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ (الأنفال: ٦٠)، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «إن الله عز وجل يباهي بالمتقلد سيفه في سبيل الله ملائكته وهم يصلون عليه مادام متقلده»^(٢).

١٠- لا تلتجئوا إلى القتال عندما ترون أنفسكم غير قادرين على الدفاع عن أنفسكم وإسلامكم أو لأي مبرر موضوعي كان، بل بإمكانكم أن تستعملوا أي وسيلة للاتفاق مع الأعداء، ولكن تشخيص ذلك بيد الحاكم الشرعي، كما هو صالح

(١) غرر الحكم: ٣٣٣/٧٦٦٨.

(٢) كنز العمال ٤: ١٠٧٨٧/٣٣٨.

الحديبية كان بأمر الرسول ﷺ، وصلاح الإمام أمير المؤمنين ﷺ في صفين، وصلاح الإمام الحسن ﷺ مع معاوية، وقبول العهد من قبل الإمام الرضا ﷺ حيث ورد في الخبر، قال المأمون للإمام الرضا ﷺ بعد أن أوى من قبول العهد: فبالله أقسم لئن قبلت ولاية العهد، وإلا أجبرتك على ذلك، فإن فعلت وإلا ضربت عنقك. فقال الإمام ﷺ: «قد نهاني الله عز وجل - أن ألقى بيدي إلى التهلكة، فإن كان الأمر على هذا فافعل ما بدا لك، فأنا أقبل على ألا أؤتي أحداً ولا أعزل أحداً ولا أنقض رسماً ولا سنة، وأكون في الأمر من بعيد مشيراً...»^(١).

س: لو طالعنا الاحتمال التاسع والعاشر معاً الذي ذكرتموه وقايسناه مع حركة الإمام الحسين بن علي ﷺ لرأينا أن الحسين بن علي ﷺ قد ألقى بنفسه إلى التهلكة؛ لأنَّ عدده قليل وأنها معركة غير متكافئة من جميع جهات خوض الحرب، وفعلاً قد انتهت المعركة بقتله وأصحابه وسبي الباقيون، اذكر المحتملات في جوابكم على ذلك.

ج:

أولاً: أن تكون آية التهلكة مختصة بالإنفاق والدعم المالي فقط بحالتيه المحتملتين التي ذكرتها النقاط الأربعة الأولى، فعلى هذا الاحتمال يكون الإشكال ليس في محله.

ثانياً: أن تكون آية التهلكة ناظرة إلى الآخرة وعذاب النار، كما هو الاحتمال الثامن، فهنا كذلك يكون الإشكال في غير محله؛ لأنَّ الحسين ﷺ فاز بالآخرة لأنه

أحد الأفراد الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً بنص القرآن، وأنه سيّد شباب أهل الجنّة للحديث القطعي للرسول ﷺ.

ثالثاً: أن تكون آية التهلكة ناظرة إلى أمور جزئية أو تقنين داخلي مختص في ساحة الحرب أو غير ذلك كما هو الاحتمال السابع، فهنا كذلك يكون الإشكال في غير محله، أو يمكن أن يقال: إن الإشكال في محله ولكن الإمام الحسين ﷺ قد طبّقه في معركته ولم يتجاوزه لا إسرافاً حيث عدده القليل، ولا إقتاراً لأن العدد كان يحمل النوعية التي يكون الواحد منهم يعادل العشرات من الطرف المقابل، ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ (الأنفال: ٦٥).

رابعاً: أن تكون آية التهلكة ناظرة إلى ما يتركه الجانب المعادي عندما يترك القتال من قبل المؤمنين، كما هو الاحتمال الخامس والسادس، فتكون الآية على هذين الاحتمالين تحبّب القتال وتشجّع على التضحية مهما كان الثمن حتى بالأنفس، فهذان الاحتمالان يؤكدان حركة الإمام الحسين ﷺ عندما جسدها بأروع صورها وأعلى درجاتها.

خامساً: أن تكون الآية ناظرة إلى التقييم الذاتي والترجيح لميزان القوى لما يمتلكه الطرفان، فإذا شاهد أنه يهلك لعدم امتلاكه إلا الشيء القليل من القوة فهنا لا يلزمه القتال، بل المصالحة أو الهدنة أو أي شيء يمنع العدو من القتال، كما عليه الاحتمال التاسع والعاشر، فعلى هذين الاحتمالين يأتي الإشكال على الإمام الحسين ﷺ، فهنا نجيبه ببعض الجواب:

١- أننا قلنا: إن تقييم وتشخيص هذا الأمر وتحديدته من مسؤولية الحاكم الشرعي، وهو هنا الإمام الحسين ﷺ، وهذا يكفي في أن يؤمن الإنسان بأن حركة الإمام

الحسين عليه السلام كانت قائمة على تقييم وتشخيص دقيق جداً وعلى الميزانين الشرعي والعقلي كما هو التقييم لجميع الأنبياء والأوصياء في صلحهم أو في خوضهم الحروب وقتلهم، ولكن هذا الإيمان وخصوص هذه المعرفة يحصل عليه الإنسان عندما يكون على معرفة بالإمام الحسين عليه السلام من جميع النواحي والملازمات الشرعية والذاتية لشخصية الإمام التي تحيط به، فعلى هذه النقطة لا بد من دراسة مسبقة لشخصية الإمام الحسين عليه السلام كما هو عليها من عدم الفرق بينه وبين الأنبياء إلا في النبوة حتى يؤمن بتقييمه وكل ما يصدر منه، وإلا يبقى صاحب الإشكال على إشكاله، والذي يريد أن يبحث عن هذه الشخصية وهذا المحور وعن هذه الحقيقة سيجد الحسين عليه السلام في القرآن والسنة بصورة واضحة.

٢- أن هذه المعركة واقعة كربلاء لم تكن من الإمام الحسين عليه السلام، بل هي منهجية ودور رسمه الله لأن ينقذها الإمام الحسين عليه السلام، ولم تكن هذه المنهجية وهذا الدور مكتوماً عند الإمام الحسين عليه السلام، بل بلغ عنه الأنبياء بصورة عامة والرسول محمد عليه السلام بصورة خاصة، فالذي يتهم ويشكل على الإمام الحسين عليه السلام أو على معركة بشيء فهو يتهم ويشكل على الله ورسوله.

٣- أن الحسين عليه السلام وإن كان يعلم بوقوع المعركة وتفاصيلها إلا أنه لم يقصدها بالذات أبداً، فالذي يتابع سيرة الإمام الحسين عليه السلام منذ انطلاقه من المدينة إلى نهار يوم العاشر من المحرم لم يجد من الحسين عليه السلام إلا السيرة الهادئة التي تريد الحوار والتفاهم وكشف الحقيقة وتشخيص واقع الراعي والرعية، وكأنه يعيش راحة المرحلة وأمنها لا غضب المبادرة بالقتل والقتال، فهو سار ضمن الطريق والظرف الطبيعي كمن لا يعلم بوقوع المعركة والذي لا تجد في كلامه لأقتلهم

أو أذبحتهم أو أنتقم منهم ولا لغير هذه الألفاظ التي تصدر ممن يريد البدء بالقتال وقاصداً لها، ولم تجد من أهل بيته تصريحاً واحداً في ذلك كذلك، فالذي يسير بهذا الاتجاه لم يسقط نفسه في تهلكة لأنه يسير وكأن الموت بعيد عنه، وهناك لقطات كثيرة في حركته تدل على ذلك، منها: أنه أراد أن يدخل الكوفة لإجراء الحوار مع عبيد الله بن زياد أو لأجل التحقيق في مسألة قتل مسلم بن عقيل عليه السلام أو عن حالة الوضع الاجتماعي والسياسي الذي يعيشه أهل الكوفة باعتباره يمثل القيادة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ولكنه مُنِع من ذلك. فلو كان قاصداً القتال لقاتل الذين منعه من الدخول إلى الكوفة ودخل الكوفة كمقاتل وقاتح، أو لم يطلب دخول الكوفة أصلاً لعلمه بوقوع المعركة في كربلاء، وإن سبب مسير الحسين عليه السلام ضمن الأمور الطبيعية لا على ما يعلمه ليرسم منهاجاً واقعياً يسير عليه المؤمنون كواقع على الأرض لا حالة مثالية أو إعجازية تجعل هذه الحركة من مختصاتہ فتمنع الاقتداء به.

٤- أن استجابة الإمام الحسين عليه السلام لكتب أهل الكوفة والبصرة لها احتمالان:

الأول: أن تكون استجابة لقتال كما هو محتوى الكتب، فهنا لا يأتي إشكال التهلكة؛ لأن آلاف الكتب تكشف عن وجود آلاف المناصرين والذي يرجح القوة للإمام الحسين عليه السلام.

الثاني: أن تكون استجابة لحجة قامت على الإمام الحسين عليه السلام للنهوض والتصدي كما هو الأصح؛ لأن الكتب كتب مبايعة، فهنا كذلك لا يأتي إشكال التهلكة؛ لأن النهوض والتصدي لا يكون القتال من لوازمه التي لا تنفك عنه فليس كل من نهض بالأمر وتصدى له قد دخل المعارك.

٥- أن الحسين عليه السلام كان على يقين بأنه هو المستهدف وأنه هالك ومقتول لا محالة، فالهلاك هو الذي وقع على الإمام الحسين عليه السلام وصار مكرهاً عليه، فهو لم يختار الهلاك وإنما اختار طريقة الهلاك، فهو بين أمرين إما أن يختار الهلاك والقتل بمفرده - كما حصلت محاولات في اغتياله وفشلت - وبذلك ينتهي خبره بإحاطة مقتله بكثير من الشبهات والتهم التي يضيع معها الحق والحقيقة، وإما أن يختار كربلاء لمقتله، فكانت كربلاء هي الاختيار.

٦- أن عدد المقاتلين ونوعية السلاح وكثرة عدده لم تكن ضماناً يضمن عدم هلاك القائد من القتل ولا يضمن النصر والفوز بصورة يقينية، فليس كل من امتلك العدة والعدد قد ضمن حياته وأتاه الفوز والنصر، فإن كثيراً من الحروب ماضياً وحاضراً قد خسر فيها من كان يمتلك العدة والعدد، ففرعون هلك وهو يمتلك ما لا يمتلكه موسى، وجالوت هلك وهو يمتلك ما لا يمتلكه طالوت، وأمريكا انهزمت وهي تمتلك ما لا تمتلكه فيتنام، وغيرها أمثلة كثيرة ماضياً وحاضراً، فالعدة والعدد يضعك على طريق القلعة ولا يضمن لك حصولها والانتهاج إليها يقيناً.

وعليه يمكن أن يقال: إن كل من يخوض الحرب سواء كان هاجماً أو مهجوماً عليه فهو يتوقع النصر والنجاة كما يتوقع الهزيمة والهلاك، فإذا كان الهلاك محتملاً فالحسين عليه السلام لم يُلقي بنفسه بالتهلكة اليقينية - بغض النظر عن علمه لأننا قلنا: إن الحسين عليه السلام قد سار وفق الأمر الطبيعي المأمور به - حتى يأتي الإشكال..

ومن أقوال الإمام الحسين بن علي عليهما السلام التي تظهر أنه تعامل مع الاحتمالين أنه

قال: «مَنْ لِحَقِّ بِي أُسْتَشْهِدُ، وَمَنْ لَمْ يَلْحَقْ بِي لَمْ يَدْرِكِ الْفَتْحَ وَالسَّلَامَ»^(١).

٧- أن فهم الهلاك والنصر قد يكون من الأمور النسبية التي تختلف حقيقتها وفهمها من إنسان لآخر حسب ما يتبناه الإنسان من النظرية لهما، فإن الإنسان المادي الذي لا يؤمن بما ورائها فهو يرى الموت هلاكاً وإذا حصل الهلاك في المعركة لكل أبناء المعركة فإنه هزيمة، بينما يرى المؤمن بعالم الغيب أن الموت حالة انتقالية إلى حياة أخرى، وأن الموت والهلاك حتى لو حصل لكل أصحاب المعركة فإنه مادام في سبيل الدين وقيم السماء فهو لم يكن خارجاً عن طريق النصر إن لم يكن عاجلاً فهو آجلاً، فعندما أمر الإسلام أصحابه بالقتال معناه دعوة إلى هلاك أصحابه؛ لأنها دعوة إلى معركة فيها قاتل ومقتول ولكن عندما دعاهم إلى الهلاك لا على النظرية المادية للهلاك، بل حسب مفهومه للهلاك الذي هو حياة، بل وانتقال إلى حياة أفضل، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران: ١٦٩).

وعندما أمر الإسلام بالقتال لم يعدهم بالنصر على النظرية المادية للنصر وإنما واعدهم بالنصر الدائم لهم وأن يكون حليفهم دائماً حسب مفهومه للنصر الذي منه رفع الفتنة في العالم، فإذا كانت نتيجة القتال الحصول على الدولة والسلطة ليتم من خلالها رفع الفتنة من العالم فهو نصر، وإن حصل من القتال ما هو أقل من ذلك وهو ما يضمن وجودهم وحرية كلمتهم التي من خلالها يحاولون رفع الفتنة في العالم وأن قيمهم التي قاتلوا من أجلها مؤثرة في الناس وقد دخلت في قلوبهم وأفكارهم فهو نصر، وما نشاهده اليوم من محق الشرك العقائدي

عند الإنسان واحترام الجميع للإسلام وما يتأثر به الآخرون باعتناقه هو من أثر تلك الدماء وذلك القتل الذي وقع على المؤمنين.

فالذي يشكل على الإمام الحسين عليه السلام في أنه ألقى نفسه بالتهلكة يجب عليه دراسة النظرية الإسلامية في الموت والنصر وعندها سيجد أن الإمام الحسين بن علي عليه السلام لم يمت وكان من المنتصرين.

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾؟

ج:

- ١- أنفقوا بمطلق ما ينفع الناس؛ لأنه إحسان والله يحب المحسنين.
 - ٢- زيدوا إنفاقكم المالي في الجانب الجهادي، فإن الله يحب الإحسان في هذا الجانب بصورة متميزة عن غيرة من الإحسان.
 - ٣- أحسنوا أعمالكم بصورة عامة وفي القتال بالخصوص من خلال تطبيقكم لحدود الله فيها وزيادة الاهتمام بها، فإن الله يحب المحسنين الذين يحسنون أعمالهم، وإن الله إذا أحببه زاده قريباً إليه وأجرأ وثواباً.
- ورد عن عمر بن زيد أنه قال: سمعت أبا عبد الله يقول: «إذا أحسن المؤمن عمله ضاعف الله عمله بكلّ حسنة سبعائة، وذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿يُضَاعَفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ فأحسنوا أعمالكم التي تعملونها لثواب الله». فقلت له: وما الإحسان؟ قال: فقال: «إذا صليت فأحسن ركوعك وسجودك، وإذا صمت فتوقّ كلّ ما فيه فساد صومك، وإذا حججت فتوقّ ما يحرم عليك في حجك

وعمرتك». قال: «وكلّ عمل يعملهُ الله فليكن نقيّاً من الدنس»^(١).

س: الذي يفهم من طرحك السابق لمسألة القتال أنك تجعل الإسلام أو المؤمنين به هم المسؤولون عن الإنسان على الأرض وعن سلامة فطرته وأفكاره من الشرك ورفع الظلم عنه بأيّ شكل من أشكاله، وإنّ أيّ محاولة ضدّ هذا الاتجاه فإنّ المؤمنين هم المسؤولون عن الوقوف ضدّها والحاكمون عليها سواء صدرت هذه المحاولة من المشركين أو الكفار أو من أهل الكتاب أو من مطلق الظالمين، فمن هو الذي أعطى للمؤمنين هذا الحق من السيادة والمسؤولية؟ وهل هذا النوع من المسؤولية حقيقة يطرحها القرآن؟



ج:

أولاً: أن الدين الإسلامي هو دين الفطرة التي تشترك الإنسانية فيها.

ثانياً: أن الدين الإسلامي هو الدين الوحيد الخالي من الشرك ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ﴾ (الزمر: ٣)، وأما بقية الأديان بعد مس يد التحريف لها فهي لم تبق خالصة ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (التوبة: ٢٩-٣٠).

ثالثاً: أن الدين الإسلامي هو الدين الوحيد والمختار عند الله لأن يسود العالم

الإنساني ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (آل عمران: ١٩)، ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ (البقرة: ١٩٣)، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ (آل عمران: ٨٥)، وأما بقية الأديان فإنها معترف بوجودها وبوجود أهلها؛ لأن دينهم هو دين سماوي موحد لله، ولأن أهلهم يقولون: (لا إله إلا الله)، إلا أنه - كما قلنا في النقطة الثانية - حيث أصبحوا لا يدينون بدين الحق فليس لهم حق السلطة والعلو على الإسلام والمسلمين، ولهذا ينتهي القتال معهم عند دفع الجزية لتكون كلمة الإسلام ودين الحق هي العليا. -

رابعاً: شمولية قيم الدين الإسلامي وما يحمله من تكاليف لعامة الناس.

خامساً: أن مسؤولية الدين وتنفيذ ما يحمله من القيم تقع على عاتق حملته وهم المؤمنون به.

سادساً: أن من جملة قيم الدين الإسلامي أن جعل حالة الترابط واجبة بين المسلمين في العالم ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ (الحجرات: ١٠)، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «من سمع رجلاً ينادي يا للمسلمين ولم يجبه فليس بمسلم»^(١).

سابعاً: أن خصوصية القتال في الإسلام هي ضد الظلم والشرك الذي هو أعلى درجات الظلم وهما قبيحان عند الإنسان أين ما وجد، فقتال الظالمين حق إنساني وتقديم إحسان للإنسانية، وهذا لا يعني أن يكون المسلمون طلاب حرب ويبحثون عنه ويتدثرون به، بل هي حالة عندما تقع عليهم فهم المسؤولون عن ردّها والوقوف ضدّها، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العاقبة، فإذا

لقيموه فائتوا»^(١).

ثامناً: ومن هذا الملخص الذي قدّم من خلال نقاطه السبع نعرف لماذا الإسلام؟ لأنه الدين الخالص، وأنه أعلى دين يجسد حالة الاستسلام لله التي يريدنا الله من الإنسان على الأرض والتي هي معنى الإسلام. ونعرف كذلك لماذا شمولية القتال؟ فإنه من أجل التوحيد. ولماذا المؤمنون؟ لأنهم هم المخاطبون بذلك. ولماذا يدافع المسلم عن المسلم الذي هو بعيد عنه؟ فإنه لوجوب الترابط بينهم والاشتراك في الهدف. وإن كل ذلك يمرّ بعد دعوة الناس إلى ما فيه الحق بطريق السلام والموعظة الحسنة والجدال بما هو أحسن، ونعرف لماذا يقاتل المؤمنون الآخريين؟ لأن أعداءهم هم الذين بدؤوا بالقتال.

س: ما هو الفرق بين قتال المشركين وأهل الكتاب والظالمين؟

مركز تحقيقات كاميون علوم إسلامي

ج:

١- قتال المشركين عبدة الأصنام يجوز فيه القتال الابتدائي بعد دعوتهم إلى الله ودين الحق.

٢- قتال أهل الكتاب لا يجوز قتالهم الابتدائي.

٣- قتال الظالمين لا يجوز قتالهم ابتداءً إلا بعد الاعتداء الفعلي على المؤمنين.

٤- القتال من أي نوع كان يعين من قبل الحاكم الشرعي أو اليقين بدخوله وشمول العنوان العام إليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.



فهرس الكتاب



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

فهرس آيات السور

سورة البقرة

٧	آية ١١٦ - ١١٧
٢٠	آية ١١٨ - ١١٩
٢٥	آية ١٢٠ - ١٢١
٣٠	آية ١٢٢ - ١٢٣
٣١	آية ١٢٤
٨٧	آية ١٢٥
٩٢	آية ١٢٦
٩٧	آية ١٢٧
١٠٠	آية ١٢٨ - ١٢٩
١٠٨	آية ١٣٠ - ١٣٤
١٢٠	آية ١٣٥ - ١٤١
١٣٢	آية ١٤٢
١٣٧	آية ١٤٣
١٤٧	آية ١٤٤ - ١٤٧



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

١٦٦	آية ١٤٨
١٧٠	آية ١٤٩ - ١٥١
١٧٥	آية ١٥٢
١٩٢	آية ١٥٣ - ١٥٧
٢٢٢	آية ١٥٨
٢٣١	آية ١٥٩ - ١٦٢
٢٣٩	آية ١٦٣ - ١٦٤
٢٥٣	آية ١٦٥ - ١٦٧
٢٦٧	آية ١٦٨ - ١٧٠
٢٧٦	آية ١٧١
٢٧٩	آية ١٧٢ - ١٧٣
٢٩١	آية ١٧٤ - ١٧٦
٣٠٠	آية ١٧٧
٣١٦	آية ١٧٨ - ١٧٩
٣٣٩	آية ١٨٠ - ١٨٢
٣٥٤	آية ١٨٣ - ١٨٥
٣٨٣	آية ١٨٦
٤٠٥	آية ١٨٧
٤٢٢	آية ١٨٨
٤٣٠	آية ١٨٩
٤٣٦	آية ١٩٠ - ١٩٥



مركز بحوث ودراسات في العلوم الإسلامية

فهرس البحوث

٣١	الإمامة والعصمة.....
١٣٧	الأمة الوسط.....
١٥٥	الحق.....
١٧٥	ذكر الله وشكره.....
١٩٣	الروح وعالم البرزخ.....
٢٠٣	الشهادة والشهيد.....
٢٠٧	سنة الابتلاء.....
٢٢٢	الصفاء والمرورة من شعائر الله.....
٢٣١	كتمان الحق.....
٢٣٩	التفكر ومعرفة الله.....
٢٥٨	الأتباع مسؤولية التابع والمتبوع.....
٢٩٥	الاختلاف.....
٣١٧	حياة القصاص.....
٣٣٩	الوصية.....
٣٥٥	الصوم صحة وعبادة.....
٣٨٣	الدعاء تربية وعبادة.....
٤١٢	الاعتكاف رهبانية مؤقتة من أجل حركة ناشطة.....
٤٣٧	القتال بين الواقع والتشريع.....



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم إسلامي